

شرح الأربعين النووية

شرح الأربعين النووية

شرح

أبي الحسن علي بن محمد المطري

اعتنى به وخرجه:

أبوالمبارك / دارس حسن علي الوادعي

مقدمة

بين يدي الأربعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، اللهم! صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا مختصر، لأحاديث «الأربعين النووية» لـ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وهو كتاب مشهور ومعروف.

وهذه الأحاديث الأربعون أحاديث عظيمة، وهي من جوامع كلم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد أُعطي النبي ﷺ جوامع الكلم، حيث يأتي بالكلام القليل في المبنى ولكنه يكون واسع المعنى، فالكلمات قليلة، ولكن المعاني واسعة، فهي قواعد كلية، وقواعد عامة اشتملت عليها الأحاديث التي اختارها الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

ولم يثبت عن الرسول ﷺ شيء في حفظ أربعين حديثاً، وما جاء في ذلك فهو حديث ضعيف، وقد ذكر الإمام النووي نفسه في مقدمته للأربعين أنه لم يثبت الحديث في ذلك عن رسول الله ﷺ، ولكنه قال إن حديث: «نضر الله امراً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها» رواه أبو داود في سننه برقم (٣٦٦٠) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، وكذلك أيضاً: «ليبلغ الشاهد الغائب» عن ابن عباس رضي الله عنهما. رواه البخاري برقم (١٧٣٩) يدعوان لذلك.

وإن جمع شيء من حديث الرسول ﷺ، والاشتغال به، ولفت الأنظار إليه فيه قيام بحفظ سنة الرسول ﷺ، وليس الاعتماد في ذلك على الحديث الضعيف المروي في ذلك.



ترجمة للنووي

كان النووي رحمه الله معروفاً بالزهد والورع والصلاح، والحرص على إفادة الناس، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتابه هذا -الأربعون النووية- اشتهر دون غيره من الكتب الأخرى التي كتبت وجمعت في هذا الموضوع، وهي كثيرة، ولكن لم يشتهر كتاب في الأربعين مثلما اشتهر كتابه؛ فإنه لقي عناية خاصة من العلماء، وصار هو الكتاب الذي يبدأ بحفظه في الحديث عند طلبة العلم.

وعدد هذه الأحاديث اثنان وأربعون حديثاً جمعها الإمام النووي، وأضاف إليها الحافظ ابن رجب ثمانية أحاديث، فأكملها خمسين حديثاً، وشرحها في كتاب واسع قيم عظيم، وهو «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم».

والإمام النووي رحمه الله ليس من المعمرين، فقد عاش خمساً وأربعين سنة، فولادته كانت في سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وتوفي في سنة ست وسبعين وستمائة، ومع ذلك خلف مؤلفات وثروة عظيمة: فيما يتعلق بالحديث، وفيما يتعلق بالفقه، وفيما يتعلق بالمصطلح، وفيما يتعلق بعلوم القرآن، وفيما يتعلق باللغة، فمع قصر عمره وقلة مدته نفع الله تعالى بعلومه، وحصلت منه هذه الثروة العظيمة الواسعة.

وكتابه «الأربعون النووية» و«رياض الصالحين» كتابان مشهوران يعرفهما الخاص والعام، وكتابه «المجموع شرح المذهب» من أحسن الكتب التي ألفت في الفقه، فإنه

كتاب واسع، وهو من أوسع الكتب التي اعتنت بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم، وكذلك استيعاب المسائل، والتحقيق فيها والتدقيق مع الاجتهاد.

وقد كان شافعي المذهب، ولكنه يرجح على حسب ما يدل عليه الدليل، وذلك لجمعه بين الفقه والحديث، فكان فقيهاً محدثاً رحمه الله، وكتابه مع كتاب «المغني» لابن قدامة هما الكتابان المشهوران في الفقه في سعة العلم وفي الفقه العام الذي ليس متقيداً بمذهب معين، وإن كان قد شرح فيه «كتاب المذهب» لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي، إلا أنه مثل ابن قدامة الذي شرح «مختصر الخراقي» في كتابه «المغني»، حيث ذكر أقوال الصحابة والتابعين، وكذلك أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم مع الترجيح، وبيان الأدلة في ذلك، وهما كتابان لا يستغني عنهما طالب العلم، فهما كتابان واسعان ومفيدان وعظيمان.

وللإمام النووي كتب أخرى كثيرة، مثل «الأذكار»، «تهذيب الأسماء واللغات» وغيرهما، ومع كثرة هذه المؤلفات كان عمره قصيراً، فهذه أعمار باريك الله تعالى لأصحابها فيها، حيث عمروها بخدمة العلم وتحقيقه وتدوينه ونشره، فصار من بعدهم يرجع إلى كتبهم ويستفيد منهم، ويدعو لهم في مختلف العصور والأوقات. رحمه الله رحمة واسعة.

وهذه الأربعون ينبغي لطالب العلم أن يحفظها وأن يفهمها، لأنها منتخبة من أحاديث عديدة. وفي أبواب متفرقة، بخلاف غيرها من المؤلفات فلو نظرنا إلى عمدة الأحكام لوجدناها منتخبة؛ لكنها في باب واحد وهو باب الفقه، أما الأربعون النووية فهي في أبواب متفرقة متنوعة. ونحن نستعين بالله تعالى في التعليق عليها. والله الموفق.

علي بن محمد بن عبده المطري

[١]

{ الأعمال بالنيّات }

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذا أول حديث من الأربعين النووية وهو حديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه^(١) وهو حديث مشهور أشهر من نار على علم ففي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

(١) عمر بن الخطاب: هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي الفاروق. ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة. وقيل: إنه ولد بعد الفيل بثلاثة عشر سنة. أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة. كان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق. أستشهد في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة. أنظر: تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين (ص ٤٠٨) / حوادث ووفيات (١١-٤٠) والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٨٨ رقم ٥٧٤٠).

رواه إماما المحدثين: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحهما^(١).

الذين هما أصح الكتب المصنفة^(٢).

ثناء العلماء على الحديث: وأثنى عليه الأئمة الكبار عليهم السلام، فقد قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي^(٣). وكان من أقران الإمام أحمد: «ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية»^(٤) **وقال الإمام الشافعي**^(٥) رحمته الله:

(١) متفق على صحته: أخرجه البخاري (١، ٥٤، ٢٣٩٢، ٣٦٨٥، ٤٧٨٣، ٦٣١١، ٦٥٥٣)، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية رقم (١٩٠٧) وأحمد (١٦٨) وأبو داود (٢٢٠١) والترمذي (١٦٤٧) والنسائي (٧٥) وابن ماجه (٤٢٢٧) وابن حبان (٣٨٨) وابن المبارك في الزهد (٨٨) وغيرهم.

(٢) أصح الكتب بعد كتاب الله وذلك بالإجماع ولا اعتداد بمن خالف. أنظر: النكت لابن حجر (١/٣٨٠) والتقييد والإيضاح (ص ٣٤) والإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن (١٢٧/١-١٢٨).

(٣) عبد الرحمن بن مهدي ابن حسان بن عبد الرحمن الإمام الناقد المجود سيد الحفاظ أبو سعيد العنبري.

وقيل: الأزدي مولا هم البصري اللؤلؤي. كان إماماً حجة قدوة في العلم والعمل. ولد سنة (١٣٥هـ) توفي في البصرة في جمادي الآخرة سنة (١٩٨هـ) سير أعلام النبلاء (٩/١٩٢) / ترجمة ٥٦.

(٤) ذكره النووي (في شرحه الأربعين (ص ٢٢)، وشرح مسلم (٤٧/١٣) تحت حديث رقم: (١٩٠٧)، وابن رجب (في جامع العلوم والحكم (ص ٨)، وابن حجر (في الفتح (١١/١) قريباً منه.

(٥) الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي - أبو عبدالله - أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة سنة (١٥٠هـ-٧٦٧م) وحمل إلى مكة وهو ابن ست سنين، وقصد مصر سنة (١٩٩هـ) فتوفي بها سنة (٢٠٤هـ-٨٠٤م). أشهر كتبه الأم في

«هذا الحديث ثلث العلم ويدخل في سبعين باباً من الفقه»^(١) وقال الإمام أحمد^(٢):
«أصول الإسلام في ثلاثة أحاديث: حديث إنما الأعمال بالنيات، وحديث الحلال
بين والحرام بين، وحديث من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٣).

على أن هذا الحديث كما هو في علم المصطلح حديث غريب ليس متواتراً بل
هو من قسم الآحاد. لأن السنة منها المتواتر ومنها الآحاد. فالمتواتر ما توفرت فيه
شروط أربعة:

- ١- أن يرويه جمع عن جمع.
- ٢- وأن تكون الجماعة في جميع طبقات السند.
- ٣- وأن يكون مستند خبرهم الحس كسمعنا أو رأينا أو أبصرنا.

=

الفقه والمسند في الحديث، وأحكام القرآن، والرسالة في أصول الفقه ينظر: تذكرة الحفاظ
(١/٣٢٩)، وتهذيب التهذيب (٩/٢٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/٥ ترجمة (١)).

(١) ذكره النووي (في شرح صحيح مسلم (١٣/٤٧)، بلفظ: (ثلث الإسلام) وابن رجب (في جامع العلوم
(ص/٩)).

(٢) الإمام أحمد: هو شيخ الإسلام وأحد الأئمة المتبوعين عند أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن
حنبل الشيباني، أصله من البصرة [١٦٤هـ - ٢٤١هـ] مقدمة المسند (١/٣٨) وما بعدها.

(٣) أنظر: الفتح (١/١١) وجامع العلوم والحكم (ص/٩).
فائدة: أتفق الشافعي وأحمد وابن مهدي وابن المديني وأبو داود والترمذي والدارقطني وحمزة الكنعاني
وغيرهم.

على: أنه ثلث العلم. ومنهم من قال ربه [الفتح: (١/١١)].
وقال ابن دقيق العيد: «وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام». شرح ابن دقيق العيد: (ص/٩)

٤ - وأن تحيل العادة تواطؤهم على عدم الكذب^(١).

وما عدا ذلك فهو من الآحاد سواء كان غريبا أو عزيزا أو مشهورا أو مستفيضاً على قول من يفرق على أن هناك بعض أهل العلم لا يفرق إلا تفريقاً قليلاً جداً بين المستفيض والمشهور ولكن من حيث الجملة ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء ٧٨] يجب العمل بالقرآن وبالسنة المتواترة وبالسنة الآحاد مهما كان الأمر ما دام أن النبي ﷺ قد نطق به.

لم يرو هذا الحديث عن عمر بن الخطاب إلا علقمة بن وقاص الليثي ولم يروه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمي ولم يروه عن التيمي إلا يحيى بن سعيد القطان الأنصاري ثم بعد ذلك رواه خلق كثير. **قال ابن رجب^(٢)**: «قيل: رواه عن الأنصاري أكثر من مائتي راوٍ، وقيل: رواه عنه سبعمائة راوٍ»^(٣).

وقال: «ليس له طريق يصح غير هذه الطريق»^(٤).

(١) النكت على نزهة النظر (ص ٥٦).

(٢) ابن رجب: هو عبد الرحمن بن رجب بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، الإمام الحجة، والفقيه. أحد العلماء الزهاد، والأئمة العباد مفيد المحدثين، واعظ المسلمين، الشهير بابن رجب الحنبلي.

ولد سنة (٧٣٦هـ) ومات في شهر رجب أو شهر رمضان سنة (٧٩٥هـ) مقدمة جامع العلوم والحكم (١/٤٣). بتصرف. طبعت دار العقيدة: أ / تحقيق محمد عامر.

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٨) واستبعده ابن حجر حيث قال: وأنا أستبعد صحة هذا فقد تتبعته طرقه من الروايات المشهورة والأجزاء المنشورة منذ طلبت الحديث إلى وقتي هذا فما قدرت على تكميل المائة أنظر: الفتح (١/١١).

(٤) جامع العلوم والحكم (ص ٨).

قال الخطابي^(١): «لا أعلم خلافاً بين أهل الحديث في ذلك»^(٢). (أي أنه ليس له طريق تصح غير هذه).

وهذا الحديث حديث عظيم إي والله فتأملوا أيها الشباب إلى هذا الحديث الذي يحدد فيه نبينا ﷺ عمل العاملين تنويهاً بذلك إلى الإخلاص لله ﷻ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة ٥] وكما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام ١٦٢] ففي قوله: (إنما) يقول علماء النحو: أنها كافة ومكفوفة: يعني (ما) هذه كفت (إن) عن العمل فما كان هناك تأثير لأن (أن) تفيد التأكيد ونصب المبتدأ ونصب الأسماء وأيضاً أداة حصر. فيحصر النبي ﷺ الأعمال كلها بالنية فيقول: «إنما الأعمال بالنيات».

معنى النية: لغةً: القصد.

وشرعاً: عزم القلب على فعل الطاعة تقرباً إلى الله. ومحلها القلب. والتلفظ بها بدعة. سواء كان في الصلاة في الزكاة في الصوم حتى في الحج إذا قال: لبيك حجا وعمره ليس هذا من باب النية وإنما من باب تعيين النسك والنية لها معنيان:

(١) الخطابي: هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي: أبو سليمان: حمد - وهو الصواب - (وقيل أحمد) بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي. صاحب التصانيف.
ولد سنة بضع عشر وثلاث مائة للهجرة. وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة: (٣٨٨هـ). سير أعلام النبلاء (١٧/٢٣) ترجمة: (١٢) تذكرة الحفاظ: (١٠١٨/٣، ١٠١٩ رقم ٩٥٠) والبداية والنهاية (١١/٢٣٦-٢٣٧).

(٢) أنظر: الفتح (١/١١) وجامع العلوم والحكم (ص/٨).

١ - معنى عند الفقهاء ويريدون بها أمرين اثنين:

الأمر الأول: تمييز العبادات عن العادات فأنت تتوضأ أو تغتسل للتبريد وتغتسل من الجنابة وتغسل وجهك من التراب وتغسل وجهك باعتبار أن هذا وضوء تريد به الصلاة فتميز بهذه النية الذي هو عمل قلبي.

بين العادات والعبادات.

والأمر الثاني: لتمييز العبادات بعضها عن بعض صليت راتبة الظهر فريضة الظهر الراتبة البعدية تصدقت صدقة نافلة زكيت زكاة مفروضة فأنت تميز بها بين العمل **هذه** صلاة العصر وهذه المغرب وهذه العشاء. فتفرق بها بين الفرض والنفل والواجب والمستحب.

٢ - ولها معنى عند أرباب الأدب والسلوك ومن يتكلم على أعمال القلوب فهي عندهم بمعنى الإخلاص لله ﷻ وكما يقول بعضهم: تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له؟ أم الله وغيره؟ (١)

لذا يقول ربنا ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى ٢٠] وتأمل في قوله: (يريد)

وهكذا يقول ﷺ في كتابه الكريم ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ٥ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَكُلَّ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود ١٥-١٦] ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء ١٩].

(١) أنظر: جامع العلوم والحكم (ص/ ١١).

وفي قوله: «إنما الأعمال بالنيات» وفي رواية: «بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى» بعض أهل العلم يقول: لا فرق بين العبارتين والصحيح أن هناك فرقا بينهما، فقوله: «إنما الأعمال بالنيات» قال ابن عثيمين رحمته الله: هذا سبب. ما هو الباعث لك على هذا العمل؟ هل النية. النية عينها أنت سواء كانت خيرا أو غير ذلك «وإنما لكل امرئ ما نوى» يقول هذا نتيجة^(١). فعلى حسب نية صاحب العمل فإن نوى الخير تحصل عليه وإن نوى الشر والعياذ بالله كان بسبب نيته المنحطة بلغ أرذل المنازل وأخسها.

حتى إن أحمد بن خضرويه الملقب بجاسوس القلوب^(٢) يقول: «الأرواح جواله قال: فإما أن تجول حول العرش» يعني همة عالية «وإما أن تجول حول الحش^(٣)» يعني حول القمامم والزبالات.

ربما دخل اثنان في عمل ما فاتحدا ابتداءً وانتهاءً وحركةً ولكن الفرق بينهما كما بين السماء والأرض.

وابن الجوزي^(٤) رحمته الله قال: «كنت أعرف من مشايخي من له من العمل

(١) أنظر: شرح رياض الصالحين (١/٢٩) المكتبة الإسلامية الطبعة الأولى.

(٢) أحمد بن خضرويه (ويدعى أحمد بن الخضر: كذا في حلية الأولياء (١٠/٤٢)، وتاريخ بغداد (٤/١٣٧)، الزاهد الكبير الرباني الشهير أبو حامد البلخي. من أصحاب حاتم الأصم. قال السلمي: هو من جلة مشايخ خراسان. له قدم في التوكل. عمّر طويلاً. قيل: إنه توفي سنة (٢٤٠هـ) سير أعلام النبلاء (١١/٤٨٧ / ترجمة ١٢٩) وحلية الأولياء (١٠/٤٢-٤٣ رقم (٤٦٧) الوافي في الوفيات (١/٨٤٨) وصفة الصفوة (٤/١٦٣/ رقم (٧٠٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/٤٨٨)، وذم الهوى (ذكر تقليب القلوب (١/١٤)، ولطائف المعارف (١/٢٦٨).

(٤) ابن الجوزي: هو الشيخ الجليل الإمام الفاضل أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله البكري التيمي القرشي البغدادي الحنبلي الجوزي نسبة إلى جده جعفر الجوزي، وهذه نسبة =

الصالح كذا وكذا وآخر ليس كذلك وأرى الناس تقبل على الآخر دون الأول قال: فتأملت فعلمت أنها القلوب» ذكر هذه الفائدة في صيد الخاطر. «إنما الأعمال بالنيات» أي ما من عمل إلا وهو يفتقر إلى نية حتى قال بعض العلماء: «لو كانت الأعمال من غير نوايا لكان هذا تكليف غير مستطاع»^(١) لكن على حسب نية العبد فإنه يؤجر بهذه النية قال النبي ﷺ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرَجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ»، وفي رواية: «إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ»^(٢).

وقال بعضهم:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذرٍ وعن قدرٍ فمن أقام على عذرٍ فقد راحا^(٣)

وكذلك حديث أبي كبشة الأنماري في مسند أحمد قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ» قَالَ: «فَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّذِي أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ فَإِنَّهُ مَا نَقَصَ مَالٌ عَبْدٌ صَدَقَةً وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ بِمَظْلَمَةٍ فَيَصْبِرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ رِجَالًا

إلى فُرْضة الجوز - وهو موضع مشهور - لم يعرف بالضبط عام مولده. بيد أنه ما بين سنة ثمانية إلى عشرة ما بعد المائة الخامسة للهجرة. توفي ليلة الجمعة بين العشائين في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة (٥٩٧هـ). وله من العمر (٨٧ سنة). بلغت تصانيفه (١٣٩) كتابًا ومخطوطًا. مقدمة صيد الخاطر (ص ١٠٧) بتصرف. تحقيق: د/ حامد أحمد الطاهر.

(١) أنظر: شرح رياض الصالحين (١/ ٢٩) المكتبة الإسلامية الطبعة الأولى.

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٤، ٤١٦١) عن أنس، ومسلم (١٩١١) عن جابر. واللفظ له.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٧) عند سورة النساء: آية (٩٦-٩٥)، ونفع الطيب (٤/ ٣٣١). إلا أنه قال:

يا راحلين إلى المختار من مضر

بِهَا عِزًّا وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَابَ فَقْرٍ وَأَمَّا الَّذِي أَحَدْتُكُمْ حَدِيثًا فَاَحْفَظُوهُ فَإِنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حَقَّهُ قَالَ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ» قَالَ: «وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا» قَالَ: «فَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ قَالَ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ» (الثاني لم يعمل لكن بالنية الصالحة) قَالَ: «وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْطِئُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ» قَالَ: «وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ» (كفقر اليهود لا خمر في الدنيا ولا جنة في الآخرة) «يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ قَالَ هِيَ نَيْتُهُ فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ»^(١) على أنه لم يعمل شيئاً لكن على حسب النية.

وهنا مسألة: هل يؤخذ العبد على حسب نيته ؟

الجواب: إن هذا المقام مقام خطير جداً فأعمال القلوب منها الخطرات ومنها الهواجس ومنها حديث النفس ومنها الهم ومنها العزم يكون في القلب وهو عزم:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تتردداً

فأولها رأى ثم تكون عزيمة فإذا كانت خطرات هواجس حديث نفس هذا معني عنه لا يكتب لك خيراً ولا يكتب لك شراً قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»^(٢) هذه لا تستقر في النفوس غالباً.

(١) رواه أحمد رقم: (١٨٠٦٠)، ورواه الترمذي: في الزهد (٢٣٢٥)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٨)

وصححه الألباني: صحيح الجامع (٥٣٣٥) والمشكاة (٥٢٨٧) وصحيح الترغيب والترهيب (١٦).

(٢) البخاري (٢٣٩١، ٤٩٦٨، ٦٢٨٧) ومسلم (١٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هجس ثم زال خطر ثم زال وسوست له نفسه بكذا ثم زال ما حصل ما استقر شيء من ذلك في القلب أما المرتبة الرابعة مرتبة الهم إذا هم العبد ولم يصل إلى مرتبة العزم فهنا يكتب في الخير والشر أجراً للعبد تفضلاً من الله الواحد الأحد كما في حديث أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» (١).

لكن المرتبة الخامسة مرتبة العزم لو أنه خطر في نفسه هجس حديث نفسه ثم صارت همة ثم بعد ذلك صارت عزيمة ما منعه إلا عدم وجود مادي في يده وإلا لبشر معصيته زنا فجور وا..إلى آخره. لكن حال بينه وبين ذلك أمر كأن يريد يسرق فإذا به يجد شرطة مثلاً فرجع مدبراً أو أراد يزني أو يفجر أو يشرب الخمر لكن ما عنده الفلوس ما عنده السيارة ما عنده مغريات الحياة التي يستطيع أن يصل بها إلى الحرام لذا كان المؤمن كأنه مسجون في هذه الدنيا لأنه مقيد بشرع الله بخلاف الفاجر وإن كان كافراً فإنه يذهب حيثما يريد من الباطل والعياذ بالله.

يقول الناظم:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعوا
يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعاً (٢)

(١) في الصحيحين وسياقي برقم (٣٧) من الأربعين النووية.

(٢) روح المعاني: (٣/ ٦٤)، ومفردات القرآن: (١/ ١٥٥٨).

والنية: هي ميزان لكل عمل باطني كما أن الإتيان هو ميزان لكل عمل ظاهري وأي عمل يفتقر إلى نية إلى إخلاص وإلى إتيان وإلا كان عملاً مردوداً على صاحبه.

قال ربنا ﷺ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة ٥].

فنبينا ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

أي على حسب نيته فإن نوى بهذا العمل وجه الله والدار الآخرة أجره الله وإن نوى بذلك شراً كان والعياذ بالله قد أفسد نيته وهو في أرذل المنزل.

من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يَقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌّ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» (١).

هؤلاء فسدت نواياهم فكانت لهم النار والحديث مشهور قال نبينا ﷺ: «فمن

(١) رواه مسلم: (١٩٠٥)، وأحمد: (٨٢٦٠) والنسائي (٣١٣٧).

كانت هجرته» والمراد بالهجرة الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام رجل أسلم في بلد ما من بلاد الكفار فما استطاع أن يظهر الشعائر الدينية وجب عليه أن ينتقل إلى بلاد الإسلام وإلا كان آثمًا والنبى ﷺ يقول: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» (١).

فكانت فريضة ابتلاء واختبارًا على أصحاب النبى ﷺ إلا الضعفاء من الكبار والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون فكانوا معذورين فلذلك هاجر غالب أصحاب النبى ﷺ من مكة إلى المدينة ملتجئين رضا الله ﷻ والدار الآخرة تركوا القليل والكثير والغالي والنفيس يريدون بذلك وجه الله ﷻ.

قال سبحانه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات ١٥]
وقال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر ٨].

وهكذا من وجه آخر تكون الهجرة من بلاد البدعة إلى بلاد السنة ومن بلاد الشرك إلى بلاد التوحيد ومن بلد المعاصي والذنوب إلى بلاد الطاعة وهكذا - بارك الله فيكم - يقول النبى ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» (٢).

(١) البخاري (١٧٣٧، ٢٦٣١، ٢٦٧٠، ٢٩١٢) ومسلم (١٣٥٣) وأحمد (١٩٩١) والترمذي (١٥٩٠)

عن ابن عباس وأخرجه البخاري (٣٦٨٧، ٤٠٥٨) مسلم (١٨٦٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري: (١٠، ٦١١٩)، وأخرج مسلم بعضه في الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره

أفضل رقم (٤٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

فيقول هاهنا: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» هنا من هاجر يريد رضا الله ومتابعة النبي ﷺ قال: «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها» رجل في بلاد الكفار أسلم في بلاد الكفار فحدث أن هناك أعمال وخيرات في بلاد المسلمين قال: أنا أذهب إلى هناك ما هو من أجل أن يتعلم الإسلام أو من أجل أن يستقيم على طاعة الله وعلى أمر رسول الله ﷺ لكن من أجل دنيا هذه همة منحطة.

«أو امرأة ينكحها» طمع في امرأة فقيل له: لا نزوجك حتى تأتي ديار الإسلام.

مثلا أسلم في أمريكا فقال المسلمون: لا نزوجك إلا إذا خرجت فخرج لهذا المقصد الدنيء ما هو من أجل طلب العلم ولا من أجل بلاد المسلمين ولا من أجل المقدسات الإسلامية. بل من أجل امرأة ينكحها كان باستطاعته أن يصلح نيته أن يخرج من بلده مهاجرا إلى الله ﷻ وأن تكون هذه كما يقال: على الطريق.

فقال ﷺ: «فهجرته إلى ما هاجر إليه».

حتى إنه لم يقل: فهجرته إلى الدنيا أو فهجرته إلى المرأة قال العلماء: استحقاقًا واستخفافًا بشأنه قال ﷺ: «فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وبعضهم قال: لا تكون فقط للدنيا أو للمرأة لا. ربما لشيء آخر فهجرته إلى ما هاجر إليه وبعض الشراح يذكر أن الحديث - بارك الله فيكم - قاله النبي ﷺ في رجل هاجر من أجل امرأة يقال له: مهاجر أم قيس.

بعضهم يقول: صحت القصة^(١) ولكن لم يكن الحديث سببا لهذا الرجل

(١) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: في الفتح (١٠/١): وقصة مهاجر أم قيس رواها سعيد بن منصور قال أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو بن مسعود قال من هاجر يتبغي شيئاً فإنما له =

وعلى أية حال فهو حديث صحيح يجب العمل به والأخذ بتوجيهات النبي ﷺ وأن نخلص بأعمالنا ﷻ ملتزمين رضا الله، والدار الآخرة فإنه ما فاز إلا من كان قد اتقى الله ﷻ في قلبه وفي نيته وإن الرجل والعياذ بالله ليحرم الخير بسبب مخبات قلبية من نوايا فاسدة وما إلى ذلك والنبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»^(١).

ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا»^(٢).

نسأل الله السلامة والعافية وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.



ذلك هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له مهاجر أم قيس ورواه الطبراني من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكانا نسمايه مهاجر أم قيس وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين لكن ليس فيه أن حديث الأعمال سبق بسبب ذلك ولم أر في شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك. وقال ابن رجب: ولم نر لذلك أصلاً (أي أن القصة كانت سبب للحديث) بإسناد يصح، والله أعلم. أنظر: جامع العلوم والحكم (ص/ ١٤).

(١) قطعة من حديث: أخرجه البخاري: في الرقاق (٦١٢٨، ٦٢٣٣) من حديث سهل بن سعد الساعدي.

(٢) جزء من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد سبق برقم (٤) من الأربعين النووية.

[٢]

{ مراتب الدين }

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً:

هذا الحديث الثاني من الأربعين النووية وسميت كذلك نسبة إلى بلدة مؤلفها
وهو أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي فهو من دمشق وبالتحديد من قرية
نوى^(١) فكانت النسبة إلى بلدته مثل العقيدة الواسطية^(٢) قيل: نسبة إلى أن الطالب
لتأليفها رجل من واسط.

(١) النووي، أبو زكريا (٦٣١ - ٦٧٦ هـ، ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م).

محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي. كان إماماً بارعاً حافظاً أَمَّاراً بالمعروف
وناهياً عن المنكر، تاركاً للملذات ولم يتزوج. أتقن علومًا شتى. ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية.
أُفردت ترجمته في رسائل عديدة. وقد عدد ابن العطار - أحد تلاميذه - تصانيفه واستوعبها، ومن هذه
التصانيف: تهذيب الأسماء واللغات والمنهاج في شرح مسلم؛ التقريب والتيسير في مصطلح الحديث؛
الأذكار؛ رياض الصالحين وهو كتاب جامع ومشهور؛ المجموع شرح المذهب؛ الأربعون النووية؛
مختصر أسد الغابة في معرفة الصحابة وغيرها.

أنظر ترجمته في: مقدمة شرح مسلم: (١ / ٦ - ٩) والأعلام للزركلي (٨ / ١٤٩) وتذكرة الحفاظ
(٤ / ١٧٦) وطبقات الشافعية للسبكي: (٨ / ٣٩٥) والنجوم الزاهرة: (٧ / ٦٧٦) والبداية والنهاية:
(١٣ / ٢٧٨، ٢٧٩) وشذرات الذهب (٥ / ٣٥٣-٣٥٥) ومروءة الجنان: (٢ / ١٨٢، ١٨٣).

(٢) هو كتاب في العقيدة لشيخ الإسلام: ابن تيمية.

قال: وعن عمر بن الخطاب ^(١) وعمر هو أبو حفص الملقب بالفاروق ويسمى بعمر بن الخطاب خليفة المسلمين بعد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه وكم له من المزايا والفضائل شهد له النبي ﷺ بالشهادة ^(٢) وشهد له بالجنة ^(٣) وشهد له بالعلم ^(٤) وشهد له بالدين ^(٥) وشهد له أيضا بالإلهام كما في البخاري ومسلم ^(٦) قال النبي ﷺ: «قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ - أَيِ مُلْهِمُونَ - وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» وما بلغ هذه المنزلة إلا لإخلاصه وصدقه وتضحيته فرضي الله تعالى عن عمر. يروي هذا الصحابي الجليل حادثة حصلت زمن رسول الله ﷺ فهو يرويها للأجيال وهذا من تبليغ العلم الذي يؤجر عليه صاحبه قال النبي ﷺ: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ

(١) سبق ترجمته عند الحديث الأول.

(٢) روى ذلك البخاري: (٣٤٧٢) عن أنس رضي الله عنه، ولفظه: أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان).

(٣) روى ذلك البخاري: (٣٤٧١)، ومسلم: (٢٤٠٣) عن أبي موسى وفيه أنه قال لرسول الله: هذا عمر ابن الخطاب يستأذن؟ فقال (اأذن له وبشره بالجنة)

(٤) البخاري (٨٢) ومسلم (٢٣٩١) عن ابن عمر ولفظه: «بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الريح يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب». قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال «العلم».

(٥) البخاري (٢٣) ومسلم (٢٣٩٠) عن أبي سعيد ولفظه: «بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره».

قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال (الدين).

(٦) البخاري (٣٢٨٢، ٣٤٨٦) عن أبي هريرة. ومسلم (٢٣٩٨) عن عائشة.

مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

فيقول: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتُحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ صَدَقْتَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُئْيَانِ» قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ» قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (٢).

(١) رواه البخاري: (٣٢٧٤) وأحمد (٦٤٨٦) وموضع والترمذي: (٢٦٧٩) عن ابن عمرو بن العاص.

وأبو داود (٣٦٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وما بين القوسين رواه الجماعة فقد رواه مع البخاري.
مسلم: (٣) وأحمد (٤٨٥) وأبو داود: (٣٦٥١) والترمذي: (٢٢٥٧) والنسائي في الكبرى: (٤٠٩٩) وابن ماجه (٣٠) ونقل قول ابن الصلاح: حديث «من كذب علي» متواتر. فإن ناقله من الصحابة جم غفير. قيل اثنان وستون منهم العشرة المبشرة. وقيل لا يعرف حديث اجتمع عليه العشرة إلا هذا.

والحديث جاء عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم. أنظر: صحيح الجامع (٦٥١٩)

(٢) رواه مسلم (٨) وأحمد: (٣٦٧) وأبو داود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٦١٠) والنسائي (٤٩٩٠) وابن

شرح الحديث: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ يعني بذلك أصحاب النبي ﷺ كانوا جالسين عند رسول الله ﷺ أشبه ما يكون بمجلسنا هذا مجلس علم وفقه ووعظ وذكر وفائدة وإذا كان المجلس مجلس خير فحيهلا وإن كان مجلس فيه غيبة ونميمة وهتك أعراض فلا يجوز الجلوس في هذا المجلس

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

وفي هذا أدب رفيع: وهو لا بأس بجلوس ذوي الهيئة والمروءة والعلم مع أصحابه. فهو دليل على تواضعه. ويتجاذب معهم أطراف الحديث
فإن النبي ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»^(١).

وهكذا يجب أن يكون الشخص مراعيًا ظروف هذا المجلس فإن كان فيه من هو أكبر منه سنا أو علما فليتأدب ولينصت وليكن ما يتكلم به أقل مما يسمعه وينظر وهكذا إذا كان الشخص الذي أنت تجلس عنده وهو من الذين يحافظون على أوقاتهم كالعلماء ومشايخ العلم فلا تكثر من الجلوس عندهم لأن هذا يسبب لهم إزعاجا وإحراجا ولكن خفف ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

ماجدة (٦٣) وغيرهم. والحديث قد جاء عن أبي هريرة عند البخاري: (٥٠، ٤٤٩٩) ومسلم: (٩، ١٠) وجاء عن أنس وابن عباس وأبي عامر وأبي ذر وابن عمر وابن مسعود والحارث الأشعري وجريير بن عبد الله.

أنظر: تفصيلها في (الأضواء السماوية) ص/ ٥٢-٥٣ والإرواء رقم (٣).

(١) صحيح: رواه أحمد: (٩١٨٧) والبخاري: في كشف الأستار (٣٥٩١) والحاكم: في المستدرک: (٥٩) عن أبي هريرة. وجاء عن سهل بن سعد عند أحمد: (٢٢٨٩١) وعن جابر في المجمع: (١٣٠٩٩). وصححه الألباني: صحيح الجامع: (٦٦٦١، ٦٦٦٢) والصحيحة: (٤٢٦).

يقول: بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم، وهذا اليوم غير معروف يوم من الأيام نكرة يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، يعني الحال أنه ليس بمسافر ولا قادم من مكان لكنه ليس بمعروف إذ أنه يقول رجل والرجل هذا وصف طردي لا يدري الصحابة من هو لكن رسول الله ﷺ يعلم ذلك. شديد سواد الشعر يعني شاب لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه وهذا جلوس المتأدب كالجلوس للصلاة فأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه جلوس الساكن المتأدب المنصت الخاشع وقال: يا محمد والظن به أنه من الأعراب إذ أن الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا ينادون النبي ﷺ بهذا اللفظ كما قال الله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور ٦٣].

لا ولكن يقولون: يا رسول الله يا نبي الله لكن الأعراب يأتون وينادون بالاسم العلمي لذات النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإسلام، وأخبرني وحدثني بمعنى واحد.

فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله» والإسلام بمعنى الاستسلام وهو دين الله ﷻ على أن الدين أوسع يشمل الإسلام والإيمان والإحسان مراتب الدين الثلاثة فالإسلام بمعنى الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له والخضوع والبراءة من الشرك والبدع والمعاصي استسلام تام لله ﷻ ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٢] قال: «أن تشهد» والشهادة الإقرار والإعتراف. فيجب: أولاً اعتقادها ثم التلفظ بها: إقرار واعتراف. قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله».

ومعنى لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله وغير الله إن عبد فباطل.

قال الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج ٦].

أركان (لا إله إلا الله): وهذه الكلمة تتضمن ركنين:

الركن الأول: النفي: وهو نفي الألوهية عن كل ما سوى الله تعالى.

الركن الثاني: الإثبات: وهو إثبات الألوهية لله وحده لا شريك له. وقد بين الله تعالى هذين الركنين العظيمين في بقوله تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٥٦]. فيجب عليك أن تكفر: أي تنفي الألوهية عن كل ما سوى الله تعالى وأن تؤمن بالله وحده لا شريك له. أي تصرف جميع أنواع العبادات لله وحده لا شريك له. فمن حقق هذين الركنين فقد استمسك بالعروة الوثقى.

والعروة الوثقى هي: لا إله إلا الله.

وشروط لا إله إلا الله: سبعة ذكرها الناظم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

فانتفاعك بـ(لا إله إلا الله) في الدنيا والآخرة، من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة، والنجاة من نار جهنم، لا يتحقق بمجرد النطق بـ(لا إله إلا الله) إلا إذا حققت هذه الشروط السبعة، وهي يسيرة واضحة قد دل عليها القرآن العظيم والسنة المشرفة وإليك بيان هذه الشروط:

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

[محمد ١٩] وقال تعالى: ﴿إِلَّا آمَنَ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف ٨٦] أي إلا من شهد

بـ (لا إله إلا الله) وقلوبهم تشهد بمعنى ما نطقت به ألسنتهم، وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

فيشترط أن يكون قائل (لا إله إلا الله) عالما بمعناها المراد منها نفيا وإثباتا وما يقوم عليها مما افترضه تعالى على خلقه.

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك والريب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات ١٥].

وقال ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٢)، فيشترط أن يكون قائل (لا إله إلا الله) مستيقنا قلبه بمدلولها.

الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة ٥].

وقال ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ» (٣).

الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب. قال الله تعالى: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت ٣].

(١) رواه مسلم (٢٦) وأحمد (٤٦٤، ٤٩٨) والنسائي في الكبرى (١٠٩٥٣، ١٠٩٥٤) وابن حبان (٢٠١) والطبراني في الأوسط (١٦٦٣) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٩٩، ٦٢٠١) وأحمد (٨٨٤٥) والنسائي (٥٨٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١)، فيشترط أن يكون قائل (لا إله إلا الله) صادقاً من قلبه بحيث يواطى قلبه لسانه.

الشرط الخامس: المحبة المنافية للبغض. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة ١٦٥].

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»^(٢) فيشترط أن يكون قائل (لا إله إلا الله) محباً لها ولما دلت عليه محباً لأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، ومبغضاً للجميع ما يناقض ذلك.

الشرط السادس: الإنقياد المنافي للترك. قال الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثَمَّ لَا يَحْذُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء ٦٥].

وقال الله: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان ٢٢] ومعنى يسلم وجهه: أي ينقاد. ومعنى وهو محسن: أي موحد.

(١) رواه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٦، ٢١، ٥٦٩٤، ٦٥٤٢) ومسلم (٤٣) وأحمد (١٢٠٢١)، ومواضع) والترمذي (٢٦٢٤) والنسائي (٤٩٨٧)، ومواضع) عن أنس رضي الله عنه.

الشرط السابع: القبول المنافي للرد. قال الله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة ٢٨٥]

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ١٠٣]

وليس المقصود من هذه الشروط حفظها فحسب بل المراد فقهاها والعمل بها والتزام ما دلت عليه وعدم الوقوع فيما يناقضها، وإن لم تحفظ ^(١).

إعراب (لا إله إلا الله): وأما من حيث الإعراب:

ف(لا) نافية للجنس، ونفي الجنس أعم النفي، وإسمها (إله) وخبرها محذوف، والتقدير (حق).

(إلا) أداة حصر، والإسم الشريف لفظ الجلالة (الله) بدل من خبر (لا) المحذوف.

نواقض (لا إله إلا الله): وهي نواقض الإسلام:

اعلم أيها المسلم الأخ أن الله سبحانه أوجب على جميع العباد الدخول في الإسلام والتمسك به والحذر مما يخالفه وبعث نبيه محمدا ﷺ للدعوة إلى ذلك، وأخبر ﷺ أن من اتبعه فقد اهتدى ومن أعرض عنه فقد ضل، وحذر في آيات كثيرة من أسباب الردة وسائر أنواع الشرك والكفر، وذكر العلماء ﷺ في باب حكم المرتد: أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله، ويكون خارجا عن الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعا عشرة نواقض، نذكر لك فيما يلي

(١) أنظر: معارج القبول للحكمي (١/ ٢٢٧-٢٣٣) بتصرف.

على سبيل الإيجاز لتحذرها وتحذّر منها غيرك رجاء السلامة والعافية، منها مع توضيحات قليلة تذكر بعدها.

الأول: من النواقض العشرة: الشرك في عبادة الله قال الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء ٤٨، ١١٦] وقال الله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة ٧٢]. ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم.

الثاني: من بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن هدي غير محمد ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ﷺ، فهو كافر.

الخامس: من شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَاقْبَظْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد ٢٨].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْلَ اللَّهِ وَعَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة ٦٥، ٦٦].

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنْ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [الفصل ٥٠].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران ٨٥].

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّمَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقَمُونَ﴾ [السجدة ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطرا وأكثر ما يكون وقوعا، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منهما على نفسه.

ويدخل في القسم الرابع: من أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببا في تخلف المسلمين، أو أن يحصر علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياه الأخرى، ويدخل في الرابع أيضا من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة، لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعا، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين، نعوذ بالله من

موجبات غضبه وأليم عقابه (١).

وقوله ﷺ: «وأن محمداً رسول الله» فمحمّد هو بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف نسبه معروف نسب زاكي شريف عرف أنه من نكاح ليس من سفاح كانت أسرة مشهورة عريقة معلومة لدى القاضي والداني فهو كما قال أبو سفيان حينما سأله ملك الروم هرقل: أهو ذو نسب؟ فقال: هو ذو نسب فينا فقال: وهكذا تبعث الأنبياء (٢) نسبه معلوم يعرف ذلك كل الناس الموافقين والمخالفين. ورسول الله: الرسول هو من أوحى الله إليه بشرع جديد وأمره بتبليغه والنبي من جاء مقررًا للشرعة من قبله لكنه ﷺ نبيا ورسولا فهو نبي ورسول بل خاتم الأنبياء والمرسلين كما قال ربنا: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الأحزاب ٤٠]﴾ فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» هذا الركن الأول ومعنى محمد رسول الله: قال بعضهم: تصديقه في ما أخبر وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وقال بعضهم: أي لا متبوع بحق إلا رسول الله ﷺ. قال: «وتقيم الصلاة» إقامتها يعني أن تأتي بها تامة معتدلة بجميع أركانها وشروطها وواجباتها ومستحباتها. والصلاة قال العلماء مشتقة من الملازمة كما قال سبحانه: ﴿لَا يَصْلُهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل ١٥]. أي لا يلازمها وتعريف الصلاة: هي أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير ومختمة بالتسليم. والصلاة لها بسط غير هذا فلها فقه يخصها وهناك كتب ألقت في هذا الباب من أحسنها وأجمعها ما كتبه الشيخ الإمام العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وهكذا الشيخ الألباني في كتابيهما صفة

(١) أنظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها لابن باز رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (ص ١٥، ١٦).

(٢) قصة هرقل مع أبي سفيان: رواها البخاري (٧، ومواضع) ومسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

صلاة النبي ﷺ وهكذا للشيخ ابن عثيمين أيضا رسالة بذلك. وهؤلاء إنما هم أخذوا صفة صلاة رسول الله من كتب الفقه الكبرى لكن لما كان أغلب المسلمين لا يستطيعون أن يصلوا إلى كتب الفقه الكبرى ليأخذوا منها فقه الصلاة كان العلماء مقربين هذه الصفة للناس فالحجة قائمة على المسلمين في هذا العصر. يقول النبي ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١). قال: «وتؤتي الزكاة» الزكاة: بمعنى النماء وشرعا حق لله من مال المسلم إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول والزكاة لها أركان وشروط ولها مصارف أيضا ولها أنصبة معروفة وتكون من الأصناف المعروفة من الذهب والفضة وعروض التجارة ومما أخرجته الأرض ومن بهيمة الأنعام.

قال: «وتصوم رمضان» **الصيام**: بمعنى الإمساك كما قال النابغة الجعدي:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تلعب اللجما

بمعنى خيل تجري وخيل صائمة عن الصهيل بمعنى ممسكة.

وفي الشرع: إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة. فيمسك المسلمون من طلوع الفجر. الصادق إلى غروب الشمس كما قال النبي ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَذْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»^(٢).

وصوم رمضان واجب بل هو ركن من أركان الإسلام قال ربنا ﷺ: «شَهْرُ

(١) الحديث في الصحيحين: ولكن هذا اللفظة في البخاري (٦٠٥، ٥٦٦٢، ٦٨١٩) والدارمي (١٢٥٣) وصحيح ابن حبان (١٦٨٥) وصحيح ابن خزيمة (٣٩٧) والدارقطني (١) والبيهقي في الكبرى (٤٧٥) عن مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليست عند مسلم.

(٢) البخاري (١٨٥٣) ومسلم (١١٠٠) وأحمد (١٩٢) وأبوداود (٢٣٥١) والترمذي (٦٩٨) عن

رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ ﴿البقرة ١٨٥﴾.

«وتحج البيت» **الحج**: لغة بمعنى القصد. وشرعا: قصد البيت الحرام لأداء مناسك معروفة في أزمان معلومة كما قال سبحانه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة ١٩٧] قال: «وحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا» الاستطاعة تفسر بوجود الزاد وأمن الطريق لا كما يفهمه كثير من عامة المسلمين يقول: إن استطعت إليه سبيلا يعني كأن الأمر بالمزاج لا من وجد زادا وأمن الطريق وكان عنده القدرة أن يذهب إلى هناك وكان قد بلغ الرشد فلا يحل له أن يتأخر. لأن الآية توحى إحياء إلى الشدة. شدة الأمر في ذلك. قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٩٧] وقرئت بالفتح: (حج).

ويقول عمر رضي الله تعالى عنه: «لقد هممت أن أبعث إلى الأمصار فينظروا كل من كان له جده فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين» (١).

قال: «صدقت»، وهذا من أعجب ما يكون حتى عجب الصحابة لذلك حينما يسأل جبريل النبي ﷺ ورسول الله أجابه بهذه الأسئلة قال له: صدقت فقال الصحابة:

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٥٠٨) وتفسير القرطبي (٤ / ١٣٦) وتلخيص الحبير: (٢ / ٢٢٣) والتحقيق في أحاديث الاختلاف: (٢ / ١٨١ رقم ١٢١٣) ونصب الراية (٤ / ٤٨٤) عن الحسن، والحسن لم يسمع من عمر.

فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان، الإيمان في اللغة بمعنى التصديق واصطلاحاً: هو نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(١)، هذا معتقد أهل السنة والجماعة.

بعيداً مما قالتها المرجئة. قال: «أن تؤمن بالله» والإيمان بالله يعني الإيمان بوجوده وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته إيماناً مطلقاً بالله ﷻ. «وملائكته» الملائكة تعريفهم مشتق من الألوكة بمعنى الرسالة واصطلاحاً: هم مخلوقات نورانية قابلة للتشكيل وإن الله يشكلها على ما يريد خلقهم الله ﷻ من نور كما جاء في كتاب الخلق من الجزء السادس من فتح الباري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ»^(٢) والملائكة عالم لا يعلم عددها إلا الله ﷻ فقد تحدث النبي ﷺ عن البيت المعمور أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون^(٣). ويقول النبي ﷺ: «أُطِّتِ السَّمَاءُ» أي تحركت السماء «أُطِّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَطُطَّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعَةِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدٌ لِلَّهِ وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشَاتِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ»^(٤).

(١) أنظر: الفتح: (١/٤٦، ١٢/٦٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٦) وأحمد (٢٥٢٣٥، ٢٥٣٩٣) وصحيح ابن حبان (٦١٥٥) ومصنف عبد الرزاق (٢٠٩٠٤) والبيهقي في الشعب: (١٤٣) والكبرى (١٧٤٨٧) وهو في الفتح: (٦/٣٠٦) وليس في البخاري.

(٣) روى ذلك البخاري (٣٠٣٥، ٣٦٧٤) ومسلم (١٦٤) والنسائي (٤٤٨) وأحمد (١٧٨٦٧) عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١٥٥٥) والترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠) والحاكم (٣٨٨٣) =

وهذه الملائكة جعلها الله ﷻ جعل لها وظائف فمنها ما يكون موكلاً بكتب الأرزاق والآجال ومنها ما يكون سبب لإنزال المياه والنبات وبعضها ما كان رسل إلى رسله من البشر والتوحيد والعقيدة والغاية التي لأجلها خلقوا كان لا بد من إرسال رسل كما قال سبحانه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ١٦٥] وقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون ١١٥] وقال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة ٣٦] فأرسل الله الرسل وأنزل معهم الكتب والكتب جمع كتاب وهو مأخوذ من الجمع ومنه الكتيبة للقطيع من الخيل يقال: كتيبة فلانة.

قال: ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرِ﴾ هو آخر يوم من أيام الدنيا لا يوم بعده فسمي باليوم الآخر كما قال ربنا: ﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ تُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة ٥] وفرق بين آخر وآخر فأخر بمعنى شكل آخر ونوع وآخر آخر الشيء بكسر الخاء أي طرفه ومنتهاه فكلنا لهذا اليوم الآخر يوم المحشر الذي يجمع الله ﷻ فيه الأولين والآخرين كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون] فيجمع الله الأولين والآخرين ﴿وَجَاءَ يَوْمَ يُبْعَثُ يَوْمَ يُتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَذَرَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر ٢٣].

قال: «وتؤمن بالقدر» القدر هو قدرة الله وهو سر الله في خلقه. أن تؤمن بخيره وشره. ممن هذا؟ من الله فالخير والشر من الله وجب على العبد أن يؤمن بالقضاء والقدر. قال النبي ﷺ: «فَرَعَ اللَّهُ ﷻ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ أَجَلِهِ وَرِزْقِهِ وَأَثَرِهِ

والبيهقي في الشعب (٧٨٢) وعبد الرزاق في مصنفه (١٧٩٣٤) وصححه الألباني: في الصحيحة: (١٧٢٢).

وَمُضْجِعِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ» (١).

وهكذا حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» (٢).

وهكذا يقول النبي ﷺ كما عند أبي داود: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» (٣). ويقول النبي ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي». وَفِي رِوَايَةٍ «غَلَبَتْ غَضَبِي» (٤).

أركان القدر أربعة: العلم، والخلق، والمشيئة، والكتابة.

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقته وهو إيجاز وتكوين

وله أربع مراتب: تقدير أزلي وتقدير عمري وتقدير سنوي وتقدير يومي كما

(١) صحيح: أحمد (٢١٧٧٠، ٢١٧٧١) والطبراني في الأوسط (٣١٢٠) والطيالسي (٩٨٤) وابن أبي عاصم في السنة (٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه وصححه الألباني: صحيح الجامع: (٤٢٠١، ٤٢٠٢).

(٢) رواه مسلم: (٢٦٥٣).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد: (٢٢٧٥٧، ٢٢٧٥٩) والترمذي: في القدر: (٢١٥٥، ٣٣١٩) وأبو داود في القدر: (٤٧٠٠)، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٠١٧، ٢٠١٨) والمشكاة (٩٤) والظلال (١٠٢، ١٠٧) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٣٠٢٢، ٦٩٦٩، ٦٩٨٦، ٧٠١٥، ٧١١٤، ٧١١٥) ومسلم (٢٧٥١) وأحمد (٧٥٢٠) وابن ماجه (١٨٩) والنسائي في الكبرى (٧٧٥١) وأبو يعلى (٦٤٣٢) وابن حبان (٦١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ربنا: ﴿يَتَكَلَّمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن ٢٩].

قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان؟

والمراد بالإحسان مأخوذ من الحسن وهو الإكرام وعلماءونا يقولون: هو بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه عند اللقاء وهو على مرتبتين: إحسان مع الخالق وهو ما ذكره النبي ﷺ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وإحسانا إلى الخلق كلهم كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ» (١).

فالإحسان مع الله فهو بمعنى مراقبته في السر والعلانية كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق ١٤] قال: فأخبرني عن الساعة؟

والمراد بالساعة قيامها والساعة لها أشراط فمناها ما قد مضى ومنها ما لم يزل يتجدد ولها أشراط كبرى وهي عشر آيات إن حصلت انقطع نظام الكون كما جاء في الأثر في صحيح مسلم (٢) عن النبي ﷺ.

(١) رواه مسلم: (١٩٥٥) عن شداد بن أوس رضي الله عنه، وسيأتي برقم (١٧) من الأربعين النووية.

(٢) رواه مسلم (٢٩٠١) وأحمد (١٦١٨٦) أبو داود (٤٣١١) والترمذي (٢١٨٣) وابن ماجه (٤٠٥٥) والنسائي في الكبرى (١١٣٨٠) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. وفي رواية: (تخرج من قعرة عدن ترحل الناس).

قال: «ما المستؤل عنها بأعلم من السائل» يعني النبي ﷺ لا يعلم متى تكون هذه الساعة كما قال ربنا ﷺ في كتابه الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَعْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف ١٨٧].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَذَابًا وَتَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [القصص ٣٤].

فرسول الله ﷺ لا يعلم متى الساعة وكذلك جبريل لا يعلم متى تقوم الساعة فهو أمر غيبي لا يعلمه إلا الله.

قال: فأخبرني عن أماراتها؟ يعني عن أشراطها.

قال: «أن تلد الأمة ربتها» والمراد بالأمة غير الحرة من العبيد أرقاء هذه تكون أمة مملوكة لدى ملك من الملوك فينكحها فتلد له شخصا فما الذي يكون؟ يكون ابنها سيذا عليها أو ابنتها سيذة عليها وهذا أمر معروف لكن ما المراد بذلك؟ المراد بذلك تغير الحال.

قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة» يعني غير متعلين وفقراء فقرا مدقعا تراهم «العالة» أي الفقراء «رعاء الشاء» من شأنهم يرعون الأغنام هذه أوصافهم «يتطاولون في البنيان» دليل على تغير الحال فهم كانوا بالأمس رعاة عراة حفاة عالة ثم صاروا اليوم يتباهون ويتطاولون في البنيان.

هذه أماراة ودليل على تغير الحال واختلال نظامه. ثم انطلق جبريل بعد أن سأل النبي ﷺ هذه الأسئلة والنبي ﷺ يجيب عليه بهذه الأجوبة العظيمة سألته عن مراتب

الدين الثلاثة عن الإسلام والإيمان والإحسان والصحابة يسمعون إلى هذه الأسئلة وإلى هذه الأجوبة العظيمة وإلى هذا الدين الذي نطق به النبي ﷺ فنقلوه إلى أمة وأبرز من نقله إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال: ثم انطلق فلبثت ملياً قال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، وهذا في حياة النبي ﷺ كانوا يقولون: الله ورسوله أعلم لكن بعد موت النبي ﷺ إن سئلت عن شيء قدرني شرعي فمن باب سد الذريعة أن تقول: الله أعلم لأن النبي ﷺ كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف ١٨٨].

على أن بعض الفقهاء يقولون: شرعياً لك أن تقول: الله ورسوله أعلم ولكن كما قال ابن مسعود: «ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»^(١) وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟»^(٢).

قال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، وتأمل في قوله: يا عمر ما قال: يا أبا حفص أو يا فلان أو كذا قال: يا عمر لأن بعض الناس إذا قيل له: يا

(١) رواه مسلم: في مقدمة صحيحه تحت حديث: (٥) وابن حجر: في الفتح: (١/ ٢٢٥) وعمدة القاري: (٢/ ٢٠٥). ورؤي مرفوعاً ولا يصح.

(٢) صحيح موقوف ضعيف مرفوع: رواه البخاري (١٢٧) موقوفاً عن علي رضي الله عنه. وهو في عمدة القاري (٢/ ٤٠٢) وفيض القدير: (٣٦٩٣) وكنز العمال: (٢٩٣١٨) والصحيحة تحت حديث: (١٣١٤)، ورفع أبو منصور الديلمي: في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم: وإسناده واه بل قيل: موضوع: أنظر كشف الخفاء: (١١١٨) وضعيف الجامع: (٢٧٠١)

فلان مثلاً: يا علي يا زيد يا صالح ربما ليش ما يقول: يا أستاذ قال: يا عمر ونحن كلنا في هذا المجلس لا نسوى شعيرة من شعيرات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه ومع ذلك يناديه النبي ﷺ بثلاثة أحرف.

قال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

وجبريل رسول ملكي هكذا جعله الله بصورة أعرابي وكان يأتي للنبي ﷺ بصورة أعرابي وتارة يأتي بصورة دحية الكلبي وتارة يأتي بصورته التي خلقها الله ﷻ عليها كما قال النبي ﷺ: «فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١) وقال ﷺ: «رَأَيْتُ جَبْرِيلَ لَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحٌ». وفي لفظ: «قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ»^(٢). والله ﷻ يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةَ رُسُلًا أُولَى أَبْجَاحٍ مَشْنَى وَتِلْكَ وَرُيْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر ١].

قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم» ففسر النبي ﷺ من هذه الأسئلة: الإسلام والإيمان والإحسان بأنه دين.



(١) رواه البخاري: (٤، ٣٠٦٦، ٤٦٣٨، ٤٦٧١، ٥٨٦٠) ومسلم: (١٦١) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري: (٣٠٦٠، ٤٥٧٥، ٤٥٧٦) ومسلم: (١٧٤) وأحمد: (٣٧٤٨) والترمذي: (٣٢٧٧)

والنسائي في الكبرى: (١١٥٣٤) وأبو الشيخ في العظمة: (٣٧٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

[٣]

{ أركان الإسلام }

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ^(١) رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» رواه البخاري ومسلم ^(٢).

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي. أبو عبد الرحمن ولد سنة ثلاث من المبعث، أسلم وهو صغير، هاجر وهو ابن عشر سنين، أستاذ يوم أحد، أول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة. مات أواخر سنة ثلاث وسبعين للهجرة. ينظر: الإصابة: (ترجمة ٤٨٥٢) وسير أعلام النبلا (٣/ ٢٠٣ ترجمة ٤٥)

(٢) رواه البخاري: (٨، ٤٢٤٣) ومسلم: (١٦) وأحمد: (٤٧٩٨) والترمذي: (٢٦٠٩) والنسائي (٥٠٠١)

فائدة: قد ورد من حديث عبد الله بن عمر وجريير بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

أنظر: الإرواء (٣/ ٢٤٨)

قال النووي: في شرح مسلم (١/ ١٧٩): هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين وعليه اعتماده وقد جمع أركانه والله أعلم.

وقال ابن حجر: في الفتاح (١/ ٤٩): لم يذكر الجهاد لأنه فرض كفاية ولا يتعين إلا في بعض الأحوال. قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يعني أن هذه الخمس أساس دين الإسلام وقواعده التي عليها

هذا الحديث فيه ذكر دعائم الإسلام ومبانيه العظام وهي الأركان المعروفة
أركان الإسلام كما تقدم لنا في الحديث السابق وإنما أعادها المؤلف مرة ثانية
لأهميتها ولأنها جاءت في حديث خاص حديث ابن عمر وصدره النبي ﷺ بقوله:
«بني الإسلام» فهذه أركان الإسلام أعمدة الإسلام ولا يقوم أي بناء إلا بأركان.

كما قيل:

بناء الأمور بأهل الدين ما صلحوا وإن تولوا فبالأشرار تنقاد
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
البيت لا يبن إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتادا



بني وبها يقوم وإنما خص هذه بالذكر ولم يذكر معها الجهاد مع أنه يظهر الدين ويقمع عناد الكافرين
لأن هذه الخمس فرض دائم والجهاد من فروض الكفايات وقد يسقط في بعض الأوقات. شرح ابن
دقيق العيد للأربعين (ص/ ١٩)

وقال ابن رجب: والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس فهي كالأركان والدعائم
لبنائه...

والمقصود تمثيل الإسلام بالبنیان ودعائم البنیان هذه الخمس فلا يثبت البنیان بدونها وبقية خصال
الإسلام كتتمة البنیان فإذا فقد منها شيء نقص البنیان وهو قائم لا ينقص بنقص ذلك بخلاف نقص
هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بفقدائها جميعا بغير إشكال. جامع العلوم (ص/ ٤٣)

[٤]

{ أطوار خلق الإنسان وخاتمته }

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ^(١) رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا» رواه البخاري ومسلم ^(٢).

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار أبو عبد الرحمن الهذلي المكي حليف بني زهرة رضي الله عنه كان من السابقين الأولين ومن مهاجرة الحبشة شهد بدرا واحتز رأس أبي جهل فأتى به النبي ﷺ كان أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ. أسلم قبل عمر رضي الله عنه وقد قال له النبي ﷺ إنك لغليم معلم، وأخى بينه وبين الزبير. مات بالمدينة في آخر سنة اثنتين وثلاثين. أنظر: السير (١/ ٤٦١-٤٩٩) ترجمة (٨٧) وتذكرة الحفاظ (١/ ١٦-١٨) ومعرفة القراء الكبار (١/ ٣٦٢-٣٦٣).

(٢) رواه البخاري (٣٠٣٦، ٣١٥٤، ٦٢٢١، ٧٠١٦)، ومسلم (٢٦٤٣) وأحمد (٣٦٢٤، ٣٩٣٤، ٤٠٩١) وأبو داود: (٤٧٠٨) والترمذي: (٢١٣٧)، والنسائي في الكبرى (١١٢٤٦) وابن ماجه: (٧٦).

هذا الحديث الرابع هو حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود وهو من علماء الصحابة ومن السابقين الأولين رآه عمر بن الخطاب فقال: «كنيف ملئ علماً»^(١) فكان من العلماء الراسخين في العلم رضي الله تعالى عنه وأرضاه وله مناقب كثيرة وكان من النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راضي عنهم يروي هذا الصحابي الجليل قائلاً: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق وله أن يقول: سمعت أو قال أو أخبرنا فكل هذه العبارات تصب في مصب واحد فلا فرق فيما بينها والصادق هو الذي كلامه يطابق الواقع غير الكاذب فإن كلامه يخالف الواقع الذي هو فيه فيقول: وهو الصادق المصدوق أي المصدق عند الآخرين فهو ﷺ صادق في قوله ومصدق لدى الآخرين لأنه لم تعلم له كذبة كذبها بل كان قبل البعثة يلقب بالصادق الأمين فيقول ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة» والنطفة أشبه ما تكون بالقطرة من الماء بعد أن يضعها الرجل في رحم امرأته تكون هذه بمثابة النطفة يمر عليها أربعون يوماً.

قال: «ثم يكون علقة مثل ذلك» والعلقة القطعة من الدم.

قوله: (أربعين يوماً نطفة) ليست في الصحيحين بل ليست في الأمهات. والذي في: (الصحيحين) بلفظ: (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل...) الحديث. هكذا رواه ما يزيد عن عشرين راوياً عن الأعمش وخالفهم جرير بن حازم عن ابن وهب في القدر: (٣٧) فرواه عن الأعمش. بلفظ: (تكون النطفة في الرحم أربعين يوماً نطفة،....) الحديث. وأنظر: تحقيق الأربعين للرازي (ص/٢٤).

(١) أنظر: الموطأ (٦٠٦) والحاكم (٥٣٩١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي والألباني في الإرواء (٢٨٠/٧) وتاريخ دمشق (٦٢/٣٣) والبداية والنهاية (٣٣٦/٥) الوافي في الوفيات (٢٥٠٢/١).

قال «ثم يكون مضغة مثل ذلك» والمضغة القطعة من اللحم فهذه مائة وعشرون يوما يعني أربعة أشهر ومن هذا الحديث استفاد العلماء ومن قوله ﷺ: «يرسل الملك فينفخ فيه الروح» استفادوا أن هذا الجنين إن سقط من بطن أمه بعد استكمال أربعة أشهر لا بد أن يغسل ويصلى عليه لأنه قد صار إنسانا وهكذا قبل هذه الفترة ما كان يعلم به إلا الله ﷻ أعني من حيث الذكورة والأنوثة وهذا مصداق قول الله ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان ٣٤] ففي هذه الفترة لا يعلم أحد من البشر هذه النطفة العلقة المضغة إلا الله ﷻ بعد أن يتخلق قد يُعلم. وما كان هذا حديث الساعة بل قد نظرت في شرح هذا الحديث فكان بعض الناس في العصور القديمة من خلال الحمل أو من خلال البول بول المرأة يستطيع أن يميز أهو ذكر أو أنثى وفي عصرنا هذا كان الطب الحديث أمراً خارقاً للعادة من حيث حدائته وإبداعه لكن مع ذلك لا يستطيعون التمييز أهو ذكر أم أنثى إلا بعد مرور أربعة أشهر لكن بقيت هناك أمور الآيات تشملها من خلال هذا الجنين فهو لا يعلم أهو شقي أو سعيد غني أو فقير ذكي أو بليد سيطول عمره أم سيقصر أمور كثيرة جدا هم يجهلونها

يا مدعي للعلم معرفة علمت شيئا وضاعت عنك أشياء

قال: «ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح» وهذا الملك لم يسم لنا فهو ملك من الملائكة يرسله الله ﷻ في هذه المهمة والألف واللام هل تفيد الجنسية؟ أي أنهم ملائكة كثيرون أو هو واحد؟ الله أعلم. رسول الله ﷺ يقول: «ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» هذا ما يسمى بالتقدير العمري وهي المرتبة الثانية من مراتب التقدير لأن مراتب التقدير

أربع: وقد ذكرناها في الحديث الثاني لكن هذه الكتابة هي تكون بيد الملك فلذلك يحصل فيه نوع من التغيير بخلاف ما كتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ كما قال الله ﷻ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد ٣٩] وحديث أبي هريرة في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: **إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**». وفي رواية «غَلَبَتْ غَضَبِي»^(١).

فهذا كتاب بأيدي الملائكة يكتبون ما لهذا الشخص من الأرزاق والآجال والأعمال والشقاوة والسعادة بأمر من الله ﷻ لكنه قد سبق في علم الله ما لا يعلمه هؤلاء الملائكة الموكلون بمثل هذه الأعمال.

فيقول نبينا ﷺ: «فو الله الذي لا إله غيره» ومن هذا الحديث استفاد العلماء جواز الحلف وإن لم تستحلف والأدلة كثيرة في هذا الباب لك أن تحلف دون أن تستحلف قال: «فو الله الذي لا إله غيره» مع أنه ما حلفه أحد «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة» يعني من الصلاة والصيام والأعمال الصالحة «حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع» يعني بقي قليل ويدخل الجنة «فيسبق عليه الكتاب» يعني ما كتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ «فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

هذا الحديث أصل في باب القدر وفي باب الخوف وفي باب أن العمل بالخواتيم وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد كان كثير من العلماء إن تذكروا هذا الحديث أخذتهم العبرة فيكون ولسان حالهم:

(١) في الصحيحين: وقد سبق.

إن تنج منها تنج من ذي عزيمة وإلا فلا أخالك ناجيا

هذا حديث في البخاري: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ حَتَّى جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ فَجَعَلَ ذُبَابَةٌ سَيْفِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مُسْرِعًا فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ وَمَا ذَاكَ قَالَ قُلْتَ لِفُلَانٍ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِنَا غَنَاءً عَنْ الْمُسْلِمِينَ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»^(١) هذا خبر رجل كان يجاهد في سبيل الله فلا يترك من شاذة ولا فاذة إلا صعد وصعق وراها فقال النبي ﷺ: «ألا أريكم رجلا من أهل النار؟ فأشار إلى ذلك الرجل» حتى كاد إيمان الصحابة يتزعزع ويتقلقل في قلوبهم

سبحان الله هذا رجل يقاتل بهذه الشجاعة ومع ذلك يكون من أهل النار فقال أحد الصحابة: أنا صاحبه

فما زال يمشي معه إن توقف وقف وإن أسرع أسرع فأصيب هذا الرجل بجراحة فما استطاع أن يصبر

فأخذ حديدة فوضعها في بطنه ثم تحامل على نفسه حتى خرجت من ظهره

(١) رواه البخاري: (٦١١٧) والطبراني في الكبير: (٥٧٨٤) وانظر كنز العمال: (١٥٧٤) وكشف الخفاء:

فجاء الرجل وهو يقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فأخبره الخبر فقال النبي ﷺ حينها: «إنما الأعمال بالخواتيم». فإذا رأيت نفسك مقبلا على الطاعة فاسأل ربك الإخلاص وإياك والغرور وإن رأيت غيرك مستقيما على المعصية إياك أن تقنطه أو تقطع له بأنه من أهل النار وبأنه لا يصلح فربما سبق عليه الكتاب وسبق عليك الكتاب فيكون هو من أهل الجنة وتكون أنت من أهل النار جاء في مسند أحمد من حديث أبي هريرة قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلَانِ كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ وَكَانَ الْآخَرُ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ فَكَانَا مُتَاَخِضِينَ فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ لَا يَزَالُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ فَيَقُولُ يَا هَذَا أَقْصِرْ فَيَقُولُ: خَلَّنِي وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ قَالَ إِلَى أَنْ رَأَاهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ فَقَالَ لَهُ وَيْحَكَ أَقْصِرْ قَالَ خَلَّنِي وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ قَالَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا. قَالَ أَحَدُهُمَا قَالَ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا وَاجْتَمَعَا فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلْآخَرِ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَكُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي حَازِنًا اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»^(١).

فدخل المتألي النار ودخل العاصي الجنة.

فرب طاعة أوصلتك إلى النار ورب معصية أوصلتك إلى الجنة وليس معنى هذا أن تقول: أنا أعصي الله من أجل كذا.

اسأل ربك الثبات وإنما معنى كلامي لا يغتر الطائعون بطاعتهم ولا ينبغي للطائعين أن يقنطوا العاصين

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٢٧٥، ٨٧٣٤) وأبو داود (٤٩٠١) وابن حبان (٥٧١٢) والبيهقي في الشعب (٦٦٨٩) عن أبي هريرة، وصححه الألباني: صحيح أبي داود: (٤٩٠١)، وصحيح الجامع: (٤٤٥٥).

فإن نواصي العباد بيد الله ﷻ وقلوبهم بين يديه فاسأل ربك الثبات.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» (١).

ويقول ﷺ: «يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ» (٢).

فأنت اسأل ربك دائما أن يصرف قلبك على الطاعة وأن يعينك على طاعته فقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل قال له: «من أحدث في قل: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» (٣).

وكان النبي ﷺ يبكي وهكذا عمر رضي الله تعالى عنه كان يبكي من سوء الخاتمة وغيرهم من السلف كثيرا كانوا يخافون من سوء الخاتمة.

(١) صحيح: رواه البخاري: في الأدب المفرد: (٦٨٣) وأحمد: (١٢١٢٨) والترمذي: (٢١٤٠) وابن ماجه: (٣٨٣٤) بلفظ: (اللهم ثبت قلبي على دينك) والحاكم: (١٩٢٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه وهو عن عائشة عند أحمد (٢٤٦٤٨) وعن أم سلمة عند أحمد: (٢٦٥٦٢) والترمذي: (٣٥٢٢) والطيالسي: (١٦٠٨)، وعن النواس عند أحمد (١٧٦٦٧) والحاكم: (١٩٢٦) وابن ماجه (١٩٩) وعن شهاب الجرمي عند الترمذي (٣٥٨٧) وصححه الألباني: في الصحيحة: (٢٠٩١) وصحيح الجامع: (٧٩٨٨، ٧٩٨٧، ٤٨٠١).

(٢) رواه مسلم: (٤٧٩٨) وأحمد: (٦٥٦٩) والنسائي في الكبرى: (٧٧٣٩) عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٣) صحيح: رواه أحمد: (٢٢١٧٢) وأبوداود: (١٥٢٢) والنسائي: (١٣٠٣) والبخاري في الأدب (٦٩٠) والحاكم: (١٠١٠) والطبراني في الكبير: (١١٠) والبيهقي في الشعب: (٤٤١٠) وابن حبان: (٢٠٢٠) ابن خزيمة في صحيحه (٧٥١) عن معاذ بن جبل. وهو في مصنف عبد الرزاق: (١٩٦٣٢) عن هشام بن عروة عن أبيه. وصححه الألباني: صحيح الترغيب والترهيب: (١٥٩٦) وصحيح الجامع: (٧٩٦٩).

نسأل الله ﷻ أن يختتم لنا ولكم وللمسلمين والمسلمات بالحسنى وبالخير إنه
على كل شيء قدير.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.



[٥]

{ إبطال المنكرات والبدع }

وعن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري ومسلم^(١).

وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

عائشة هي بنت أبي بكر الصديق^(٣) التي نزلت براءتها من السماء وقد تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست سنوات وبنى بها في شوال وهي بنت تسع سنوات وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة فكانت تحفظ من الحديث ألفين ومائتين وعشرة وهي أحفظ نساء الأمة وأعلم نساء الأمة باتفاق ولها فضل ومزايا يكفيها فخرا وشرفا أنها زوجة رسول الله ﷺ وأنها من أمهات المؤمنين وأنها عروسة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة وكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ في لحافها وكان لها من المزايا ما جعل أهل العلم يتوقفون في الأفضلية بينها وبين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها

(١) رواه البخاري: (٢٥٥٠) ومسلم: (١٧/١٧١٨) وأحمد: (٢٦٠٧٥) وأبو داود: (٤٦٠٦) وابن ماجه:

(١٤) وغيرهم.

(٢) رواه مسلم (١٨/١٧١٨) وعلقه البخاري في كتاب البيوع (٧٥٣/٢) وفي كتاب الإعتصام (٢٦٧٥/٦) من صحيحه ورواه أحمد (٢٥٥١١).

(٣) أنظر: الإصابة (١٦-٢٠ رقم: ١١٤٥٧) والطبقات الكبرى لابن سعد (٥٨/٨) وغيرهما من كتب السير والتراجم.

وأرضاها. والقول الفصل في ذلك أن لكل واحدة منهما مزية فلخديجة مزايا: نصرت النبي ﷺ وثبته وواسته في مالها ونفسها وكل أولاد النبي ﷺ منها فلها قدم الصدق في الإسلام حتى أن جبريل يقول للنبي ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبٍ»^(١) وعائشة رضي الله تعالى عنها كان عندها من العلم والفقه والزهد ما ليس عند خديجة رضي الله تعالى عنها وأرضاها. فكلا المرأتين من أمهات المؤمنين ومن زوجات النبي ﷺ وقد تكنت هذه الصحابية الجليلة بآبئ أختها أسماء المعروف بعبد الله بن الزبير الرجل العابد الشجاع رضي الله تعالى عنه وأرضاها. تروي هذه الصحابية الجليلة هذا الحديث العظيم قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا» من أحدث أي من اخترع من ابتدع في أمرنا أي في ديننا وفي شريعتنا «مَا لَيْسَ مِنْهُ» أي ليس من الدين. وتأمل إلى لفظة: (من) أيًا كان شكله وجنسه وعظمته ولونه ومقامه ووجاهته فلا يجوز له أن يضيف إلى الدين ما ليس منه كما قيل:

لو كنت الله التقى الأطوع ما كان ذلك في الشرع أن تبدع

فهذا الحديث ميزان عظيم للأعمال الظاهرة وذلك أن حديث: «إنما الأعمال بالنيات» ميزان للأعمال الباطنة فكل عمل لا بد له من نية ويجب أن تكون خالصة لله ﷻ ولا بد للعمل الصالح من شرطين:

١ - الإخلاص: ودليله حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات) وغيره من الآيات الأحاديث.

(١) روه البخاري: (٣٦٠٩، ٧٠٥٨) ومسلم: (٢٤٣٢) وأحمد: (٧١٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- الإتياع: وهو إتياع النبي ﷺ وإلا كان هذا العمل باطلاً مردوداً.

فهذا الحديث أصل في رد كل المحدثات لذلك عظم العلماء شأن هذا الحديث وجعلوه قاعدة عامة في هذا الباب «من أحدث في أمرنا» أي من ابتدع والبدعة لغة: الاختراع كما قال ربنا سبحانه: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْنَا وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف ٩].

أي أنا ليست طريقتي وليست بعثتي أمراً مخترعاً بل أنا أمشي على سالف من قبلي من الأنبياء

فالبدعة في اللغة مأخوذة من الابتداع وهو الاختراع. وفي الشرع وهي على

قسمين:

(١) بدعة لغوية (٢) وبدعة شرعية فالبدعة اللغوية: ما لم يكن موجوداً زمن النبي ﷺ زمن المهاجرين والأنصار زمن تنزل الوحي سواء كان هذا أمراً لغوياً أو أمراً شرعياً فاللغوية مباح مثل وجود هذا الجهاز الذي أنا الآن أتكلم إليه أو هذه الماسة والبوية هذه وهكذا الساعات والكهرباء والتسليح والتلفون والسيارات والطائرات والكمبيوتر فهذا يسمى بدعة لغوية وجودها كعدمها هذه من الزينة التي أنعم الله تعالى علينا بها كما قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف ٣٢].

فهذا من البدع الجائزة بدعة لغوية لا تؤثر على الدين بل ربما كانت سبباً في إيصال الخير للناس مثل التلفونات سببت تسهلاً لمعاملات المسلمين عبر الاتصال

والإرسال وما إلى ذلك.

وأما القسم الثاني فهي البدعة الشرعية وهي التي أضيفت إلى الشرع وهو ما أحدث بعد موت النبي ﷺ بقصد التعبد لأن الله ﷻ أكمل دينه بالنبي ﷺ.

فلا يحتاج إلى استدراك ولا إلى زيادة لأن الله يقول: ﴿أَيُّوْمًا كَمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] الآية واضحة المعنى.

ويقول سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَوْ يَآذِنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١] والإمام الشافعي رحمه الله في آخر كتابه الأم عقد فصلا بعنوان الاستحسان.

وقال رحمه الله تعالى: «من استحسن فقد شرع»^(١) فهذا النوع من البدع محرمة.

حرام لماذا؟ لأن فيها استدراكا على الله وكأن المبتدع يقول: إن رسول الله ما بلغ حق البلاغ والله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧] فرسول الله بلغ أكمل البلاغ وأدى أكمل الأداء وأحسن كل الإحسان كما قيل. فهذا النوع من البدع محرم لأن الشخص يسن أشياء ويعمل أشياء لم ينزل الله بها من سلطان إذن لا بد أن نفهم حديث النبي ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا» أنه أي الحديث خاص بالبدعة الشرعية لا في البدعة اللغوية فهي حلال جائز مثل الصوتيات مثل تأليف الكتب مصطلح الحديث هذا ما كان زمن النبي ﷺ مثل الآن إشارات المرور والسجون والترتيب والتنظيم في الوظائف في أعمال الناس هذه التقنية وهذا الترتيب

(١) أنظر: الأحكام للأمدى (٣/ ٢٠١) ونهاية السؤل (٤/ ٣٩٩).

ما كان موجوداً زمن النبي ﷺ لكن الحاجة تمس إليه وهكذا ما يتعلق بالمصالح المرسلة التي أطلقها الشرع «والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها» (١) فدين الله ﷻ عظيم فما كان من شيء فيه مصلحة تحقق هدفاً من أهداف الضرورات الخمس: وهي حفظ الدين والعقل والنفس والمال والعرض، فهذا لا يقال عنه بدعة إطلاقاً لكن البدعة هي التي أضيفت إلى شرع الله فما كان من أمر فيه مصلحة وكانت هذه المصلحة تعود على الدين حفاظاً على الدين على النفس على المال على النسل على العقل هذه من المصالح المرسلة التي هي من دين الله ﷻ فلا يأتي إنسان يقول: هذه الكهرباء بدعة لأنها ما كانت زمن النبي ﷺ تقول له يقول لك: لا بد أن لا تستعملها وهكذا السيارات يعني بدعة والكراسي والفراش بدعة والسبورات والطباشير تقول له: أنت أيضاً بدعة لأنك ما كنت موجوداً زمن النبي ﷺ فأنت الآن وجودك ضرر. هذه تسمى بدع لغوية وجودها كعدمها لا تؤثر على دين الله المؤثر ما كان في دين الله، لأن كون وجود أئمة بني أمية مسجداً للنبي ﷺ حينما بني ما كان فيه أئمة بني أمية ولا كان فيه مراوح ولا كان فيه هذه البنايات الضخمة هذه من البدع اللغوية لكن البدع المحرمة هي التي تضاف إلى دين الله ما ليس منه يعني شخص - بارك الله فيكم - قال: إنه سيصلي الصبح أربع ركعات تقول: هذه بدعة لأن صلاة الصبح ما هي إلا ركعتان فقط رجل أراد أن يتزوج لا داعي لوجود الولي بل المرأة تزوج نفسها نقول: هذه بدعة وهذا شيء حرام لأن النبي ﷺ نهى عن هذا وقال «لا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّي» (٢).

(١) أنظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٥).

(٢) رواه أحمد: (١٩٥٣٦) وأبو داود: (٢٠٨٥) والترمذي: (١١٠١) وابن ماجه: (١٨٨١) عن أبي موسى =

على أية حال هذا الحديث حديث: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا» يدخل في جميع الأبواب أبواب الفقه فهو يدخل مثلاً في باب الطهارة. النبي ﷺ يقول: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (١).

وحديث حُمُرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ في الصحيحين: أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِوُضُوءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ فغَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوُضُوءِ ثُمَّ تَمَضَّمْضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرُ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا وَقَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

فلو أن شخصاً قال: أنا أتوضأ أربعاً أغسل وجهي أربعاً... إلى آخره نقول الآن: أنت ابتدعت في دين الله لأن الرسول ﷺ يقول: «فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ» (٣).

والحديث قد جاء عن أبي هريرة وعلي وأبي بردة وجابر وابن عباس وعمران بن الحصين وعائشة رضي الله عنهم أجمعين. وصححه الألباني: صحيح الجامع: (٧٥٥٥) وانظر: الإرواء (٣/ ٢٣٥) وما بعدها.

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) رواه البخاري (١٥٨، ١٦٢، ١٨٣٢، ٦٠٩٦) ومسلم (٢٢٦) وأحمد (٤١٨) وأبوداود (١٠٦) والنسائي (٨٤، ٨٥، ١١٦) وابن ماجه (٢٨٥) وغيرهم.

(٣) صحيح: رواه أحمد: (٦٦٨٤) وأبو داود: (١٣٥) وفيه زيادة: (أو نقص) بعد قوله: (فمن زاد) ورواه النسائي: (١٤٠) وابن ماجه: (٤٢٢) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

وقال الألباني: حسن صحيح أنظر صحيح سنن النسائي (١٤٠) وقال (ولفظه أو نقص شاذة) صحيح أبي داود (١٢٣) والصحيحة (٢٩٨٠) وإصلاح المساجد (٢١١).

لكن لو قال: أنا أتوضأ مرتين مرتين أو مرة مرة هذا جائز فقد ثبت هذا عن النبي ﷺ^(١). رجل دخل المسجد بعد العصر فقال: لا بد أن أصلي ركعتين نافلة لكن بعد أن صلى تحية المسجد.

فهذا الشخص قال: أنا بدل ما أبقى في المسجد هكذا أو نائم ليش ما أقوم أصلي لأن الصلاة عبادة ركن من أركان الإسلام ولها فضل فأنا أقوم أتفعل. نقول النبي ﷺ نهى عن التنفل المطلق بعد العصر^(٢) رأى سعيد بن المسيب رجلاً يكرر الركوع بعد طلوع الفجر فنهاه فقال: يا أبا محمد! أيعذبنى الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة^(٣). وهكذا فيما يتعلق بأمر الزكاة رجل فرض على الناس أن يزكوا قبل أن يحول الحول نقول: هذا ابتدع فرض على الناس أن يخرجوا الزكاة على الذهب إن بلغ مثلاً خمسين جراماً نقول: خالفت لأنه قُنع في الشرع لا بد أن يصل الذهب إلى خمس وثمانين جرام رسول الله ﷺ يقول: «لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ»^(٤) فرجل باع ما ليس عنده نقول: ابتدعت في دين الله. رجل استعمل النجش

(١) ثبت أنه توضأ لكل عضو مرتين مرتين في البخاري: (١٥٧) عن عبدالله بن زيد.

وثبت أيضاً أنه توضأ لكل عضو مرة مرة في البخاري: (١٥٦) عن ابن عباس.

وثبت أنه غسل بعض أعضائه ثلاثاً وبعضها مرتين في البخاري: (١٨٣) ومسلم: (٢٣٥) عن عبدالله بن زيد.

(٢) روى ذلك البخاري: (٥٦١، ١١٣٩) ومسلم: (٨٢٧) عن أبي سعيد الخدري. عن النبي ﷺ قال: «لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس» وروى الجماعة عن ابن عباس مثله.

(٣) صحيح: سنن الدارمي: (٤٣٦) وعبد الرزاق: في مصنفه: (٤٧٥٥) والبيهقي في الكبرى (٤٢٣٤)

وصححه الألباني: في الإرواء (٢/٢٣٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد: (١٤٧٧٢) أبو داود: (٣٥٠٣) والترمذي: (١٢٣٢) والنسائي (٤٦١٣) وابن

وهو الزيادة في الثمن من غير أن يريد شراءها نقول: الآن أوقعت نفسك في البدعة وهذا في باب البيوع. رجل صام رمضان قبل أن تتحقق رؤية الهلال والنبي ﷺ يقول: «صُومُوا لِرُؤْيَيْتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْتِهِ»^(١) أو صام مثلاً يوم الشك^(٢) أو أفطر قبل أن تغرب الشمس نقول: ابتدعت في دين الله ما ليس منه وكل هذا لا بد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع رجل حج إلى بيت الله الحرام لكنه لم يصعد مع الناس يوم النحر يوم الثامن ذي الحجة ما طلع مع الناس إلى منى انظر حتى نزل الناس من منى يوم العيد أو ثاني العيد نزلوا من عرفات فذهب يحج وحده نقول: ابتدعت في دين الله وأدخلت فيه ما ليس منه وهكذا فيما يتعلق بأمر القرض والحوالة والشركة والهبة والنحلة والصدقات أمور كثيرة جداً من خالف فيها أمر الله أو أمر النبي ﷺ فيخشى عليه من البدعة. لكن هنا مسألة هامة جداً متى يخرج العبد من دائرة السنة والسلفية حتى يصنف من أهل البدع؟ والجواب على هذا: لا يخرج من دائرة السنة إلى دائرة البدعة ومن دائرة الفرقة الناجية إلى الفرق الهالكة إلا إن اعتقد عقيدة المبتدعة لأن البدع منها بدعة عقائدية وبدعة تعبدية وبدعة مالية وبدعة تركية فإن كانت البدعة بدعة عقائدية كأن يعتقد عقيدة المعتزلة الجهمية الخوارج الأشاعرة الإباضية هذا يصنف على أنه من الفرق الهالكة ومن الاثنتين والسبعين الفرقة التي قال النبي ﷺ في الحديث: «سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» قيل: ومن هي؟

ماجدة (٢١٨٧) عن حكيم بن حزام. وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٢٠٦) والمشكاة (٢٨٦٧).

(١) البخاري: (١٨١٠) ومسلم: (١٠١٨) وغيرهما عن أبي هريرة.

(٢) يوم الشك: هو اليوم التالي للتاسع والعشرين من شعبان إذا غم الهلال. أنظر: معجم لغة الفقهاء

قال: «الْجَمَاعَةُ»^(١). وفي رواية: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(٢).

لكن هذا الذي عنده من هذه البدع التي ذكرت تسمى بدعته بدعة مفسقة ليست مكفرة بدعة غير مخرجة من الملة. أما تلك بدعة مخرجة من الملة. لأن البدعة على قسمين. أيضا بدعة صغرى وبدعة كبرى مكفرة ومفسقة مخرجة وغير مخرجة من الملة. فهذه المسائل مسائل التبديع والتفسيق والتكفير ليس مآلها إلى طلاب العلم الصغار وإنما مآلها إلى الراسخين في العلم من العلماء الذين يستطيعون أن يقايسوا بين الأمور وأن يعطوا كل ذي حق حقه، والعلماء الكبار هم الذين يقيسون مثل هذا وعلى ذلك يتنزل الهجر فإن كان هذا الذي قد خرج على دائرة السنة والجماعة ورأى العالم التحرير أنه يجب أن يهجر هذا لأن الهجر هو بمثابة الدواء، والدواء لا يكون إلا في حالة الإضرار لو أن شخصا سليما معافى يذهب إلى الصيدلية ويقول: أنا أريد دواء لكذا وكذا. هذا يسبب له أضرارا لكن لا بد من طيب حاذق يصف الدواء لهذا المريض فهذا المبتدع هو مريض يحتاج إلى دواء ودواؤه بالقرآن والعلم النافع سنة النبي ﷺ فقه السلف الصالح والنصيحة كما قال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»^(٣) فتتخذ بعض الإجراءات.

ففي نهاية المطاف إذا رأى العالم البصير أن يهجر ورأى المصلحة في هجره

(١) صحيح: رواه أحمد (١٦٩٧٩) أبو داود: (٣٩٨١) وابن ماجه: (٣٩٨٢) والحاكم (٤٤٣) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وصححه الألباني: شرح العقيدة الطحاوية (٢٩٠) والظلال (٢، ٦٥)، والصحيحة (٢٠٤)

(٢) حسن رواها الترمذي: (٢٦٤١) والحاكم: (٤٤٤) وابن بطة في الإبانة: (١). عن عبدالله بن عمرو والطبراني: في الأوسط: (٤٨٨٦) عن أنس. وحسنها الألباني: في سنن الترمذي: (٢٦٤١).

(٣) رواه مسلم: (٥٥) وسيأتي.

هُجِرَ وإلا فلا يهجر لأن العالم لا يبحث عن عثرة لهذا وإنما يريد أن يفني إلى رشده وأن يترك ما عنده من الأهواء والبدع لكن لو استمر هذا المبتدع يكابر وينظر ويدعو إلى بدعته ويحث عليها وله تأثير في المجتمع وله أتباع وكانت بدعة مكفرة بدعة تدعو الناس إلى الهاوية فعلى طلاب العلم وعلى العلماء أن يحذروا منه ومن مجالسته ومن حضور مجالسه لأنه مفسد في الأرض كبدعة الصوفية الذين أدخلوا في دين الله ما ليس منه بالأمر القريب كان الملحق الثقافي فيه كلام على الصوفية وكانت الشخصية المنتقاة في هذا العدد محمد يحيى الجنيد وهو رافضي وصوفي أيضا مزج بين الرفض والتصوف ويدعو إلى ما عنده من الأهواء وهكذا أيضا ما هو حاصل في القنوات الفضائية من قبل الجفري وما عنده من الولع الشديد للبدعة وهكذا عمر باحفيظ وكل من كان يدعو إلى هذا المبدأ العفن الخبيث مبدأ الصوفية الذي قال قائلهم يرد بذلك على سنة النبي ﷺ قال:

كم بين قول عن أبي عن جده وأبي أبي فهو الإمام الهادي
وفتى يقول روى لنا أباينا ما ذلك الإسناد من إسناد

ويقول قائلهم: حدثني قلبي عن ربي وتاريخ هذه الطائفة تأريخ أسود من قديم الزمان وهكذا الرافضة الذين ينظرون محمد بن حسن العسكري الذين يظنون أنه في سرداب سامراء ويتظنون خروجه ما يسمى عندهم بمهدي الشيعة المهدي الخرافة كما قال القائل:

أما أن للسرداب أن يلد الذي كلفتموه بزعمكم ما أنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

فهم في سراب وفي أوهام هذه من البدع الكبار. أما شخص عنده بعض

المخالفات لا تقره على مخالفته بل لا بد أن ينصح وأن يزجر وأن يتعامل معه المعاملة الشرعية من غير ظلم لا يجوز لنا أن نظلم لا ينبغي لك أن تظلم خلق الله أما ما عليه إخواننا السلفيون في هذا الزمان حينما هجروا إخوانهم طلاب العلم الذين هم معهم في صف واحد كما يعلم الله ﷻ على دين متين كتاب وسنة وفهم السلف الصالح لكنهم يخالفونهم في بعض الآراء فما كان إخوانهم هؤلاء من جاءوا البدع من القول فلقد كانت مدرسة الرأي تخالف أهل الحديث والأحناف يخالفون المالكية والمالكية يخالفون الشافعية والشافعية يخالفون الحنفية وهكذا الاختلاف سائع إن كان له اعتبار كما قيل:

وليس كل خلاف جاء معتبر إلا خلاف له حظ من النظر

فاختلف إخواننا مع إخواننا في بعض المسائل الاجتهادية التي وجدت في الساحة فهؤلاء شدوا فيها وظلموا وأساءوا وتعدوا وبغوا والعياذ بالله وألصقوا فيهم التهم وصبوا عليهم جام الويلات الصحيحة والغير صحيحة وإلى الله ﷻ المشتكى بل كانوا يقولون: إن عندنا عشرين أصلاً فاسداً وفي نهاية المطاف لم يجدوا من ذلك شيئاً منذ أربع أو خمس سنين إلى موقفنا هذا لم يوجد من ذلك شيء فقال لهم بعض العوام: أما تتقون الله تعالى تقولون إن عند هؤلاء عشرين أصل ثم لم يوجد من ذلك شيء لما لم تتوبوا إلى الله ﷻ ثم وجدت أخطاءاً للفريق الأول أخطاء كثيرة جداً في العقيدة وفي المنهج وفي السلوك في جميع أبواب العلم وكانت أخطاءهم مغفورة وليس عليها شيء وإنما هكذا يعني هذه الأخطاء هي صواب أعوذ بالله على أن أخطاءهم واضحة ومدلل على تلك الأخطاء من القرآن ومن حديث النبي ﷺ ومن هدي السلف الصالح لكن نعوذ بالله من الظلم والإفتراء والطغيان.

فحق غيرهم ما عند غيرهم من الخطأ يعلنوه وينشروه ويرفعونه إلى أعلى المستويات من التخطئة والتهيج والتنفير. وإن وجدت عندهم أخطاء هم حاولوا كتمها ونسيانها وينصحون إخوانهم ببعض يتحملون بعض المعاذير يقولون: هذا الكلام أنتم الآن ما تفهمونه هم يريدون من ذلك أشياء ولهم دليل على هذا الكلام وهم ما يريدون كذا على أن هناك والله أخطاء واضحة ربما لبعض العوام على أننا نقول: هذه الأخطاء لا يسلم منها أحد ونحن نخاف الله ﷻ أن نصفهم ببدعة أو نخرجهم من دائرة السلفية كما أخرجوا إخوانهم هم الآن إخواننا يمشون على أصول غير صحيحة وغير ممحصّة فيما يتعلق بالأصل الأصيل الذي هو متى يخرج الرجل من السلفية إلى أهل البدع فهم يعدون دراسة مثل هذا العلم ضياعاً للعلم وهذا تأصيل أعوذ بالله.

على أن مسألة الهجر ربما يهجر الشخص فيما هو أقل من هذا لكن إذا وجدت المصلحة. ويقول الألباني: إذا وجد المجتمع الإسلامي الذي هو كالبحر الطهور وإلا فعبد الله بن عمر رأى شخصاً يخذف بالحصى فنهاه فلم ينته قال: لا أكلمك أبداً بمعنى أنه هجره من أجل الخذف بالحصى.

وكان النبي ﷺ يهجر بعض أهله لكذبة عملها فيظل معرض عنه حتى يحدث توبة وهذا ما هو من أهل البدع وإنما هو من المعاصي ليس صائر إلينا وإنما هو إلى الله وإلى رسول الله ﷺ وأي عمل يخالف كتاب الله وسنة النبي ﷺ فهو عمل مردود فالله ﷻ لا يقبل أي عمل من الأعمال سواء كان عقيدة صلاة دعوة هجر أي أمر من أمور الدين إلا بشرطين اثنين: الأول: الإخلاص له ﷻ. والثاني: الإتيان لرسوله ﷺ.

فإذا أفقد العبد العمل هذين الشرطين كان هذا العمل مردوداً على صاحبه لا

يقبله الله ﷻ وإن كان كثيرا فالله سبحانه إنما يريد إحسان العمل كما قال سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [المملك ٢] قال فضيل بن عياض «أحسن عملا» أخلصه وأصوبه.

وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا الخالص: إذا كان لله والصواب: إذا كان على السنة^(١).



(١) تفسير البغوي: (١/ ١٧٥) حلية الأولياء (٨/ ٩٥).

[٦]

{الحلال بين والحرام بين}

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير ^(١) رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» ^(٢).

في هذا الحديث العظيم يبين نبينا ﷺ وهذا البيان هو من قبل الله لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا يَطُّقَنَّ أَهْوَاؤُكُمْ﴾ [النجم ٣]. ولأنه يقول: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ﴾

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس الأنصاري أبو عبد الله نزل الكوفة وكان يليها لمعاوية ثم ولي قضاء دمشق وقتل بحمص قتله خالد بن خلى الكلاعي بعد وقعة المرج براهط وكان عاملاً لابن الزبير على حمص وكانت أمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة وهو أول مولود ولد من الأنصار بالمدينة في جمادى الأولى سنة ثنتين من الهجرة فأُتت به أمه تحمله إلى النبي ﷺ فحنكه وبشرها بأنه يعيش حميداً ويقتل شهيداً ويدخل الجنة فعاش في خير وسعة.

البداية والنهاية (٨/ ٢٤٤) والثقات لابن حبان (٣/ ٤٠٩-٤١٠) ومشاهير علماء الأمصار (ص ٥١)

(٢) البخاري (٥٢، ١٩٤٦) ومسلم (١٥٩٩) وأحمد (١٨٣٩٨) وابن ماجه (٣٩٨٤) وهو عند أبي داود: (٣٣٢٩) والترمذي: (١٢٠٥) والنسائي: (٤٤٥٣) بمعناه دون ذكر القلب.

رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ، وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿[المائدة ٦٧].

يبين ﷺ أن الأشياء من حيث حلها وحرمتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

فالقسم الأول الحلال: هو ما دل الدليل الشرعي على حليته وهذا الحلال معروف ومعلوم وبين يقول سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿[المائدة ٥].

فهذا الحلال بين واضح لدى كل الناس مثل الطيبات اللحم النكاح الشرعي بالولي والشاهدين والماء حلال كذلك شرب العسل التداوي بغير الحرام أمور واضحة معروفة لدى القاضي والداني والعالم والجاهل هذه من المباحات الجائزة فعبر بما شئت فالنبي ﷺ يقول: «إن الحلال بين» وهكذا كل الطيبات يندرج تحتها كل ما استطابته الفطر السليمة فهو حلال فيجد العبد الطمأنينة والراحة النفسية والنبى ﷺ يقول: «والإثم ما حاك في نفسك» (١).

بمعنى أن غير الإثم لا يحيك في النفس لأن النفس مطمئنة به هذا هو القسم الأول من هذه الأقسام وهو الحلال وقد ضربنا بعض الأمثلة.

القسم الثاني الحرام: مرتكبه آثم وهو بين أيضا ودل الدليل على حرمة كقوله سبحانه: ﴿وَحَرِّمْنَا عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿[المائدة ٩٦]

(١) مسلم: (٢٥٥٣) وسيأتي رقم (٢٧) من الأربعين النووية.

هذا بلفظ التحريم.

كذلك قال الله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَدَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام ١٥١]. مثاله الزنا محرم وهو بين أيضا فزاد الله ﷻ بيانًا له فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ٣٢]. كذلك أيضا الربا قال الله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة ٢٧٨].

إذا عرفنا القسم الأول وهو الحلال المحض وهذا يؤجر العبد عليه ولا إثم إطلاقاً لأي حلال، والقسم الثاني وهو الحرام مثل الزنا السرقة الربا الرشوة أشياء كثيرة جدا فهذان القسمان معلومان لدى العلماء والجهال.

القسم الثالث: ما كان فيه شبهة فهنا ينبغي للعبد أن يترك هذا المتشابه احتياطاً وتورعاً من أن يلج في الإثم عرف أو لا يعرف لما ضرب النبي ﷺ المثل ثم قال: «لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» والمشتبه هو ما تتجاذبه الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وتتجاذبه المعاني وربما توقف في ذلك العالم وربما غيره لا يتوقف أعني من العلماء بدلالة قوله ﷺ: «لا يعلمهن كثير من الناس» ولكن كثير من الناس يعلمونها لأنه قال: «كثير» ولم يقل: أكثر فهذا المشتبه جهالته نسبية هو عند قوم مشتبه لكنه بين عند القوم الآخرين وهذا الإشتباه حاصل إما لقلة العلم أو لقلة الفهم أو لتقصير حاصل عند هذا الشخص لم يتحرك ويبحث عن معرفة هذا الحكم لذا قد يتوقف العلماء في هذه الفتوى وهذا ليس فقط في التحليل والتحريم مثلاً في المأكولات بل في المشروب

والمأكول والمنكوح والمركوب ويدخل في البيوع والربا والأقضية والعقيدة والتوحيد في أمور كثيرة جدا وقد ضرب العلماء لذلك أمثلة سوف أذكرها لكم --- لكن أستطيع أن أذكر لكم مثلا أكل القات كان من المتشابه على أننا نعتقد أنه محرم لغيره لا لذاته لكن هناك من العلماء من يقول: بحليته وجمهور أو أكابر العلماء في هذا الزمان يرون تحريمه فلا ينبغي للشخص أن يأخذ بالرخصة ويأخذ بقول الفريق الذي يرى حليته فوجب على الشخص أن يستبرئ لدينه فيما بينه وبين الله وعرضه أي فيما بينه وبين الناس لأن الإنسان إذا ارتكب المشتبه صار عرضة للحديث بين الناس فكان الأولى أن يتركه صيانة لدينه ولعرضه من أن ينال بأذى كذلك أيضا شرب الدخان كان من المتشابه على أن الآن المختبرات والتجارب والصحة العالمية مجمعون هؤلاء على أنه مضر وأي شيء أضر فهو حرام لأن النبي ﷺ يقول: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»^(١) لكن الشخص ربما يجد له بعض الرخص فيخرج منها وقد ذكر ابن دقيق العيد بعض الفوائد في هذا الباب قال رحمه الله: من باب المشتبه الذي تركه رسول الله ﷺ حيلة لدينه ولعرضه قال: وقد ثبت في الصحيحين^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: اختصم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة هذا يوم فتح مكة اختصموا في غلام فقال سعد: هو ابن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد إلي أنه ابنه انظر إلى شبهه الشبه بين بعتة بن أبي وقاص وقال عبد بن زمعة: هذا أخي ولد على فراش أبي من وليدته فنظر رسول الله ﷺ فرأى شبهًا بينا بعتة فقال: «هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ» فلماذا حكم به كذلك؟ حكم ﷺ بالشرع ولم يحكم بالعقل. الشبه

(١) صحيح بشواهده: وسيأتي برقم (٣٢) من الأربعين النووية.

(٢) البخاري: (١٩٤٨)، وموضع) ومسلم: (١٤٥٧) وأحمد (٢٤١٣٢) وأبو داود (٢٢٧٣) والنسائي

(٣٤٨٤) وابن ماجه (٢٠٠٤) عن عائشة رضي الله عنها.

حاصل والأمر فيما يبدو لأذهاننا أن يحكم به لسعد بن أبي وقاص لأنه ابن أخيه وقد عهد إليه هذا عن طريق الزنا فقال: «هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بَنَ زَمْعَةَ لَوْلَدٌ لِلْفِرَاشِ» والفراش كناية للمرأة «وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ» يعني الزاني الذي هو عتبة زنا بهذه الجارية أي لا شيء «وَاحْتَجَبِي مِنْهُ يَا سَوْدَةَ» سودة بنت زمعة من أمهاتنا أمهات المؤمنين

زوجة النبي ﷺ حينما شاخت وسنت أراد النبي ﷺ أن يطلقها فعلمت فقالت: أهب ليلتي لعائشة فكان يحب ذلك وكانت تحب ولاية النبي ﷺ ولا يأتيها وهذا جائز إن كان برضى صاحبة النوبة فبقيت تحته لتكون من أمهات المؤمنين فلها شرف الصحة وشرف الإنتساب إلى هذا الرسول العظيم. فهنا النبي ﷺ أخذ بالحيلة والحذر والورع والأمر مشتبّه. شبهه بعتبة وولد على فراش عبدة بن زمعة فيحكم به لعبدة بن زمعة لأنه ولد على فراش أبيه والشبه حاصل لأخ سعد بن أبي وقاص لأنه ابن أخيه عن طريق الزنا فتصرف النبي ﷺ تصرفاً شرعياً. بنسبته إلى عبدة بن زمعة ثم بعد ذلك يأمر سودة أن تحتجب من هذا الغلام وإلا فكان من المفترض أن يكون أخوها فلماذا تحتجب منه وقد حكم بأنه أخوها؟ لوجود الشبهة الحاصلة فتورع النبي ﷺ أنه ربما لن يكون أخو عبدة بن زمعة قال: فلم تره سودة قط قال: فقد حكم ﷺ بالولد للفراش وأنه لزمعة على الظاهر وأنه أخو سودة زوج النبي ﷺ وذلك على سبيل التغليب لا على سبيل القطع ثم أمر سودة بالإحتجاب منه للشبهة الداخلة عليه واحتياط لنفسه وذلك من فعل الخائفين من الله ﷻ إذ لو كان الولد ابن زمعة في علم الله لما أمر سودة أن تحتجب منه كما لم يأمر بالإحتجاب من سائر إختوتها عبدة وغيره تقابله ويقابلها هذا مثال للمشتبهات.

مثال ثاني: في حديث عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله إني أرسل كلبتي

وأسمي عليه فأجد معه على الصيد كلبا آخر قال: «لَا تَأْكُلْ، إِنَّمَا سَمَّيْتُ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى غَيْرِهِ»^(١) قال: فأفتاه رسول الله بالشبهة أيضا خوفا من أن يكون الكلب الذي قتله غير مسمى عليه فكأنه أهل لغير الله به وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤْخَذَ إِلَىٰ أُولِي الْأَيْمَارِ لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام ١٢١]. فكان في فتياه ﷺ دلالة على الاحتياط في الحوادث والنوازل المحتملة للتحليل والتحريم لاشتباه أسبابها وهذا معنى قوله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيكَ»^(٢).

إذاً هذا مثل. بقي تقسيم لهذا الأمر فنواصل الكلام من كلام ابن دقيق العيد قال: وقال بعض العلماء المشتبهات ثلاثة أقسام: منها ما يعلم الإنسان أنه حرام ثم يشك فيه هل زال تحريمه أم لا كالذي يحرم على المرء أكله قبل الزكاة إذا شك في ذكاته لم يُزال التحريم إلا بيقين الزكاة والأصل في ذلك حديث عدي بن حاتم المتقدم.

وعكس ذلك أن يكون الشيء حلالا فيشك في تحريمه كرجل له زوجة فشك في طلاقها أو أمة فشك في عتقها فمن كان على هذا القسم فهو على الإباحة حتى يعلم تحريمه والأصل في هذا الحديث عبد الله بن زيد فيمن شك في الحدث بعد أن يقن الطهارة هنا. شكى إلى النبي ﷺ أن الرجل يجد الشيء في الصلاة أينصرف قال: «لَا يَنْصَرِفُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَحْدَرِيحًا»^(٣) لأن الأمور مبنية على اليقين ليس على الظنيات.

(١) البخاري: (١٧٣)، ومواضع) ومسلم: (١٩٢٩).

(٢) صحيح: وسيأتي برقم: (١١) من الأربعين النووية.

(٣) البخاري: (١٣٧، ١٧٥، ١٩٥١) ومسلم (٣٦١) عن عباد بن تميم عن عمه عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

القسم الثالث: أن يشك في شيء. الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لما جاء إلى اليمن وهو في صنعاء احتاج إلى طعام فكان عنده سطل رهنه عند صاحب دكان فذهب يشتغل ثم جاء بفكاك هذا السطل قال: هذا فكاكه أعطني سطلي فأخرج له صاحب الدكان سطلين قال: اختر حقك منهما فقال: قد أشتبه علي فقال صاحب الدكان: هذا سطلك إنما أردت أختبرك قال: لا والله لا آخذه ورفض أن يأخذه تورعا، وسألت امرأة الإمام أحمد أنها تغزل في الليل على سرج الشرطة كانوا من قبل يأتون بكشافات إلى ما قبل أربعين سنة في السعودية هذا حاصل كانوا يأتوا بأتاريك في الشارع تضيئ للناس ما كان في كهرباء فكانت الضياء تنعكس إلى بيت هذه المرأة فقالت للإمام أحمد: هذا الثمن الذي آخذه من هذا قال: يجب عليك أن تزكيه. وسأله رجل عن جارية لأيتام إن بيعت الجارية على أنها مغنية بكذا وكذا كثير وإن بيعت على أنها ليست بمغنية ستباع بمال قليل فقال الإمام أحمد: تباع بالثمن القليل وهكذا الأمثلة في هذا كثيرة.

القسم الثالث: أن يشك في شيء فلا يدري أهو حلال أم حرام ويحتمل الأمرين ولا دلالة على أحدهما فالأحسن التنزه كما فعل النبي ﷺ في التمرة الساقطة حين وجدها فقال: «لَوْ لَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ، لَا كَلْتُهَا»^(١).

ثم قال ﷺ: «فَمَنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ» اتقى بمعنى اجتنب الشبهات قد تقدم معناها أي طلب البراء لدينه أي فيما بينه وبين الله ولعرضه أي فيما بينه وبين الناس حتى لا يكون عرضة سبب للقدح «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ» فكان الإحتياط أفضل.

ورواه مسلم (٣٦٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) البخاري: (٢٢٩٩) ومسلم (١٠٧١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم ضرب النبي ﷺ مثالا «كالراعي يرعى حول الحمى» والحمى على قسمين:

القسم الأول: حمى لا يجوز اختراقه ما حماه ملك أو ثري أو صاحب أرض إما بحدود شبك أو بناء أو ربما ما يكون شيء من هذا لكن هو محمي هنا لو غفل صاحب الغنم عن غنمه لسطت إلى المحمي فلا شك أنه حينما قارب من الحمى يعني حصل ما كان يخشى عواقبه.

القسم الثاني: ما كان موقوفا لدواب المسلمين فهنا لشيء فيه للحديث الذي رواه أحمد وأبو داود «الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: الْمَاءِ وَالْكَلَالِ وَالنَّارِ»^(١). «ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه».

فالله ﷻ له حمى لا يجوز اختراقه قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق ١].

الله ﷻ حد حدود حرم الزنا وجعل على هذا الزنا سياج لا ينبغي اختراقه بالنظرة مثل سور المزرعة لا ينبغي للشخص أن ينط وهكذا الزنا ربما ينط الشخص منه عن طريق الأغاني عن طريق النظرة عن طريق الغزل:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
وقال آخر:

نظرة فابتسامة فسلام فسلام فموعد فلقاء

(١) صحيح: رواه أحمد: (٢٣١٣٢) وأبو داود: (٣٤٧٧) عن رجل من الصحابة (رضي الله عنه)، ورواه وابن ماجه: (٢٤٧٢) عن ابن عباس وفيه زيادة (وثمنه حرام). وهي ضعيفة.
الحديث صححه الألباني: في صحيح الجامع (٦٧١٣) والمشكاة (٣٠٠١) وصحيح الترغيب والترهيب (٩٦٦).

واتقوا الله في قلوب العذارى فالعذارى قلوبهن هواء

«ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

والقلب في صدر الإنسان في الجهة اليسرى. والقول الصحيح أن العقل بالقلب في الصدر.

قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج ٤٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَصْلُ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف ١٧٩].

وأما الرأس ففيه الدماغ وأيضا منطقة الحفظ هي في الرأس فما هو الفائدة من قوله ﷺ بعد أن ذكر الحلال والحرام والمتشابه ثم ضرب لذلك أمثلة وقال:

«من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى... إلخ».

إشارة منه ﷺ إلى أن هذه الأقسام الحلال والحرام والمتشابه مرجعها إلى القلب. فإذا كان القلب نورانياً طيباً يحمل الحق والخوف من الله ﷻ تورع عن الحرام وعن الشبهات وإن كان القلب فاسداً فإنه لا يتورع. فالقلب إن صلح فهو بمنزلة الملك إن صلح صلحت جنوده ورعيته وإن فسد فسدت. وهذا أمر غالب وهكذا القلب هو والله أشد من ذلك وأرفع من ذلك لماذا؟

لأن كل شيء بدليل من القلب فالنظرة دليلها من القلب الإبتسامة دليلها من القلب الحسد دليله من القلب السماع السرعة الخروج إلى خير دليله من القلب.

فالنبي ﷺ يقول: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّنا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ» (١).



(١) رواه البخاري: (٥٨٨٩، ٦٢٣٨) ومسلم: (٢٦٥٧) واللفظ له. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٧]

{ الدين النصيحة }

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري ^(١) رَوَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَاقِبَتِهِمْ» رواه الإمام مسلم ^(٢) في صحيحه وهو في كتاب الإيمان.

(١) تميم بن أوس بن حارثة وقيل خارجة بن سود وقيل سواد بن جذيمة بن ذراع بن عدي بن الدار أبو رقية الداري مشهور في الصحابة كان نصرانيا وقدم المدينة فأسلم وذكر للنبي ﷺ قصة الجساسة والدجال فحدث النبي ﷺ عنه بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه قال بن السكن أسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم ولهما صحبة وغزا مع رسول الله ﷺ وروى عنه ولم يزل بالمدينة حتى تحول إلى الشام بعد قتل عثمان بن عفان. الإصابة (٣٦٧/١) رقم: ٨٣٨ والطبقات الكبرى لابن سعد (٤٠٨/٧).

(٢) رواه مسلم: (٥٥) وأحمد: (١٦٩٨٢) وأبو داود: (٤٩٤٤) والنسائي: (٤١٩٧) وعلقه البخاري: في الإيمان: باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة. ورواه الترمذي: (١٩٢٦) عن أبي هريرة. فائدة: قال أبو داود: هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه وقال الحافظ أبو نعيم هذا الحديث له شأن عظيم وذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أرباع الدين. جامع العلوم (ص ٧٧) وقال ابن رجب: وقد أخبر النبي ﷺ أن الدين النصيحة فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل ﷺ وسمى ذلك كله ديناً. جامع العلوم (ص ٧٨).

وقال النووي: هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام وأما ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه بل المدار على هذا =

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: باب بيان أن الدين النصيحة هذا الحديث المبارك صحابه يكنى بأبي رقية والغالب بالكنى أن تكون بالذكور مثل أبي عبد الله وأبي زيد وأبي حفص وأبي بكر وأبي ثعلبة وأبو وقد تكون بالإناث مثل أبي رقية وأبي عائشة، وقد تكون بغير الذكر والأنثى. قد تكون بأسماء بعض الحيوانات كأبي هريرة وبيعض الجمادات كأبي صخر وما إلى ذلك وتعريف الكنية ما صدرت بأب أو أم وهذا صحابي جليل من أصحاب نبينا رضي الله تعالى عنهم أجمعين يروي هذا الصحابي الجليل حديثا سمعه من النبي ﷺ قليل الألفاظ كثير المعنى إذ هذا الحديث المبارك جامع لمصالح الدنيا والآخرة على قلة ألفاظه وقد جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة ثلاثا»^(١) لأهميتها وقوله صلوات ربي وسلامه عليه: «الدين النصيحة» الدين مبتدأ والنصيحة خبر والكلام تام لا يحتاج إلى إتمام وعلماء البلاغة يقولون: إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين دل ذلك على الحصر فكأنه ﷺ يقول: ألا إنما الدين النصيحة وأنتم تعرفون أن كلمة إنما تدل على الحصر والقصر وما ذلك إلا لأهمية هذا الأمر وعظم منزلته في دين الله أعني بذلك النصيحة ومثل هذا الحديث ما جاء في سنن أبي داود في غير هذا الموطن وهو قول نبينا ﷺ: «الحج عَرَفَةُ»^(٢).

وأنتم تعرفون أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج من لم يقف بعرفة يوم

وحده. شرح مسلم (٣٧/٢)

(١) هذه الرواية عند أحمد وأبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٧٩٦) وأبو داود (١٩٤٩) والترمذي (٨٨٩) والنسائي (٣٠١٦، ٣٠٤٤)

وابن ماجه (٣٠١٥) عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي. وصححه الألباني: صحيح الجامع (٣١٧٢)

والمشكاة (٢٧١٤) والإرواء (١٠٦٧).

عرفة في ساعة من ليل أو نهار لم يكتب له حج فيكون حجه باطل فالركن العظيم هو الوقوف بعرفة.

وهكذا قوله ﷺ: «الدين النصيحة» والمراد بالدين هو الدين الإسلامي الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة ٣] والدين على مراتب ثلاث الإحسان والإيمان والإسلام وأنت مطالب بالنصح في هذه الثلاثة كلها على أن النبي ﷺ إنما أراد بذلك النصيحة في الأبواب العملية كما وضحها الحديث المبارك في خمس نقاط «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» والنصح بمعنى الخلوص لغة من الشوائب فيقال: غسل ناصح بمعنى لم يشوبه شيء والنبي ﷺ يبين ما المراد بهذه النصيحة فيقول ﷺ حينما سأله الصحابة لمن؟ قال: «لله» والنصيحة لله تتضمن أموراً ثلاثة:

أولاً: إخلاص العمل.

ثانياً: الشهادة له بالتوحيد وأنواعه الثلاثة وإبراء حقوق الله والواجبات والمستحبات. فالنصيحة كامنة لله ﷻ في أن يكون العبد مخلصاً له فإذا أخلص العبد لربه كان عبداً ناصحاً وقد أدى الفرض الذي خلقه الله لأجله كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦].

وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة ٥]. كذلك أيضاً الشهادة لله ﷻ بتوحيد الربوبية وذلك إفراد الله ﷻ في أفعاله أنه لا خالق ولا رازق إلا هو. تعتقد هذا في قلبك لا يشوبه شيء من الباطل قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان ٣٠] وكذلك في توحيد الألوهية أن تصرف جميع العبادات له ﷻ فلا

تصرف لملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بإذن من الله ﷻ: أي فيما يكون من الطاعات لنبينا ﷺ فيطاع لأن الله هو الذي أمر عباده أن يطيعوا هذا النبي ﷺ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاسُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور ٥٤].

وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التغابن ١٢] كذلك أيضا باب العبادات باب واسع حتى أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. ويقول أيضا في فضل العبادة: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية وتوحيد الألوهية: معنى ذلك أن تصرف جميع الطاعات من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وصدقة ونذر ودعاء ورهبة ورغبة وخوف واستغاثة لمن؟ لله لا تصرف لأحد غير الله ﷻ لأن الله ﷻ أمر بذلك قال جل وعلا: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَمَحَيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف ١٦٢-١٦٣].

وكذلك النصيحة في توحيد الأسماء والصفات أن لا كيف هذه الصفة ولا يمثل الله بخلقه ولا يشبهه ولا يعطل شيئا من الأسماء والصفات لأن الله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٨٠] وكان النبي ﷺ يمجّد الله بهذه الأسماء ويدعوه بها فتأمل مثلا إلى سيد الاستغفار وهو حديث شداد بن أوس الثابت في البخاري وعند الترمذي وهو من أذكار الصباح والمساء: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ،

وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(١) هذا تمجيد وهكذا حديث ابن مسعود عند أحمد يقول النبي ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»^(٢) هذا كله يدل على عظم هذه الأسماء وكذلك أيضا حديث أبي هريرة في الصحيحين قال نبينا ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

وإحصاؤها حفظ لفظها ومعرفة معناها والعمل بمقتضى هذه الأسماء والصفات فالواجب على العبد أن يكون مخلصاً في هذا القسم من أبواب التوحيد الثلاثة فلا يكون معطلاً ولا مستهزئاً ولا مكيفاً ولا ممثلاً يسلك في ذلك مسلك الجادة وهي طريقة الراسخين في العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أو بالاسم الشائع هو مذهب أهل السنة والجماعة وفهم السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أجمعين مجتنباً في ذلك طريقة الجهمية المعطلين والمعتزلة المحرفين والماتريدية الأشاعرة المؤولين وأهل التجسيم وأهل التشبيه فلا بد أن يكون سلفياً على الجادة في هذا الباب أعني باب الأسماء والصفات وهو الذي

(١) رواه البخاري: (٥٩٤٧، ٥٩٦٤) وأحمد: (١٧١٥٢) والترمذي: (٣٣٩٣) والنسائي: (٥٥٢٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد: (٣٧١٢، ٤٣١٨) وابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢) وأبو يعلى (٥٢٩٧) والبزار (١٩٩٤) وصححه الألباني: في صحيح الترغيب (١٨٢٢) والصحيحة (١٩٩).

(٣) البخاري: (٢٥٨٥، ٦٠٤٧، ٦٩٥٧) ومسلم: (٢٦٧٧) وأحمد: (٧٤٩٣) والترمذي: (٣٥٠٦).

حصل فيه الخلاف بين أهل السنة والجماعة ومن ارتضع شيئاً من مناهج الفلاسفة فدخلوا في باب الأسماء والصفات فعاثوا فيها فساداً على أن أسماء الله وصفاته محفوظة لأنها من الدين والله ﷻ حافظ دينه قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر ٩] كذلك من النصيحة لله أن تؤدي حقوقه كاملة قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» (١).

فلا بد أن يقوم العبد بما ألزمه الله تعالى به وهو أداء الحقوق من صلاة وزكاة وتوحيد وبر وصلة وأعمال كثيرة قال جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَهَرَّهْمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء ٢٣].

حقوق كثيرة الأوامر والنواهي والواجبات والمستحبات هذه ألزم الله بها العبد فوجب على العبد أن يمثلها وإلا كان غير ناصح له ﷻ ويضاف إلى ذلك أن يمجّد الله وأن يقدس أن تذكره أن تمجّده في قلبك وأن تذكره في لسانك وأن تجعل جوارحك خاشعة له سبحانه وبحمده.

كما قيل:

فدا لك من يساوي في فداك فما شهم إذا إلا فداك
أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواك

(١) صحيح: وسيأتي برقم (٢٩) من الأربعين النووية.

وقال آخر:

إذا كان حب الهائمين من الوري بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا
فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي سرى قلبه شوقاً إلى العالم الأعلى^(١)

يعني إذا كان هذا الهائم يحب ليلي وسعدى يتغزل بها قد سلبن منه العقل واللب فماذا فيمن أحب الله ﷻ فلا بد أن يكون أبلغ من ذلك بكثير من هذا الذي يعيش في الدون وينقل فؤاده وفكره في الزبالات والقمامات وذاك الذي يذكر الله ﷻ فلا شك أن ذاك يعيش في العالم العلوي وهكذا من عظم الله رفعه الله ذكره ومن أعز دين الله أعزه الله ﷻ فمن حفظ الله حفظه الله ومن ضيع الله ضيعه الله فمن حفظ الله حفظه الله من بين يديه ومن خلفه فعلى قدر تعظيمك لدين الله يكن لك المقام الأوفى والقدح المعلى عند ربك ﷻ في الدنيا والآخرة قال جل وعلا: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر ٢١].

ثم قال نبينا ﷺ: «ولكتابنا» والنصيحة لكتاب الله تتضمن أموراً: أولاً: تعلم هذا الكتاب المبارك وتدبره قال نبينا ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢) وكذلك قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص ٢٩] ومن النصيحة لكتاب الله أن نذب عنه تحريف المبطلين وانتحال الغاوين وكذلك تصديق أخباره تصديقاً جازماً لأنه كتاب الله ﷻ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت ٤٢] وكذلك امتثال أوامره واجتناب نواهيه قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرעה سمعك؛ فإنه

(١) الكشكول للبهاء العاملي (١/ ٤٣).

(٢) البخاري (٤٧٣٩) وأحمد: (٤١٢، ٥٠٠) وأبو داود: (١٤٥٢) والترمذي: (٢٩٠٧) عن عثمان رضي الله عنه.

خير يأمره، أو شر ينهى عنه» (١).

كذلك الإيمان بما ورد فيه من القصص والعبر والعظات فإن في ذلك دعوة للتأمل والتدبر كما نقل ذلك كثير من العلماء وهم يقولون: دل كتاب الله ﷺ على أنه من عنده بقياس العكس حيث قال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢]. وهكذا ما حصل للمكذبين والغاوين من التدمير والنكال دل ذلك بقياس الطرد أو بقياس العكس على أن هذا العذاب ما حصل إلا بسبب التكذيب فينبغي للمتأخرين أن يحذروا حتى لا يحصل لهم ما حصل للمتقدمين حينما عارضوا أمر الله ﷻ. فحل بهم النكال والعقاب قال جل وعلا: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت ٤٠]. وهكذا يقول ﷺ في كتابه الكريم: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف ١٧٦]. ويقول ﷺ: ﴿وَنَلِكُ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت ٤٣]. ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف ١١١]. كذلك وجب عليك أن تؤمن أن هذا القرآن نزل من عند الله في ليلة القدر حتى كان في سماء الدنيا ثم نزل مفردا ومنجما حسب الوقائع والأحداث على قلب محمد ﷺ عن طريقة جبريل عن رب العالمين بلسان عربي مبين وأنه كتاب فصيح بليغ تحدى الله به الفصحاء والبلغاء فكان معجزة كبرى إذ أنه نزل في مجتمع كانت تسود فيه اللغة والفصاحة والبيان ولكن القرآن بلاغته أعجزت كل

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٩١، ٢٠٦، ٢/ ٣٣٥).

بلاغة فتحدى الله القوم أعني العرب أن يأتوا بسورة أو بآية أو بعشر سور فما استطاعوا فدل ذلك على أنه كتاب عظيم مهيمن لما بين يديه من الكتاب وفيه خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا هو الجد ليس بالهزل فتكون النصيحة لهذا الكتاب المبارك كما فيه في هذا وفي غيرها والواجب على المسلم أن يتدبر وأن يعمل بهذا القرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

قال النبي ﷺ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَ وَابْنِ الْبَقَرَةِ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» (١).

ويقول ﷺ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظِلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا» (٢).

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتكون الإيمان بأنه رسول من عند الله حقا ونؤمن بما أخبر به ونمثل أوامر ونهيات ونصير نواهي وننصره حيا وميتا فميتا ننصر ستنه وننصر مبدأه ومعتقده ومنهجه الذي جاء به لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة ٢٠].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَآ

(١) رواه مسلم (٨٠٤) وأحمد (٢٢٢٠٠)، وموضع) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم: (٨٠٥) وأحمد: (١٧٦٧٤) والترمذي: (٢٨٨٣) عن النّوّاس بن سميّان الكلابي رضي الله عنه.

حَمَلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿[النور ٥٤]﴾. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿[الأنفال ٢٤]﴾ فوجب امتثال أمر الرسول ﷺ وأن تعلم أن الله بعث هذا النبي فكانت رسالته عالمية من أجل إنقاذ الناس من الضلال ومن الغواية بل ومن النار قال جل وعلا: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿[آل عمران ١٠٣]﴾. فبماذا أنقذنا الله من هذه الحفرة التي كنا واقعين فيها؟ ببعثة النبي ﷺ وما جاء به من الحق قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿[آل عمران ١٦٤]﴾. يعني في الجاهلية كانوا في ضلال ليس بعده من ضلال. كذلك قوله ﷺ: «لأئمة المسلمين» هذه المرتبة الرابعة في النصيحة وهم العلماء والأمرء فالعلماء مبينون والأمرء منفذون وعلى ذلك فسر قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿[النساء ٥٩]﴾.

ففسر كثير من أهل العلم أن ولاية الأمر هم العلماء والأمرء وبعضهم يقول: كان هذا مصطلحاً قديماً إذ كان الأمير فيما مضى هو العالم بأمر الدنيا والآخرة كمعاوية بن أبي سفيان ثم بعد ذلك تلاشى هذا شيئاً فشيئاً حتى كان من أمرء الدولة العباسية من ليس كذلك فصار المصطلح هو الأمرء المعروفين الذين هم الملوك والرؤساء ولا بأس أن تفسر الآية بما فسرها السلف الصالح فهم أعرف بكلام الله ﷻ

وبمرامي كلام الله ﷺ فهم أعرف الناس بلغة العرب لكن لا بأس أن نذكر كيف تكون النصيحة للعلماء ثم للأمرء فالنصيحة للعلماء محبتهم والتعاون معهم في بيان الحق والذب عن أعراضهم عدم اعتقاد العصمة فيهم لأن العلماء هم بشر يخطئون ويصيبون وكذلك رد كلامهم إن كان عارياً عن الدليل فيرد بالحكمة والأدب وأن لا يساء إلى هذا العالم أو يقلل معه التأدب بل لا بد أن يحترم لأن النبي ﷺ يقول: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا! وَيَعْرِفْ لِعَالَمِنَا حَقَّهُ» (١).

وقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم **يدشن** بعضهم بعضاً لا سيما العلماء منهم فكان العوام يحترم العالم الكبير وهكذا السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم جميعاً لكن إن كان الحق بعيداً من كلام العالم فربما كان للعالم زلة فلا ينبغي متابعته إطلاقاً قال الإمام الذهبي **رحمته الله**: ما من إمام إلا وله زلة. فإن حصلت هذه الزلة هل تقدح بهذا العالم أو يتابع؟

الجواب لا هذا ولا هذا لا يتابع ولا يقدح فيه أنه قد خرج على الصراط المستقيم إلا أن يكون جاء بشيء من البدع الكبرى الذي عرفها العلماء وبينها العلماء للناس أما إن كانت خلاف فما زال العلماء يختلفون ويرد بعضهم على بعض لكن كانوا يستخدمون في ذلك الميزان الشرعي قال الإمام الذهبي **رحمته الله**: الكلام في العلماء مفتقر إلى عدل وإنصاف. ونحن ابتلينا في هذا الزمان حينما قل العلم وقلت معرفة التأصيل العلمي والتقعيد الشرعي عند كثير من المسلمين فصار كثير من الناس يعدل ويجرح على حسب مزاجه وهواه بل صاحب البوفية في بعض المناطق صار يجرح

(١) حسن: رواه أحمد (٢٢٨٠٧) والحاكم (٤٢١) وحسنه الألباني: صحيح الجامع: (٥٤٤٣) وصحيح

الترغيب (١٠١) عن عبادة **رضي الله عنه**.

ويعدل وهكذا عندنا رجل كهربائي يجعل نفسه كأحمد بن حنبل ويحي بن معين يجرح ويعدل ويرد وهو والله الذي لا إله غيره لا يجيد أحكام الطهارة ولكن هكذا دخلوا من أوسع الأبواب في هذا الباب باب الجرح والتعديل الذي لا يتكلم فيه إلا العلماء والكبار جهابذة العلماء في هذا العصر يعدلون طلبه العلم ويعدلون العلماء ومن الذي فتح لهم هذا الباب أولئك الذين تناولوا باب الجرح والتعديل ولم يحسنوا فظلموا إخوانهم وتكلموا على أعراضهم دون روية أو نصيحة وإنما هكذا من أجل مسألة خلافية حارت فيها عقول العلماء الكبار فأرادوا أن يلزموا إخوانهم بأقوالهم فإن التزموا وافقوهم ورفعوهم واحترموهم وإن لم يوافقوهم سبواهم وشتموهم ونسبوا إليهم أقوالاً والله زوراً وبهتاناً وهي ظلم في حد ذاتها والنبى ﷺ يقول «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

فالنصيحة للعلماء إن حصل منهم أخطاء يناصرون فيما بينك وبينهم يناصرون سرّاً نبين له الخطأ لأنه سبحانه الله قد كان من الصحابة من يخطئ وكذلك علماء الصالحون.

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معاياه

أما النصيحة للأمرء فطاعتهم فيما أمر الله. النصيحة لهم طاعتهم فيما أمر الله ﷻ ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والنبى ﷺ يقول: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(٢).

(١) رواه مسلم: (٢٥٧٨) عن جابر، والحديث متفق عليه من حديث ابن عمر، فقد أخرجه البخاري

(٢٣١٥) ومسلم (٢٥٧٩) بلفظ: (الظلم ظلمات يوم القيامة).

(٢) متفق عليه: البخاري: (٤٠٨٥)، ٦٧٢٦، ٦٨٣٠) ومسلم: (١٨٤٠) وأحمد: (٦٢٢)، ٧٢٤، (١٠١٨)

فإذا أمرك الأمير بطاعة الله فاسمع وأطع وإن أمرك بالمعصية فلا سمع ولا طاعة كذلك نشر محاسنهم من الطاعة لهم. نشر محاسنهم والتجاوز عن مساوئهم إن لم تكن كفر وضلال يتجاوز عن ذلك. ومن النصيحة لهم اعتقاد إمامتهم. كذلك عدم الخروج عليهم لأن النبي ﷺ قال: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا»^(١) والشيخ العثيمين يقول: هذا الكفر البواح يقدره العالم البصير يعني ما يقدره واحد طلب العلم خمس سنين ولا عشرين سنة أقل شيء ثمانين سنة مائة سنة ستين سنة ثم اشترطوا في ذلك شروط أن يكون لهم القدرة وأن لا يتضرر المسلمون بخروجهم وأن لا يلحق الضرر المسلمين والمسلمات وأن يكون هذا الكفر أيضًا بواحا واضحا جليًا كأن يسجد لصنم أو يستهزئ بالقرآن أمور واضحة فلا تكن أشياء مثل التي يتعاطاها بعض المنتسبين الذين يسمون أنفسهم بأهل الجهاد وهم أهل الفساد أولى أن يلقبوا. الذين يقومون الآن بالتفجيرات والإغتيالات وما إلى ذلك ناسين أو متناسين فتاوى أهل العلم الكبار في هذا الباب فالنصيحة لولاة الأمر واجبة وعلى طلاب العلم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا أن يذهبوا إلى ولادة الأمر فإن رأوا معروف حمدوهم وأثنوا عليهم وإن رأوا منكرا ذكروهم بالله كما كانت طريقة السلف الصالح طريقة الصحابة والتابعين إلى عصر الإمام النووي بل إلى عصر الشوكاني وكذلك إلى عصر الشيخ ابن باز كان يذهب إلى الأمراء وينصحهم فإن استجاب فله الحمد والمنة وإذا لم فقد أعذر وبين الأمر والله ﷻ حسيبه.

وأبو داود (٢٦٢٥) والنسائي: (٤٢٠٥) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(١) متفق عليه: البخاري (٦٦٤٧، ٦٧٧٤) ومسلم (١٧٠٩) وأحمد (٢٢٧٣١). عن عبادة بن

الصامت رضي الله عنه.

النصيحة لعوام المسلمين: وهم بقية المسلمين رجالاً ونساءً من النصيحة لهم المحبة وعدم الغش والحقْد لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر ١٠].

ويقول ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبْعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»^(١).

كذلك يقول النبي ﷺ: «من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً»^(٢).

فلو قلت: أستغفر الله للمسلمين والمسلمات وكان عدد المسلمين مليون إذاً لك مليون حسنة فلو نويت بذلك عددهم من عهد آدم إلى قيام الساعة يمكن لك بكل كلمة ملايين ملايين الحسنات بل أرفع من المليارات.

كما قيل:

رب لحد قد صار لحدًا مرارا ضاحكًا من نزاحم الأضداد

ربما القبر الواحد قد فتح عشر مرات وتدفن فيه جثث كم الذين يدفنوا في مكة في المدينة في بيت المقدس في عالم الدنيا منذ أن خلق الله هذه البسيطة فلا بد أن

(١) سيأتي برقم: (٣٥) من الأربعين النووية.

(٢) حسن: رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢١٥٥) والهيتمي في المجمع (١٧٥٩٨) وهو في كنز العمال:

(٢٠٦٧) وانظر: صحيح الجامع: (٦٠٢٦) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

توطن قلبك على حب الخير للمسلمين في صحيح مسلم وإن كان في غير هذا الباب قال النبي ﷺ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بَغْضَنٍ نَحَاهُ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ» (١).

قال بعض المعاصرين: العمل قليل ولكن الله ﷻ نظر إلى قلب هذا الرجل إذ أن قلبه موطن على فعل الخير والنبي ﷺ أخبر أنه غفر لرجل من ذنب عظيم بسبب أنه سقى كلبا يلهث (٢).

فما بالك إذا كان هذا العمل لإخوانك المؤمنين فوجب على الناس أن يكونوا متآخين لا عصبية ولا حزبية ولا طائفية ولا اغتياالات ولا قتل ولا مشاكل ولا حسد وإنما محبة لله ﷻ.

يقول الله جل وعلا: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ» (٣) كذلك من النصح للمسلمين البشاشة في وجوههم وإلقاء السلام عليهم ومساعدتهم فيما تستطيع له من الخير.

(١) رواه مسلم: (١٢٨/١٩١٤) وأحمد: (٩٢٣٥) وأبو داود: (٥٢٤٥) والحديث متفق عليه بلفظ (فشكر الله له فغفر له) فقد أخرجه البخاري (٦٢٤)، وموضع) ومسلم (١٢٧/١٩١٤) وأحمد (١٠٩٠٩) والترمذي (١٩٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) روى ذلك البخاري (١٧١، ٢٢٣٤، ٢٣٣٤، ٥٦٦٣) ومسلم (٢٢٤٤) وأحمد (٨٨٦١) وأبو داود (٢٥٥٠) عن أبي هريرة.

(٣) صحيح: رواه مالك في الموطأ: (١٧١١) وأحمد: (٢٢٠٨٣، ٢٢١٨٤) والحاكم وصححه: (٧٣١٤) والطبراني في الكبير: (١٥٢) والأوسط (٥٧٩٥) وصحيح ابن حبان: (٥٧٥) والبيهقي في الشعب (٨٩٩٢) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٣٣١) والمشكاة (٥٠١١) وصحيح الترغيب والترهيب (٢٥٨١، ٣٠١٨) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

قال النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ» ^(١) وقال: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» ^(٢) فهذا الحديث المبارك ينبغي لطلاب العلم أن يتمعنوه وأن يحفظوه وهو حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» والله أعلم.



(١) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٥٧٨٧) وهو في مسند الشهاب القضاعي: (١١٩) وكشف الخفا رقم: (١٢٥٤) وكنز العمال: (٤٣٠٦٥) وحسنه الألباني: الصحيحة: (٩٠٦) وصحيح الجامع: (٣٢٨٩، ٦٦٦٢) عن جابر.

(٢) رواه مسلم (٢١٩٩) وأحمد (١٤٢٦٩) وصحيح ابن حبان (٥٣٢) والحاكم (٨٢٧٧) وصححه وأبو يعلى (١٩١٤) والطبراني في الكبير (٧٤) والبيهقي في الكبرى (١٩٣٧٨) عن جابر بن عبد الله.

[٨]

{ حرمة المسلم }

عن ابن عمر^(١) رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، [إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ]^(٢) وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» رواه البخاري ومسلم^(٣).

هذين الكتابين أعني صحيح البخاري ومسلم تلقتهما الأمة بالقبول بل قال

(١) سبقت ترجمته عند الحديث الثالث.

(٢) قال الحافظ ابن رجب في (جامع العلوم (ص/٨٣) قوله: (إلا بحق الإسلام) تفرد بها البخاري دون مسلم. أهـ

(٣) **متفق عليه:** فقد رواه البخاري: (٢٥، ٢٧٨٦) ومسلم: (٢٢) والحديث قد جاء عن جماعة من الصحابة فقد جاء عن أبي هريرة وأنس وجريير بن عبد الله وأوس بن أبي أوس وابن عباس وسهل بن سعد والنعمان بن بشير وطارق بن أشيم وأبي بكر ومعاذ بن جبل وسمرة بن جندب. أنظر الأضواء السماوية (ص ٧٩ - ص ٩١)

فائدة: قال ابن دقيق العيد في شرح الأربعين (ص ٣٤): هذا حديث عظيم وقاعدة من قواعد الدين.

وقال ابن حجر في الفتح (١/٧٦): «قوله حتى يشهدوا» قال: جعلت غاية المقاتلة وجود ما ذكر فمقتضاه أن من شهد وأقام وأتى عصم دمه ولو جحد باقي الأحكام والجواب أن الشهادة بالرسالة تتضمن التصديق بما جاء به مع أن نص الحديث وهو قوله «إلا بحق الإسلام» يدخل فيه جميع ذلك فإن قيل فلم لم يكتف به ونص على الصلاة والزكاة فالجواب أن ذلك لعظمهما والاهتمام بأمرهما لأنهما أمّا العبادات البدنية والمالية.

بعض العلماء: الكبار والحفاظ المعترين لو حلف شخص بين الركن والمقام أن ما في الصحيحين صحيح لم يحنث. أي أن يمينه صحيحة وحلف على حق وقال بعضهم: لو طلق رجل زوجته إن لم يكن ما في البخاري ومسلم صحيح لم تطلق.

لو قال مثلاً: علي الطلاق إن لم يكن كذا فزوجته هي زوجته لم يقع الطلاق عليها لأنه لم يفعل ذلك إلا لأمر محقق وهذا فضل من الله ونعمة وفيه دلالة على قبول هذين الرجلين وعلى أن فيهما وعندهما الإخلاص فرحمة الله على البخاري وتلميذه مسلم رحمهم الله تعالى رحمة واسعة ولو تأمل المسلم إلى شأنتهما مثل محمد بن يحيى الذهلي الذي كان يؤلب على البخاري وكان رئيس البلد وله كلمة في بلده هو من أهل السنة والجماعة وكانت عيون الناس وقلوبهم معه وليس أحد مع البخاري ولكن العاقبة للمتقين. فقد رفع الله البخاري ورفع علمه على أنه كان في زمانه مغلوباً على أمره ولكن: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران ٢٦]. هذا الحديث عن ابن عمر واسمه عبد الله ويكنى بأبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب. صحابي جليل هاجر من مكة إلى المدينة فهو من المهاجرين الأول وهو من المكثرين من الحديث عن النبي ﷺ.

كما قال العراقي:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

فهو من المكثرين وكان شديد التأسي برسول الله حتى لقب بالناسك وكان يأتي إلى المكان الذي تخلى فيه النبي ﷺ فينبخ راحلته كما أناخ رسول الله ثم يستمر

الساعات الطويلة حتى يأتيه التبول أو غيره فيقضي حاجته لم فعلت كذا يا ابن عمر؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل هذا. وكان يرى في الليلة الشاتئة فاتحاً صدره والبرد قارس لا سيما حينما مكث سبعة أشهر في كابل منعهم الثلج من الوصول إلى بلدهم فلم تفعل ذلك؟

قال: رأيت النبي ﷺ في ليلة شاتئة فاتحاً صدره، ولما حصلت الفتنة بين الأصحاب اعتزلها عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه. وكان مرضياً لدى الطرفين قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه وأرضاه: «ما منا من أحد إلا مالت به الدنيا ومال بها خلا عمر وابنه عبد الله»^(١). ومناقبه كثيرة ومآثره شهيرة ﷺ وجمعنا به في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر^(٢).

سجل لنا عبد الله بن عمر هذه الفوائد وهذه المعلومات وهذا العلم الذي ورثه من رسول الله ﷺ فيقول: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أمرت» بالبناء لما لم يسم فاعله لان الفاعل معلوم وهو الله ﷻ، وإيهام المعلوم سائغ لغة واستعمالاً. وإذا قال النبي ﷺ: أمرت فيكون الأمر الله. والمأمور هو رسول الله ﷺ وفي هذا دليل على أن رسول الله ﷺ عبد مأمور من الذي يأمره؟ الله. قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن ١٩].

وقال ﷺ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ يَنَالُ مَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء ١]. فهو عبد من عباد الله حتى «إن جبريل ﷺ نزل على النبي ﷺ يخيره بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً مقرباً

(١) أنظر: الحلية (١/ ٢٩٤) وتذكرة الحفاظ (رقم ١٧)

(٢) سبقت له ترجمة مختصرة عند الحديث الثالث.

فقال: فالتفت نبينا إلى جبريل عليه السلام فقال له جبريل: أن تواضع لربك يا محمد فقال نبينا ﷺ «بَلْ عَبْدًا رَسُولًا» ^(١) فهو عبد من عباد الله يأمره الله ﷻ. وهكذا لما قال النبي ﷺ في مجمع من أصحابه: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ» ^(٢). فبكى أبو بكر والناس لم يبكوا فقال بعضهم شيخ من قريش: يبكي لم ؟ لأن أبا بكر أدرك أن المخير هو رسول الله هو عبد لكنه ﷺ جاء بهذا الأسلوب قال: «خَيْرَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ» وهو العبد الصابر وكما قال عن نفسه لما كان يقوم من الليل فيصلّي حتى تتورم قدماه فتقول له عائشة: قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» ^(٣).

فيقول ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ» والمراد بالناس المشركين الذين لا تقبل منهم الجزية ولا يقرون على الشرك، ولا يكون قتالهم إلا بعد البيان والإعذار فهو يقاتلهم حتى يلتزموا بالدين،

وهذا مفسر بقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا

(١) صحيح: روى ذلك أحمد (٧١٦٠) وابن حبان (٦٣٦٥) وأبو يعلى (٦١٠٥) وابن أبي الدنيا في التواضع (١٢٥) والهيثمى في المجمع (١٤٢٠٩) عن أبي هريرة، وصححه الألباني: في الصحيحة: (١٠٠٢) وصحيح الترغيب والترهيب: (٣٢٨٠) وبداية السؤل (٦٤/١)

(٢) روى ذلك البخاري (٤٥٤، ٣٤٥٤، ٣٦٩١) ومسلم (٢٣٨٢) وأحمد (١١١٥٠) والترمذي (٣٦٦٠) وغيرهم. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري: (٤٥٥٧) ومسلم: (٢٨٢٠) وأحمد: (٢٤٨٨٨) عن عائشة رضي الله عنها. والحديث قد جاء عن عدد من الصحابة منهم المغيرة بن شعبة في البخاري: (١٠٧٨) ومسلم: (٢٨١٩) وأبو هريرة عند ابن ماجه (١٤٢٠) وأبو جحيفة عند الطبراني في الكبير (٣٥٢) وابن مسعود في الأوسط (٣٣٧٤) والصغير (٣٢٧) وعن أنس في الأوسط: (٥٧٣٧) والنعمان بن بشير في الأوسط (٧١٩٩) وغيرهم رضي الله عنهم.

يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿[التوبة ٢٩].

(حَتَّى) حتى هاهنا تعليلية. (يَشْهَدُوا) مأخوذ من المشاهدة.

(أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أي لا معبود بحق إلا الله. (وَأَنْ مُحَمَّدًا) محمد اسم علم على خاتم الأنبياء والمرسلين، أيده الله بالمعجزات الكثيرة، ومن أعظمها القرآن الكريم معجزة أبدية سرمدية على مر العصور والدهور.

(رَسُولُ اللَّهِ) مأخوذ من الإرسال بمعنى الإطلاق.

(وَيُتَّقِيُمُوا الصَّلَاةَ) أي يفعلوها قائمة وقوية على ما جاءت به الشريعة، والصلاة هنا عامة لكن المراد بها الصلوات الخمس فمن ترك النوافل لا يقاتل.

(وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) أي يعطوها مستحقها.

والزكاة لغة: بمعنى النماء والزيادة.

وشرعا: النصيب المفروض في الأموال الزكوية. ففي الذهب والفضة وعروض التجارة مثلا: ربع العشر، وفيما يخرج من الأرض العشر إن كان يسقى بلا مؤنة ونصف العشر إن كان بآله،

وهكذا الزكاة في الماشية حسب ما هو مقرر في كتب الفقه.

(فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ) أن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة.

(عَصَمُوا) أي منعوا. (عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) أي فلا يحل أن أقاتلهم

وأستبيح دماءهم ولا أن أغنم أموالهم لأنهم دخلوا في الإسلام.

(لَا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ) هذا استثناء: يعني لا تباح دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، مثل زنا الشيب والقصاص

(وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) أي محاسبتهم على الله تعالى، أما النبي ﷺ فليس عليه إلا البلاغ.

فهذا الحديث أصل وقاعدة في جواز مقاتلة الناس وأنه لا يجوز مقاتلتهم إلا بهذا السبب، وتكون هذه خاصة بالنبي محمد ﷺ، أو بالحاكم المسلم المتبع لهدي رسول الله ﷺ.



[٩]

{ الأخذ باليسير وترك التعسير }

عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه ^(١) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» رواه البخاري ومسلم ^(٢).

هذا الحديث هو الحديث التاسع من أحاديث الأربعين النووية الكتاب المعروف الذي وضع له القبول كما وضع القبول لرياض الصالحين وهذا دليل على إخلاص المؤلف فنحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله ﷻ أحداً.

هذا الصحابي الجليل مشهور بكنيته ولم تكن هذه الكنية بذكر أو بأتى من

^(١) أبو هريرة: اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، وأشهرها عبد الرحمن بن صخر الدوسي. أسلم عام خير (٥٧هـ) وشهدا مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم، راضياً بشعب بطنه. كان من أحفظ الصحابة. قال البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة من بين صاحب وتابع. أستعمله عمر على البحرين ثم عزله، وأراد أن يعود فأبى، ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته وهو ابن ثمان وسبعين قیل:

توفي سنة (٥٧هـ) وهو المعتمد. وقيل: سنة (٥٨هـ) وقيل: سنة (٥٩هـ).

الإصابة (٧/٤٢٥ رقم ١٠٦٧٤) وتذكرة الحفاظ (١/٣٢ رقم ١٦).

^(٢) البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٣٣٧) وأحمد (٧٤٩٢) والترمذي (٢٦٧٩) والنسائي (٢٦١٩) وابن ماجه (١، ٢) وابن حبان (١٩) والطبراني في الأوسط (٧٨٨٣) وأبو يعلى (٦٣٠٥) والدارقطني: (٢٠٤) وغيرهم.

البشر وإنما هي من الحيوانات التي قال عنها النبي ﷺ: «إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ»^(١) والمراد بذلك الهر بل كان النبي ﷺ يناديه بقوله: «أَبَا هِرٍّ»^(٢).

أدركنا يا أبا هر وأقبل يا أبا هر وذلك لملازمته للهرة. كانت عنده هرة أليفة تألفه ويألفها فكني بها وهو قد اختلف في اسمه على ثلاثين قولاً منها عبد الرحمن بن صخر ولا يصح أيضاً لكنه مشهور بكنيته وأبو هريرة صحابي جليل أصله من اليمن قدم في العام السابع في فتح خيبر وفرح النبي ﷺ بقدوم أهل اليمن الوافدين الذين التقوا بجعفر في الحبشة فقدموا معه ذلك العام من أرض الحبشة فالنبي ﷺ قال: «مَا أَذْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَسْرُ - وفي لفظ: (بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا) بِقُدُومِ جَعْفَرٍ، أَوْ فَتَحِ خَيْرٍ»^(٣).

فكان الله ﷻ قد أعطاه بسطة من العلم في فترة وجيزة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فكان من أحفظ أصحاب النبي ﷺ وما ذلك إلا لصبره حتى إنه يقول: عن نفسه: «يقولون: أكثر أبو هريرة والله لقد كنت أُلزم النبي ﷺ على شعب بطني»^(٤).

(١) صحيح: رواه مالك في الموطأ (٤٢) وأحمد (٢٢٥٨١) وأبو داود (٧٥) والترمذي (٩٢) والنسائي (٣٤٠، ٦٨) وابن ماجه (٣٦٧) وابن حبان (١٢٩٩) والحاكم (٥٦٧) عن أبي قتادة رضي الله عنه. وهو عن عائشة رضي الله عنها عند أبي داود (٧٦) وصححه الألباني في المشكاة (٤٨٢) وصحيح الجامع (٢٤٣٧)، (٣٦٩٤) والإرواء (١٧٣).

(٢) روى ذلك البخاري: (٢٨١) ومواضع من كتابه وأحمد: (١٠٨٠٨) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) حسن: رواه الحكم (٤٢٤٩) وصححه ووافقه الذهبي عن جابر رضي الله عنه، ورواه الطبراني في الكبير (١٤٧٠) والأوسط (٢٠٠٣) والصغير (٣٠) عن أبي جحيفة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في: فقه السيرة (٣٤٧/١) وانظر: البداية والنهاية (٢٥٦/٤) والسيرة لابن حبان (ص ٣٠٥).

(٤) البخاري (٥١١٦، ٣٥٠٥).

ويقول: «لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَإِنِّي لَأَخْرُفِيمَا بَيْنَ مَنَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَيَّ فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي وَيُرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ»^(١).

وهكذا كما قيل:

ألا بالصبر تبلغ ما تريد وبال تقوى يلين لك الحديد

وقال آخر:

ومن يصطر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحساء لم يغله البذل

ومن لا يذل النفس في طلب العلا يسيراً يعيش دهرًا طويلًا أخا ذل

فهو تواضع «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(٢).

هذا وعد مرتبط بشرطه فمن جاء بالشرط وفي له بالوعد اصبر لترقى. صبر أبو هريرة فرفعه الله ﷻ بالعلم فكان بعد ذلك في نهاية أمره كان أميرًا على بعض البلدان وكان يمتخط بالكتان وهو شيء من القماش اللين دليل على وجود النعمة فيقول: «بخ بخ أبو هريرة يمتخط بالكتان»^(٣)، بسطت ليهم الدنيا بعد ذلك على أنها ما غرتهم بل كانوا هم الرجال عند الخشونة وهكذا حينما أقبلت الدنيا عليهم بزخارفها عرفوها حق معرفتها لأنهم علموا حقيقة قول الله ﷻ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا

(١) البخاري: (٦٨٩٣) والترمذي: (٢٣٦٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨) وأحمد (٨٩٩٦) والترمذي (٢٠٢٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) روى ذلك البخاري: (٦٨٩٣) والترمذي: (٢٠٢٩) وهو جزء من الحديث السابق «أكثر أبو هريرة»

عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تَفَرَّحُوا بِمَا آتَاكُمْ اللَّهُ وَلَا يَجِبُ كُلُّ مُحْتَالٍ فَحُورٍ ﴿٢٣﴾ [الحديد ٢٣]. هذا الصحابي الجليل سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه ينقل عن النبي ﷺ قوله: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ» وما هاهنا شرطية يعني اسم شرط جازم يجزم فعلين الأول فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه والنهي طلب الفعل على وجه الاستعلاء من حيث اللغة العربية.

وفي اصطلاح الأصوليين: هو ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله هذا النهي بلسان الأصوليين ليس الحرام فالمحرم ما يعاقب فاعله ويثاب تاركه لكن المراد بالنهي هنا الحرام إذ أن هذه قاعدة عامة في هذا الباب.

«مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ» فرسول الله ﷺ نهى كما نهى الله. نهى عن الجمع بين المرأة وخالتها وعمتها ^(١)، ونهى عن المسكر ^(٢)، ونهى عن المتعة ونهى عن لحوم الحمر الأهلية ^(٣)، ونهى عن التأخر عن الصلاة ونهى عن الإنتباز في الأسقية ^(٤)، هناك

(١) روى ذلك البخاري (٤٨٢٠) ومسلم (١٤٠٨) وأحمد (٩١٩٢)، ومواضع) وأبو داود (٢٠٦٦) والترمذي (١١٢٦) والنسائي (٣٢٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه ابن ماجه (١٩٣٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) روى ذلك البخاري (٢٣٩، ٥٢٦٣، ٥٢٦٤) ومسلم (٢٠٠١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) روى ذلك أيضًا البخاري: (٣٩٧٩، ٤٨٢٥، ٥٢٠٣، ٦٥٦٠) ومسلم (١٤٠٧) عن علي رضي الله عنه.

(٤) روى ذلك البخاري: (٥٢٧١) بلفظ: (لما نهى النبي ﷺ عن الأسقية...) الحديث. عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. ثم رخص فيها كما في الحديث نفسه وكما عند مسلم: (١٩٧٧) عن بريدة عن أبيه وبرقم: (١٩٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

فائدة: قال عياض: ذكر (الأسقية) وهم من الراوي وإنما هو عن (الأوعية) لأنه ﷺ لم ينه قط عن الأسقية وإنما نهى عن الظروف وأباح الإنتباز في الأسقية. فقيل له: ليس كل الناس يجد سقاء فاستثنى ما يسكر... إلى أن قال: ويحتمل أن تكون الرواية في الأصل كانت: (لما نهى عن النبيذ إلا في الأسقية) فسقط شيء أه.

وسبقه إلى هذا - أي الاحتمال - الحميدي حيث قال: في الجمع (لعله نقص من لفظ المتن وكان في

مناهي كثيرة نهى عنها رسول الله ﷺ فالمراد به الحرام بدليل قوله: «فاجتنبوه» ولفظة: اجتنبوه أبلغ من قوله: اتركوه أو دعوه وعلى ذلك ينتزل قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة ٩٠] ف (اجتنبوه) أبلغ من قوله: اتركوه لا تفعلوه أو لا تقربوه لفظ فهمه العرب هكذا ونقله أهل التفسير كابراً عن كابر فيقول ﷺ: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه» ليس الأمر في ذلك بالاختيار وإنما يكون الأمر بالإلزام تلتزم بما نهى عنه رسول الله ﷺ فليس العبد مختاراً فيما نهى عنه رسول الله ﷺ قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب ٣٦]. فلست أنت مخير في باب الأوامر والنواهي نهى رسول الله عن النظر إلى الصور الخليعة عن النظر إلى وجه المرأة نهى أن تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة ليس معها محرم نهى عن الدخول على النساء نهى عن الإنتباز نهى أن تكون أول من يدخل السوق نهى عن الخروج من المسجد بعد أن سمعت الأذان أحاديث كثيرة إذا نهى رسول الله انتهى الإشكال لا ينبغي للشخص أن يتفلسف وأن يكذلك ويحاول يأتي مخارج وتعليلات ولكن:

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

ثم كان من شفقتة ورحمته بهذه الأمة قال: «وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» هنا ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢٨٦]. إذ أن الضرورات تقدر بقدرها

الأصل (لما نهى عن النيذ إلا في الأسقية).

قال ابن حجر في الفتح (١٠ / ٦٠): ويظهر لي أن لا غلط ولا سقط وإطلاق السقاء على كل ما يسقى منه جائز.

ولها أيضًا أحكام وهكذا أمر الله ﷺ بالبر أمر بصلة الرحم أمر الله بإقام الصلاة بإيتاء الزكاة سأل عمران بن حصين النبي ﷺ وكانت به بواسير عن الصلاة قال ﷺ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»^(١) على حسب استطاعتك وهكذا إذا كنت على سفينة صل قائمًا إلا أن تخاف الغرق وهكذا أيضًا المريض يصلي بقلبه وهكذا صاحب الجنابة إذا لم يجد ماءً أو خاف على نفسه الضرر يتييم فالمشقة كما يقول فقهاؤنا تجلب التيسير فالله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ [الحج ٧٨].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥]. ومن تأمل في دين الله ﷻ عموماً وشمولاً وجد فيه الرحمة والرفق ومراعاة شئون البرية ففيه من السماحة ومن الخير والسعادة للبشرية أجمعين لكن - لا حول ولا قوة إلا بالله - أبى الكثير إلا أن يعطي الشيطان نصيباً من الطاعة والانقياد والله ﷻ يقول: ﴿الَّذِينَ عَاهَدُوا لَكُمْ بَيْنَهُمُ الْمَالَ عَلَى يَدَيْكُمْ فَلَمْ يَقُمُْوا بِعَهْدِهِمْ فَاذْكُرُوا يَوْمَ أَنْصُرُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ١٧٧]. ثم بين رسول الله ﷺ آفة هي في الأمرين حاصلة في باب المنهيات وفي باب المأمورات فقال: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» والذين من قبلنا هم اليهود والنصارى والمجوس بل ومن كان من الأمم السابقة لكن الذي درج عليه أهل العلم أن المراد بذلك هم أهل الكتاب: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة ٥]. فالمراد بذلك اليهود والنصارى قال: «فَإِنَّمَا» وهي أداة حصر

(١) البخاري: (١٠٦٦) وأحمد: (١٩٨٣٢) وأبو داود: (٩٥٢) والترمذي: (٣٧٢) وابن ماجه: (١٢٢٣).

«أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ». ما هو؟

قال: «كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ» استفسار وتعنت وأمة اليهود أكثر تعنتاً من أمة النصارى وتأمل في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]. بقرة أي بقرة يأخذوها ويذبحوها ويلطخوها بشيء من لحمها ودمها على ذلك الميت ليخبر من قتله؟ هذا في بداية الأمر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُرُوطًا قَالَ أَعُودُ بِإِلَهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] ظنوا أن موسى يستهزئ بهم وهو رسول الله ﷺ فلو أنهم اقتصروا على هذا انتهى الإشكال ولكنهم بعدها يسألونه عن موصفات ما أوصاف هذه البقرة حتى أنه في كتب التفسير يذكرون أن البقرة التي انطبقت عليها المواصفات كانت عند امرأة عجوز ووضعت شرطاً قوياً عليهم. اشترطت أن يكون ملء جلدها ذهباً بعد أن تذبح فوافقوها شددوا فشدد عليهم شقوا على أنفسهم بأنفسهم وكما قيل: «على نفسها جنت براقش» (١).

ففي نهاية المطاف ذبحوا البقرة ولطخوها بها ذلك الميت فقال: إن الذي قتله هو ابن عمه فكان عندهم تعنت. وهكذا أيضاً أمة عيسى سألوه أن ينزل مائدة من السماء يأكلون منها كان عندهم شيء من الاستفسار ومن السؤال فالنبي ﷺ بين أن هلاك

(١) هذا مثل يقال في الشؤم يضرب به في الرجل يهلك قومه بسببه فيقال: على أهلها جنت براقش. ويقال:

على أهلها دلت براقش. ويقال على نفسها تجني براقش.

وبراقش: كلبة لقوم من العرب أغير عليهم فهربوا ومعهم براقش فأتبع القوم آثارهم بنباح براقش فهجموا عليهم فأصطلموهم.

أنظر: مجمع الأمثال (١٤/٢) والبيان والتبيين للجاحظ (ص ١٤٦) والمستطرف (١/٧١) وثمار القلوب (ص ٣٩٣).

الأمم في من قبلنا سببه كثرة الأسئلة.

وفي حديث آخر حديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(١) فكثرة السؤال دليل على خفة في العقل قد يقول قائل: أنا أسأل من أجل التعليم نقول: هذا باب من أفضل أبواب العلم إذ أن مفتاح العلم السؤال ومجاهد بن جبر رحمته الله يقول: «لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ»^(٢).

وسئل ابن دغفل كيف حفظت هذا؟ قال: «حفظت هذا بقلب عقول ولسان سؤال»^(٣).

لكن لا يكون هذا السؤال ناتج عن تعجيز أو إفحام الخصم أو أن الشخص قد هيا مسألة ورضعها من كل اتجاهاتها فيأتي فيفحم هذا الذي هضم المئين بل الآلاف من المسائل فيفضحه أمام طلابه هذا كان معيباً عند السلف. فينبغي أن تخفف ما استطعت فلقد كان الصحابة رضوان الله عليهم بين ظهراي رسول الله ﷺ وكانوا يقللون من السؤال قال أنس: «نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ

(١) البخاري: (١٤٠٧، ٢٢٧٧، ٥٦٣٠، ٦١٠٨، ٦٨٦٢) ومسلم: (١٢/٥٩٣) وأحمد: (١٨١٦٢).

(٢) رواه البخاري تعليقا: كتاب العلم: باب الحياء في العلم (٦٠/١) ووصله أبو نعيم في الحلية: (٢٨٧/٣) والدارمي في سننه برقم (٥٥١) قال الحافظ في الفتح (٢٢٩/١) وهو إسناد صحيح على شرط المصنف: أي إسناد أبو نعيم.

وأما إسناد الدارمي ففيه مجهول. ومثله عن أبي العالية في الحلية: (٢٢٠/٢).

(٣) إسناده لا بأس به: رواه الطبراني (٤٢٠١) وهو في الآحاد والمثاني (١٦٧٣) والعيال لابن أبي الدنيا (٣٤٩) والإصابة (٣٨٩/٢) وجامع بيان العلم وفضله (١/٤٢٤ رقم ٤٠٣) وإسناده لا بأس به كما قال محقق جامع بيان العلم.

يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ» (١).

ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ» (٢).

فينبغي للشخص أن لا يفرط عن سؤال أهل العلم لأن الله ﷻ أمره بذلك فقال سبحانه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء ٧]. فلا بد أن تسأل وهكذا واجب على العالم أن يجيب قال ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» (٣).

لكن لا ينبغي أن يكون للتعنت أو للاختبار أو للإفحام أو للإشغال لا ينبغي هذا الشيء قد يقول القائل: أنا أريد أتأكد. هنا لا بأس ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة ٢٢٠].

تتأكد في مسألة من المسائل ربما ينسى الشخص مثلاً يسأل من قد عاصر هذه المسألة مثلاً:

مس المصحف هل يجوز للحائض أو لا يجوز؟ دخول المسجد؟ قد يكون

(١) رواه مسلم: (١٢) وأحمد: (١٢٠٣٢)، وموضع)، والنسائي: (٢٠٩١) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) البخاري: (٦٨٥٩) ومسلم: (٢٣٥٨) وأحمد: (١٥٤٥) وأبو داود: (٤٦١٠) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٧٥٦١) وأبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجه (٢٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه ابن ماجه: (٢٦٤) عن أنس بن مالك وصححه الألباني في المشكاة: (٢٢٣) وصحيح الجامع: (٦٢٨٤) وصحيح الترغيب (١٢٠).

هو نظر في المسألة هذه وسمعها من علماء لكن يريد أن يتأكد فلا بأس لكن لا يكون همه دائماً وأبداً السؤال بل همه العمل وإذا سأل فبين له العالم أو الشيخ وجه الصواب أو بين له القول الذي ذهب إليه في هذه القضية فلا ينبغي أن يقول: لا فلان يخالفك الأمر كذا. وهذا هو يعرف هذا فيقول: أنا أعرف كذلك مثل الذي فيقول: لماذا لا يصير إلى ذلك لا ينبغي إذ أنك ما تسأل عامياً لأن بعضهم قد يقوم أمام الشيخ ويقول: الأمر على كذا والشيخ يعرف المسألة هذه فلا ينبغي الإكثار في هذا الباب ولا ينبغي المداخلة على حديث رسول الله أو على آية من كلام الله ﷻ بدلالة قول نبينا ﷺ: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» فلا ينبغي الاختلاف على نبينا ﷺ فما قاله فهو حق وشرع وجب علينا اتباعه وإلا وقعنا في الفتنة ونالنا العذاب الأليم الذي توعدنا الله به إن فعلناه قال الله سبحانه وبحمده:

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور ٦٣].

فهذا الحديث من الأهمية بمكان ينبغي لطلاب العلم وللعمامة أن يكون قاضياً به حتى يسلكوا به مسلماً طيباً فيكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة والله أعلم.



[١٠]

{ الطيب الحلال شرط القبول }

عن أبي هريرة ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟» رواه مسلم ^(٢).

في هذا الحديث يخبرنا ﷺ عن ربه ﷻ بأنه طيب والله ﷻ طيب في ذاته وطيب في صفاته وطيب في أفعاله فمن صفاته ﷻ الحكيم يقول سبحانه عن نفسه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]. فالله طيب ولا يأمر إلا بالطيب وأيضا لما كان ﷻ طيبا صار منزهاً عن النقائص والعيوب ثم لا يقبل إلا طيباً من الأعمال والأقوال والمعتقدات. وعكس الطيب هو الخبيث فالطيبات ما أمر الله به ورسوله ﷺ أو ما استطابته الفطر السليمة فالطيب من الاعتقادات التوحيد، ومن الألفاظ ذكر الله ﷻ، الصلاة على

(١) سبقت له ترجمة مختصرة عند الحديث التاسع.

(٢) رواه مسلم (١٠١٥) وأحمد (٨٣٣٠) والترمذي (٢٩٨٩) والبخاري في رفع اليدين (٩٤) والدارمي

(٢٧١٧) والبيهقي في الكبرى (٦١٨٧) والشعب: (١١٥٩) وعبد الرزاق: (٨٨٣٩).

النبي ﷺ ومن الأفعال الصلاة والبر، ومن المأكولات والمشروبات الماء والعسل واللبن ولحم الأنعام والفواكه التي أخرجها الله ﷻ لعباده كما قال ﷺ في كتابه الكريم: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبْنًا وَقَضْبًا (٢٨) وَرَيْثُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلَبًا (٣٠) وَفِكَهَةً وَأُنَاقًا ﴿[عبس ٢٤-٣١] فهذه طيبات وعكسها الخبائث فمن الخبائث في باب الاعتقاد الشرك دعاء غير الله، وكذلك السب والشتم هذا كله من الألفاظ الخبيثة، ومن الأفعال الزنا وشرب الخمر واللواط واستعمال الشمة خبيث والغيبة النيمة الفسوق بشكل عام كلها خبائث فالله هو ﷻ طيب ولا يقبل ﷻ إلا طيباً فمن تصدق فلا بد أن يكون من كسب طيب وهكذا الأعمال لا يقبلها الله إلا إذا كانت مستطابة قبلها الله وتعرفون العمل لا يقبل إلا بشرطين: الإخلاص والاتباع فإذا صار هذا العمل طيباً يقبله الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف ١١٠]. ثم يخبر النبي ﷺ عن ذلك مدلاً فيما قاله: «وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين» في هذا شرف للمؤمنين وأنهم مشاركون للمرسلين الذين بعثهم الله ﷻ إلى هؤلاء المؤمنين قال: «وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون ٥١] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة ١٧٢] فالله ﷻ طيب فلا يرضى إلا بالطيب ولا بد أن يكون العبد طيباً مع الله ﷻ وأبو بكر الصديق لما دخل على النبي ﷺ وهو مغطى في برد كشف عن وجهه ثم قبله قال: «طبت حياً وميتاً يا رسول الله» (١) وقال

(١) البخاري: (٣٤٦٧) والبيهقي في الكبرى: (١٦٣١٣) عن عائشة.

أنس بن مالك رضي الله عنه: «ولا شممت ريحاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ» ^(١) ولكن بعض الناس اليوم ربما على حسب عقله ومزاجه فلان طيب فلان ليس بطيب فلان طيب لأنه يوافق معه يجامل معه يداهن معه صار طيب وفلان يعرفه بأخطائه وعيوبه ليس بطيب فلان في منه مصلحة طيب ليس منه مصلحة إذن ليس بطيب هذا ميزان ظالم ليس بميزان عدل فلا ينبغي أن تقول: فلان طيب إلا إذا نظرت في أعماله في سلوكه كيف هو مع الله ﷻ نقول: والله فلان طيب سواء أعطانا أو لم يعطنا ليس الميزان هو الإعطاء أو المنع وإنما الميزان كيف العبد مع الله ﷻ فإن كان صالحاً فهذا طيب وشهادة الناس لا تغير من حقيقة الأمر شيئاً إن قال الناس عن فلان طيب ما أوجبوا له الجنة بهذا وإن قالوا: ليس بطيب لم يوجبوا له النار بشهادتهم هذه وإنما من شهد له أهل العلم والإيمان بأنه طيب طاب أصله وطاب فرعه وطابت أخلاقه وطاب معتقده وطاب منهجه طابت أيامه ولياليه فهذا إن شاء الله ﷻ طيب من المقبولين عنده سبحانه ثم بعد ذلك تطرق النبي ﷺ إلى أمر آخر ذكر النبي ﷺ لأصحابه الرجل وإنما الألف واللام للعهد الذكري ليس للعهد الذهني ذكر الرجل يطيل السفر يعني أي رجل لأن هذه الألف واللام تسمى الجنسية أو الإستغراقية من كان هذا حاله يتنزل عليه هذا الحكم يطيل السفر المهم أن هذا الرجل جاء بأسباب من شأنها أن يستجاب فيها الدعاء مسافر بل مسافر سفرًا طويلاً والنبي ﷺ يقول: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: ومنها: دَعْوَةُ الْمُسَافِرِ» ^(٢) وكان النبي ﷺ إذا ودع قومًا قال:

(١) البخاري: (٣٣٦٨) ومسلم: (٢٣٣٠) وأحمد: (١٢٠٦٧) وابن حبان (٦٣٠٣) وأبو يعلى (٣٨٦٦) والبيهقي في الشعب (١٤٢٩) وغيرهم.

(٢) حسن: رواه أحمد (٧٥٠١، ومواضع) وأبو داود (١٥٣٦) والترمذي (١٩٠٥، ٣٤٤٨) وابن ماجه (٣٨٦٢) وابن حبان (٢٦٩٩) والبخاري في الأدب (٣٢، ٤٨١) وحسنه الألباني: صحيح الجامع

«أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ» (١).

والمسافر يقول لمن ودعه: «أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ» (٢) ثم مع السفر هو أشعث أغبر حالة تدل على أنه مسافر مجهد وربما كان هذا السفر في طاعة وبعد ذلك يأتي بسبب من أسباب استجابة الدعاء يمد يديه إلى السماء والنبى ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيِّي كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ» (٣) يرفع يديه إلى الله ﷻ ويخاطب الله بصفة من صفاته وهي صفة الربوبية وهذه الصفة خاطب بها المؤمنون وقبلهم الأنبياء ربه ﷻ وكان الإمام أحمد وكثير من السلف يحبذون أن يدعى الله ﷻ بهذه الصفة قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۚ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۚ﴾ [آل عمران ١٩٠-١٩٣] وهكذا يقول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ

(٣٠٣١) والصحيحة (٥٩٦) وصحيح الترغيب والترهيب: (٣١٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٠١) والنسائي في الكبرى (١٠٣٤١) والحاكم (٢٤٧٨) وصححه الألباني في المشكاة (٢٤٣٦) والصحيحة (١٦٠٥) عن عبد الله الخطمي رضي الله عنه.

(٢) صحيح: النسائي في الكبرى (١٠٣٤٢) وابن ماجه (٢٨٢٥) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٩٥٨) وأنظر: الصحيحة (١٤، ١٥، ١٦، ٢٥٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: أحمد (٢٣٧٦٥) وأبو داود (١٤٨٨) والترمذي (٣٥٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥) والحاكم (١٨٣١) وابن حبان (٨٧٦) عن سلمان رضي الله عنه، وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٧٥٧) وصحيح الترغيب (١٦٣٥).

أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

[البقرة ٢٨٦]. آخر سورة البقرة لكن مع هذه المؤهلات كلها عنده ما يمنع قبول الدعاء. يدعو وقد جاء بأسباب الدعاء مسافر أشعث أغبر يمد يديه ينادي الله بصفة من صفاته لكن المشكلة أن مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام لما كان عنده هذه المحرمات في مأكله ومشربه وما غذى به نفسه قال النبي ﷺ: «فأني يستجاب له» ومفهوم المخالفة أنه لو كان مطعمه حلال ومشربه حلال وملبسه حلال وغذي بالحلال استجاب له في بعض الأحاديث الحسنة من حيث الصحة قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «أَطْبَ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ» (١).

وأبو عبيد القاسم بن سلام ألف كتابا في البيوع قيل: لو ألف كتابا في الزهد قال: قد ألف في البيوع ولما زار الشافعي أحمد أكل فاستغربت بنت الإمام أحمد كيف يأكل إمام الدنيا محمد بن إدريس هذا الأكل الكثير فقال: علمت أن أكلك حلال فأحببت أن أتغذى وأن أغذي جسدي من الحلال لأن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بلغ مبلغا من الورع في إطابة المطعم وتعرفون حديث النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ» (٢).

(١) ضعيف: رواه الطبراني: في الأوسط: (٦٤٩٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال قال: رسول الله ﷺ لسعد... وقال: لا يروى هذا الحديث عن ابن جريج إلا بهذا الإسناد، تفرد به الاحتياطي وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٨١٢): ضعيف جداً وانظر: ضعيف الترغيب (١٠٧١).

(٢) رواه أحمد (٦٦٥٢) والبيهقي في الشعب (٤٨٠١) عن ابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والحاكم في

ويقول النبي ﷺ:

«كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(١).

وكان بعض الصالحين إذا خرج يتكسب لأولاده تقول له امرأته: إياك أن تطعمنا حراماً فإننا نصبر على جوع الدنيا ولا نستطيع أن نصبر على حرارة جهنم. وكل واحد على حسب ما أعطاه فمن وسع الله له وسع على أولاده ومن لا فلا ينبغي له.

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها وأن تجود نفساً إلا بما تجد

فعلى حسب ما أعطاك الله تجد الهناً كما قال أبو العتاهية:

**رغيف خبز يابس تأكله في زاوية وكوز ماء بارد تشربه من صافية
ومصحف تدرسه معتمداً لسارية خير من السكنى بظلات القصور العالية**

من بعد ذلك كله تصلى بنار حامية.

فمن اقتنع بما آتاه الله ﷻ وجد الراحة والطمأنينة وعلى الدنيا السلام قال نبينا ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ أَمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا»^(٢) وهناك أمر مهم جداً وهو الصحة والعافية هذا كنز في حد ذاته

=
المستدرک (٧٨٧٦) والبيهقي في الشعب (٥٢٥٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما وصححه الألباني: صحيح الجامع (٨٧٥) وصحيح الترغيب (١٧١٨) والصحيحة (٧٣٣).
(١) صحيح: رواه البيهقي في الشعب (٥٧٥٩) وأبو نعيم في الحلية (٣١/١) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٥١٩).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٣٤٦) وابن ماجه (٤١٤١) والبخاري في الأدب (٣٠٠) والبيهقي في الشعب (١٠٣٦٢) عن عبدالله بن محصن الخطمي رضي الله عنه والطبراني في الأوسط: (١٨٢٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما

أن تكون صحيح البدن لو تدري ما عند الناس من ابتلاءات ذاك لا يستطيع أن يبول أحصر فلو عنده ملئ هذا المسجد من الذهب والفضة أيش يريد بذلك بعضهم عنده صمامات القلب وآخر يشتكي الحمى وبعضهم يريد عملية لعينه أو إحداهما وآخر الصمم وآخر عنده المعدة أي شيء يدخل تلفظه مباشرة وآخر إذا أكل أكلة أجريت له عملية من أجل إخراج البراز ما يستطيع يتبرز ربما كان عنده ماسورة إلى الخارج وبعضهم مصاب بأمراض نفسية وبعضهم عنده صداع دائم لا يريد يتكلم مع أحد فيحمد الواحد من ربه ﷺ على العافية فلذلك قالوا: العافية تاج على رؤوس الأصحاء يعرف ذلك المرضى لكن الذي ما قد جرب يقول: الأمر سهل يقول: أنا أريد أموال يظن أنه إذا عنده مال خلاص مثل بعض الممثلين اسمه أنور وجدي قال: أنا عايز مليون جنيه ولو كان على حساب صحتي فأعطاه الله أكثر من المليون فقليل له: إن فقدت بعض صحتك قال: أتعالج بنصف وأعيش بالنصف الآخر فأصيب بمرض وفتح الله ﷻ عليه أبواب الخير ثم بعد ذلك منع من كثير من المأكولات كان عنده مزرعة في الوادي يأخذ الحمال الفراخ والبط والأوز والسمك واللحم وهو لا يأكل إلا ناشف خبز ناشف ممنوع أن يأكل شيئاً مع الخبز وبعدين ذهب يتعالج في لندن المهم توفي ولم يستفد من ذلك المال شيئاً فينبغي للشخص أن يكون راضياً بما قسمه الله له في هذه الدنيا.



والبيهقي في الشعب: (١٠٣٥٨) وصحيح ابن حبان: (٦٧١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٤٢) والصحيحة (٢٣١٨) وصحيح الترغيب (٨٣٣).

[١١]

{ الأخذ باليقين والبعد عن الشبهات }

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ وريحانته ^(١) رضي الله تعالى عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ «دَعَا مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ» رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح ^(٢).

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد القرشي الهاشمي سبط رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة الزهراء وريحانته وأشبهه خلق الله به في وجهه (مشهور غني عن التعريف) ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة فحنكه رسول الله بريقه وسماه حسنا وهو أكبر ولد أبويه وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حبا شديدا حتى كان يقبل ذبيبته وهو صغير وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه وربما جاء رسول الله ص ساجد في الصلاة فيركب على ظهره فيقره على ذلك ويطلق السجود من أجله وربما صعد معه إلى المنبر وقد ثبت في الحديث أنه ﷺ بينما هو يخطب إن رأى الحسن والحسين مقبلين فنزل إليهما فاحتضنهما وأخذهما معه إلى المنبر وقال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة إني رأيته هذين يمشيان ويعثران فلم أملك أن نزلت إليهما، روى عن النبي ﷺ أحاديث منها هذا الحديث. توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين كذا قال غير واحد وهو الأصح والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين وقال آخرون مات سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين.

أنظر: ترجمته في: الإصابة (٩٦/٢) وطبقات ابن خياط (ص ٢٣٠) وتأريخ دمشق (١٦٣/١٣) رقم (١٣٨٣) والتأريخ الكبير (٢/٢٨٦) والبداية والنهاية (٨/٣٣) وغيرها من كتب التراجم والتأريخ.

(٢) صحيح: رواه أحمد: (١٧٢٣)، ومواضع) والترمذي: (٢٥١٨) والنسائي: (٥٧١١) وفي الكبرى (٥٢٢٠) والدارمي (٢٥٣٢) وابن حبان (٧٢٢) والحاكم (٢١٦٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أما أبو محمد الحسن بن علي فهو مشهور صحابي امتدحه النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (١).

وفعلًا فقد كان النزاع محتدمًا بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فكان كل واحد له جيش وله صف وله شوكة وفئة يأوي إليها فمع علي أهل الكوفة ومع معاوية أهل الشام وكان النزاع قائمًا بينهما التقيا في معركة صفين وكانت فتنة عظيمة بين المسلمين المؤجج لها أعداء الإسلام السبئيون أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي دخل في الإسلام زندقة ليضربه من الداخل على حد زعمه وإلا فالإسلام قوي لا يتهدده ولا يتغير فشيء أراد الله يمضي وكانت فتنة أريقَت فيها الدماء وحصل ما حصل فيها سنة أربعين من هجرة النبي ﷺ وفي يوم خرج علي رضي الله عنه في صلاة الفجر ينادي الناس هيا إلى الصلاة قوموا إلى الصلاة صلوا يا عباد الله فيأتي رجل يسمى بعبد الرحمن بن ملجم فيطعنه فيقتله الخارجي الشقي الذي باع الذي هو أدنى بالذي هو خير قتل ابن عم رسول الله وصهر رسول الله.

والنبي ﷺ يقول لعلي: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا

والطيلاسي: (١١٧٨) والطبراني في الكبير: (٢٧٠٨) وأبو يعلى (٦٧٦٢) والبخاري (١٣٣٦) وعبد الرزاق في مصنفه (٤٩٨٤) والبيهقي في الشعب: (١٠٦٠١) وصححه الألباني في الإرواء (١٢، ٢٠٧٤) وقال: ورد - أي هذا الحديث - عن جماعة من الصحابة منهم: الحسن بن علي، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر.

الإرواء (١/ ٤٤٤م: ١٢) وصحيح الجامع (٣٣٧٧، ٣٣٧٨) والحديث صححه أيضًا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في الصحيح المسند رقم (٣١١).

(١) رواه البخاري (٢٥٥٧، ٣٤٣٠، ٣٥٣٦، ٦٦٩٢) وأحمد (٢٠٤٦٦، ٢٠٥٣٥) وأبو داود (٤٦٦٢) والترمذي (٣٧٧٣) والنسائي (١٤١٠) وفي الكبرى (١٧١٨، ٨١٦٦) عن أبي بكره رضي الله عنه.

أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»^(١) والله المستعان.

حتى إن عمران بن حطان كان على مذهب الخوارج يمتدح قاتل علي قائلًا:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
أني لأذكره يومًا فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا^(٢)

فرد عليه أبو الطيب الطبري قائلًا:

إنني لأبرأ مما أنت قائله عن ابن ملجم الملعون بهتانا
إنني لأذكره يومًا فألعنه دينًا وألعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلًا لعائن الله إسرارًا وإعلانًا
فأنتمو من كلاب النار جاء لنا نص الشريعة برهانًا وتبيانًا^(٣)

ورد بعض العلماء قائلًا:

بل ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش خسرانًا
أنني لأذكره يومًا فأحسبه أشقى البرية عند الله ميزانا^(٤)

يتولى الحسن بعد مقتل أبيه علي بن أبي طالب في الكوفة. فيموت علي ويتولى الأمر الحسن بن علي مدة قدرها ستة أشهر وكان معه أهل الكوفة. هو محبوب

(١) رواه البخاري (٣٥٠٣، ٤١٥٤) ومسلم (٢٤٠٤) وأحمد (١٤٦٣، ١٥٣٢، ومواضع) والترمذي

(٣٧٣١) والنسائي في الكبرى (٨١٣٨، ومواضع) وابن ماجه (١١٥) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) الإصابة (٣٠٣/٥) والبداية والنهاية (٥٣/٩).

(٣) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس (١١٨/١) وأشار في البيت الأخير إلى قوله: وَاللَّهِ

«الخوارج كلاب أهل النار» والحديث رواه ابن ماجه (١٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع

(٣٣٤٧) والظلال (٩٠٤) عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه.

(٤) البداية والنهاية (٥٣/٩).

ولكن ﷺ وأرضاه تنازل إطفاء للفتنة وحفناً لدماء المسلمين وهذا أمر حمده عليه أهل السنة بل سمي ذلك العام عام الجماعة حينما اجتمع المسلمون على معاوية لكن الذين في قلوبهم مرض قالوا له: يا خاذل المؤمنين - عياداً بالله - بعضهم ما يرضى بالصلح ولا يرضى بالخير وما كان ﷺ بخاذل وإنما مصلح وحاقن وناصح ولكن هكذا أهل الباطل يريدون استمرار الفوضى وإراقة الدماء والإفساد في الأرض - عياداً بالله - فهذا الصحابي الجليل من سلالة نبينا محمد ﷺ ابن فاطمة حتى قال هنا النووي: سبط والسبط هو ابن البنت والحفيد ابن الإبن وأيهما مقدم ابن الإبن أم ابن البنت؟

ابن الإبن مقدم حتى في الميراث:

بنونا بنو آبائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأجانب

سبط رسول الله ﷺ وريحانته الريحانة بمعنى الزهرة الطيبة ذات الرائحة العطرة مأخوذ من حديث النبي ﷺ: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا» ^(١) ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ، ورسول الله جده حتى أن أبا بكر الصديق ﷺ وجده مرة يلعب فأخذه واحتضنه فقال: «بأبي هو شبيه بالنبي لا شبيهها بعلي وكان علي ﷺ يضحك» ^(٢). قال: حفظت من رسول الله ﷺ دع، بمعنى اترك وهي لفظة قرآنية قال الله: ﴿وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب ٤٨]. ما يريبك أو يريبك بالضم والفتح والفتح أفصح أي ما يلحق بك الريب والشك سواء كان أمراً دينياً دنيوياً أخروياً دعه حتى لا يقلقك ويزعجك أمره. إذا

(١) رواه البخاري (٣٥٤٣، ٥٦٤٨) وأحمد (٥٥٦٨)، وموضع) والترمذي (٣٧٧٠) عن ابن عمر ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٩، ٣٥٤٠) وأحمد (٤٠) عن عقبة بن الحارث ﷺ.

اشتبه عليك شيء فدعه ولا تكثر به حتى لا تنزعج به لأن المؤمن مطالب أن يكون مطمئناً: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد ٢٨]. فالنبي ﷺ يقول: «دَعْ مَا يَرِيكَ» الشيء الذي تشكك منه دعه إلى ما لا يريبك أي إلى ما لا يحصل الريب والشك بسببه وهذا من الأحاديث الجامعة من جوامع كلمات الرسول ﷺ لأنه قال كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ» (١).

وعليه يدور قطب رحى الإسلام وهو قاعدة عامة في كل الأحكام الشرعية مثلاً في أمر الوضوء توضأت ثم جاء الشيطان يوسوس لك فيقول: أنت أبقيت رجل، أبقيت يد، ما مسحت على الرأس. أنت لا تلتفت إلى هذا الشك لأن الدين مبني على اليقين: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم ٢٨]. صليت فانتهيت من الصلاة فجاء الشيطان يوسوس ما قرأت الفاتحة، لا. دع ما يريبك إلى ما لا يريبك عقدت عقد نكاح ثم كل الأركان تامة الولي والشاهدان ثم تشككت ربما كان الشاهدان غير عدلين لا تلتفت إلى هذا ابن علي اليقين طفت طواف الدواع أو طواف الإفاضة ثم جاء الشيطان يوسوس ربما أنقصت وأنت متيقن أنها سبع فإن ازداد الشك قطعه بشوط سابع وإلا فلا تلتفت وهكذا صمت ونويت الصيام قبل الفجر جاء الشيطان يشكك فلا تلتفت إلى مثل هذا إطلاقاً خبرت أنك رضعت مع شخص أربع رضعات أو رضعتين جاء الشيطان وقال: ربما وربما عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «كَانَ فِيْمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ، بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُنَّ فِيْمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ» (٢) يعني خمس

(١) متفق عليه: البخاري (٢٨١٥، ٦٥٩٧، ٦٦١١، ٦٨٤٥) ومسلم (٥٢٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٢٦٣٤) وأبو داود (٢٠٦٢) والترمذي (١١٥٠) والنسائي (٣٣٠٧) وابن ماجه (١٩٤٢) =

واضحات مستيقنات وهو يدخل في كل الأحكام الشرعية فأنت تترك هذا الذي يوجب لك الريب إلى ما لا ترتاب منه من أمور الدين ما قد تقدم. كذلك فيما يتعلق بالتورع ولو في مسألة خلافة بين العلماء الخروج من الخلاف مستحب خذ لك قولاً مدعماً بدليل يطمئن بذلك قلبك وهكذا في أمور البيع والشراء هذا الحديث قريب من حديث النعمان بن بشير لما قال النبي ﷺ: «وبينهن أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»^(١) لكن لا يكون الشخص متورعاً الذي يسمى الورع البارد يتورع كما يقال بالإبرة وهو يسرق الجمل إن وجد إبرة لمن هذه الإبرة؟ هذه من ضيعها يا ناس؟ أنا وجدت إبرة وبعدين يسرق الجمل أو السيارة جاء أهل العراق يسألون ابن عمر عن دم البعوضة: فَقَالَ لِلسَّائِلِ مِمَّنْ أَنْتَ فَقَالَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالَ انْظُرُوا إِلَيَّ هَذَا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبُعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»^(٢).

لكن إذا كان من شأن الرجل الورع فلا بأس أن يتورع في الأمور الدقيقة جاءوا إلى الإمام أحمد سألوه عن رجل بن أبي بشر أو كذا قالوا له: إنه يشتري البقل ويشترط الخوصة.

والمراد بالخوصة: هذا المربط. قال الإمام أحمد: أيش هذا الكلام؟ قالوا له: هذا ابن أبي فلان فقال: لا بأس من غيره ربما يكون واقع في طوام. مثل المريض عنده

=
عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١) في الصحيحين: وقد سبق: وهو جزء من حديث رقم (٦) من الأربعين النووية.

(٢) في البخاري: وقد سبق.

فشل الدكتور أهمل مسألة الفشل وجد نقطة أو شيء من القوارش في رجله أوفي فخذة فقال: نبدأ نعالج هذه وهكذا سئل أحد العلماء عن رجل أمرته أمه أن يطلق زوجته فأجاب هذا العالم قال: إن كان ما بقي من بره بأمه إلا طلاق المرأة فليطلق برًا بالأم ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء ٢٣]. أمر الوالد خلاص إلا إذا كان أمرك بمعصية فلا سمع ولا طاعة وإن كان هو عاق لأمه وما وجد أن يبرها إلا بهذا الباب فلا. فنحن مطالبون في كل لحظة وحين أن ندع ما يوجب لنا الشكوك والإرتياب والكآبة نخرج منها إلى قوالب الخير والسعة نخرج من الضيق إلى السعة ومن الشقاء إلى السعادة ومن الشر إلى الخير وهكذا النبي ﷺ رأى مع الحسن ثمرة أو كآبه سبب ورود الحديث في هذا سأل ابن أبي الجوزاء الحسن ما حفظت من رسول الله ؟ فقال: أكلت ثمرة فأخذها النبي ﷺ مع لعبائها ثم ردها في التمر وقال: «أَمَّا شَعَرْتُ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»^(١). دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق وفي رواية الخير طمأنينة والكذب ريبة قال الترمذي: وهو محمد بن عيسى بن سورة ويكنى بأبي عيسى وهو نيسابوري والنسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب كان عالمًا كبيرًا ضربه أهل الكوفة أو البصرة سألوه عن معاوية قال: لا أحفظ إلا حديث: «لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ»^(٢) فما زالوا به ضربًا حتى قتلوه وكان عالمًا كبيرًا نحريرا. قال الترمذي: حديث حسن صحيح: هذه العبارة مشكلة لا زالت مشكلة إلى يومنا هذا فبعض العلماء فسرها أنها بمعنى أن للحديث إسنادان سند حسن وسند صحيح

(١) البخاري (١٤١٤، ١٤٢٠، ٢٩٠٧) ومسلم (١٠٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٠٤) وأحمد (٣١٣١) دون قوله (لا أشبع الله بطنه) والطيالسي (٢٧٤٦) عن ابن

وبعضهم قال: لا إنما هو حسن عند قوم صحيح عند آخرين ولا زال الإشكال حاصل عند العلماء حتى قال بعض المتقدمين: إن جمعني الله بالترمذي يوم القيامة لأسأله عن معنى اصطلاحه هذا وما وجد من حديث في الترمذي أو في السنن عنه بخلاف الصحيحين فإنهما قد تلقتهما الأمة بالقبول وهذا الحديث صححه الشيخ الألباني كما في إرواء الغليل فهو صحيح.



[١٢]

{ الاشتغال بما يفيد }

عن أبي هريرة رضي الله تعالى^(١) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ» حديث حسن^(٢) رواه الترمذي وغيره هكذا.

راوية الحديث يتكرر معنا كثيراً في هذا الكتاب وغيره من كتب الحديث والفقه وغيرهما هذا الصحابي الجليل أعني أبا هريرة رضي الله عنه ينقل عن النبي ﷺ هذه الأحرف اليسيرة قليلة الألفاظ جزلة المعاني يقول نبينا ﷺ: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ».

المرء يشمل الذكر والأنثى من المسلمين فيقول ﷺ: «من حسن إسلامه» أي

(١) سبقت ترجمة له عند الحديث التاسع.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣١٧، ٢٣١٨) وابن ماجه (٣٩٧٦) وابن حبان (٢٢٩) والطبراني في الأوسط (٣٥٩، ٢٨٨١) والبيهقي في الشعب (٤٩٨٧) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٥٩١١) وصحيح ابن ماجه (٣٢١١) والحديث رواه مالك في الموطأ (١٦٠٤) وأحمد (١٧٣٢) وغيرهم. مرسل عن علي بن الحسين زين العابدين وصححه الألباني في المشكاة (٤٨٣٩).
فائدة: ورجح الإرسال: البخاري في التاريخ الكبير (٢٢٠/٤) حيث قال: (ولا يصح إلا عن علي بن حسين عن النبي ﷺ) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦٤/١٢) قال: الصحيح عن مالك عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلًا عن النبي ﷺ، وممن قال إنه لا يصح إلا عن علي بن حسين مرسلًا: الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخاري والدارقطني. أنظر: جامع العلوم (ص/١١٣).
وقال ابن رجب: والصحيح فيه المرسل... وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه آخر وكلها ضعيفة وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب. أنظر: جامع العلوم (ص/١١٣).

من محاسن دينه من محاسن دين الرجل ومن محاسن الدين الخالدة ككل تركه ما لا يعنيه ما لا يخصك ولا يهملك فلا ينبغي أن تشغل نفسك وأن تقلقها به هذا من محاسن الإسلام ومن كماله ومن عدله أيضًا أن جعل لك هذا الأصل الأصل والركيزة الوشيعة أنك لا تهتم وتغتم أو تحزن أو تكثر بشيء ليس من شأنك ولا من حقلك أن تتدخل فيه حتى قال بعضهم في بعض الأمثال: «من أدخل نفسه فيما لا يعنيه أبتلي فيه بما يعنيه»^(١)، وقيل للقمان الحكيم: بم بلغت ما بلغت؟ (يعني من الفضل) قال: «بثلاث صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعينني»^(٢) فشيء لا يعينك لا تتدخل فيه ولا تعب نفسك وتقلقها وتزعجها ولكن اهتم بما يعينك وبما من شأنه أنك أنت ملزم به فهذا قد يكون واجبًا لكن هنا أمر يجب التيقظ له وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ العلم هل هذا مما يعيننا؟ نعم هذا مما يعين الأمة الإسلامية كلها مررت على منكر من المنكرات رجل أو امرأة على منكر على معصية فأردت أن تنكر قال لك: يا أخي ليس لك دخل مش شغلك أو ربما استدل لك بهذا الحديث: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

هذا ليس من حقه أن يقول هذا الكلام بل أنت من حقلك أن تتكلم وأنت من حقلك أن تنكر ويجب عليه أن ينصت لما تقوله لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَتَكُنْ مِنَ الْخَائِبِينَ﴾ [آل عمران ١٠٤].
ويقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران ١١٠].

(١) أنظر: نثر الدر، وربيع الأبرار، والبصائر والذخائر. عن ابن المقفع.

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٠) باب ما جاء في الصدق والكذب رقم (١٧٩٣) والبيهقي في الشعب

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾
[آل عمران ١١٠].

والنبي ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١) وهكذا لا يفهم من قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيْنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ١٠٥].

لا يفهم منها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحال أبداً فقد فسر لها أبو بكر عن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية وتفسرونها بغير تفسيرها وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ، لَا يُغَيِّرُوهُ، أَوْ شَكَ اللَّهُ أَنْ يَعْمَهُمْ بِعِقَابِهِ»^(٢).

ولا يفهم من قول بعض الصحابة عندما سأل النبي ﷺ قال: يا رسول الله متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذَا كَانَتِ الْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالِكُمْ»^(٣).

(١) صحيح: وسيأتي برقم (٣٤) من الأربعين النووية.

(٢) صحيح: رواه أحمد برقم (١٦٠١، ٥٣) وابن ماجه (٤٠٠٥) وابن حبان (٣٠٥) عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٩٧٤).

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢٩٦٦) وابن ماجه (٤٠١٥) والبيهقي في الشعب (٧٥٥٥) وأبو نعيم في الحلية (١٨٥/٥) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وضعفه الألباني: ضعيف ابن ماجه (٨٧٠) لعننه مكحول.

وحسنه أحمد شاكر في: تخريج أحاديث الأحياء رقم (١١٤) وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند (١٢٩٦٦): إسناده قوي.

أيضا لا يفهم منه هذا وإنما ينبئنا النبي ﷺ عن حالة يندى الجبين لها وهو أن يكون العلم عند الأراذل ما عظموه ولا احتراموه ولا وضعوه بالموضع الذي يليق به وهكذا بدل ما يكون الملك والإمارة فيمن يليق بها وهي تليق به يكون في الصغار إمارة السفهاء كما جاء عن النبي ﷺ:

أنه قال لكعب بن عجرة رضي الله عنه «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ» ^(١) أما زماننا هذا فالخير موجود وأنك إذا قلت ربي الله وقال الله قال رسول الله وجدته من يستمع لحديثك فيكون معنى الحديث فيما دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رأيت اثنين يتناجيان في أمر لا تحشر نفسك أو أن تتقطع حشرات لا بد أن تدرك أيش يقول هؤلاء؟ ما لك ولهم أيش تريد منهم؟ اترك هذا دعه ولا تكثر به ولا تهتم به فإن من راقب الناس مات هماً ولكن «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ» ^(٢) وهكذا النبي ﷺ في حديث آخر يقول: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزَنُهُ» ^(٣).

-
- (١) صحيح لغيره: رواه أحمد (١٤٤٨١، ١٥٣١٩) وابن حبان (١٧٢٣) والحاكم (٢٦٥) والبيهقي في الشعب (٩٣٩٩) عن جابر رضي الله عنه وقال الألباني: صحيح لغيره. أنظر: صحيح الترغيب (٢٢٤٢) والحديث عند الترمذي (٦١٤) والطبراني في الكبير (٢١٢) بلفظ (أعياذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي) وصححه الألباني: في صحيح الترغيب (٢٢٤٣) عن جابر رضي الله عنه. وعند الطبراني في الكبير (١٠٥) عن عوف بن مالك رضي الله عنه بلفظ: أخاف عليكم ستاً: (ومنها إمارة السفهاء) وصححه الألباني: في صحيح الجامع (٢١٦).
- (٢) ضعيف جداً: رواه البيهقي في الشعب (١٠٥٦٣) والهيثمي في المجمع (١٧٧٠٠) وانظر: كشف الخفا (١٦٧٣) وكنز العمال (٤٣٤٤٤) عن أنس رضي الله عنه. وضعفه الألباني: ضعيف الجامع (٣٦٤٤).
- (٣) البخاري (٥٩٣٠) ومسلم (٢١٨٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه البخاري (٥٩٣٢) ومسلم (٢١٨٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

هذا أدب آخر إذا كان المجلس مجلس عام مثل المسجد وشخص مع صاحبه وكذا فله أن يأخذ من يرتاح له أو من هو زميله وصديقه فيفضي إليه وذاك يفضي إليه أما إذا كانوا ثلاثة رفقاء.

فلا ينبغي لرقم واحد واثنين أن يتكلمان دون رقم ثلاثة وهكذا لا يجوز الثالث يحزنه لا ينبغي لا يذهب شخص ينزل على هذا الحديث يقول: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ».

فإذا كانوا ثلاثة ركبوا في السيارة فيتكلم اثنان وذاك يجعلونه هكذا كأنه غير موجود إلا إذا كان صغيراً لا يفهم الكلام أو امرأة ليس من شأنها أن تتدخل وتشارك الجمهور في حديثهم.

أما إذا كانوا ثلاثة شباب كبار فلا ينبغي أن ينخس اثنان بالكلام دون الثالث فإن ذلك يحزنه.

ربما تكلموا على سعر البلاط والبلوك والإسمنت وتكلموا على شراء الكتب وذاك ما يسمع الكلام يقول: هؤلاء أعلم أيش يتكلموا علي وهم لا يعنونه لكن الشيطان حريص فنحاول أن نقطع حبال الشيطان.

أن يمتد إلى هذه الرفقة المباركة فلا تتكلم إلا بكلام عام وليكن الكلام مشتركاً بين الثلاثة.

فإذا كان في كلام لا بد منه بعد انقضاء الرحلة أو هذه الأيام ممكن تتصل له تلفون أنت في مكان بعيد

وهو في مكان بعيد إذا كان لا بد منه أما أن تأخذه على جنب تجعل نوع من

الحيطة؛ لأن ذاك الشخص يتأثر ينبغي الحفاظ على قلب أخيك المسلم.

يقول الإمام النووي يقول: حديث حسن معناه حسن الإسناد والمتن فهو أرفع من لفظة سنده حسن والحسن لغة: صفة مشبهة مشتق من الحسن الجمال واصطلاحاً: ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة والحديث ذكره الشيخ الألباني وقال: حسن لغيره كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨١).

قال: رواه الترمذي وغيره ابن ماجة ومالك في الموطأ وأحمد هؤلاء كلهم رووا هذا الحديث.

وبعض العلماء يضعفه، ولكن هذا الذي توصلت إليه أخيراً أن الحديث صالح للاحتجاج فهو حسن ويعمل به إذ أنه يحمل خلقاً رفيعاً لم يتصف به إلا الرجال الكمل.



[١٣]

{ أخوة الإيمان والإسلام }

وعن أبي حمزة أنس بن مالك ^(١) رَوَى عَنْهُ خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» ^(٢).

^(١) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري النجاري أبو حمزة المدني نزير البصرة خدم رسول الله ﷺ مدة مقامه بالمدينة عشر سنين فما عاتبه علي شيء أبدا وأمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام هي التي أعطته رسول الله ﷺ فقبله وسألته أن يدعو له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره وأدخله الجنة قال أنس فقد رأيت اثنتين وأنا أنتظر الثالثة والله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو من مائة وفي رواية وإن كرمي ليحمل في السنة مرتين وإن ولدي لصلبي مائة وستة أولاد.

وقد اختلف في شهوده بدرا وقد روى الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال قيل لأنس أشهدت بدرا فقال وأين أغيب عن بدر لا أم لك.

والمشهور أنه لم يشهد بدرا لصغره ولم يشهد أحدا أيضا لذلك وشهد الحديبية وخير وعمره القضاء والفتح وحنينا والطائف وما بعد ذلك قال أبو هريرة ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم يعني أنس بن مالك وقال ابن سيرين كان أحسن الناس صلاة في سفره وحضره وكانت وفاته بالبصرة وهو آخر من كان قد بقي فيها من الصحابة فيما قاله علي بن المديني وذلك في سنة تسعين وقيل إحدى وثلاثين وقيل ثلاث وتسعين وهو الأشهر وعليه الأكثر وأما عمره يوم مات فقد روى الإمام أحمد في مسنده حدثنا معتمر بن سليمان عن حميد أن أنسا عمر مائة سنة غير سنة وأقل ما قيل ست وتسعون وأكثر ما قيل مائة وسبع سنين وقيل ست مائة وثلاث سنين فإله أعلم

أنظر: ترجمته في: البداية والنهاية (٥/ ٣٣٢)، والإصابة (١/ ١٢٦) رقم (٢٧٧).

^(٢) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) ولفظه: (حتى يحب لأخيه أو قال لجاره) وأحمد (١٢٨٢٤)،

=

أنس بن مالك صحابي جليل أهدي للنبي ﷺ من قبل أم سليم وهي أم أنس مات عنه أبوه مالك وتزوجها بعد ذلك في ظل الإسلام أبو طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنه فلما قدم النبي ﷺ المدينة قالت أم سليم: يا رسول الله خويدمك أنس فادع له فدعا النبي ﷺ لأنس بن مالك قائلاً: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ»^(١) فكان حائطه ينتج في السنة مرتين وكان له من الولد زهاء مائة وعشرين. فهو كان خادماً لكنه استفاد من تلك الخدمة لأنه كان يخدم سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ قال عن نفسه: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أَفْأَقَطُّ وَلَا قَالَ لِي لَيْشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتُ كَذَا وَهَلَّا فَعَلْتُ كَذَا»^(٢) وهو من حفاظ الصحابة حفظ من الحديث فوق الألف كما قال العراقي:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

وكان عالماً كبيراً سكن البصرة بل هو آخر من توفي فيها فلما مات قال بعض التابعين: مات في هذا اليوم نصف العلم قال: كنا إذا اختلفنا مع أهل البدع قلنا: هيا لنسمعه من صاحب رسول الله.

=

ومواضع) والترمذي (٢٥١٥) والنسائي (٥٠١٦، ٥٠٣٩) وابن ماجه (٦٦). وأخرجه أحمد (١٣١٦٩، ومواضع) والنسائي (٥٠١٧) وابن حبان (٢٣٥) وأبو يعلى (٢٨٨٧) بزيادة: (ما يحب لنفسه من الخير) وهي زيادة صحيحة صحيحها الألباني في صحيح الجامع (٧٠٨٥) وانظر شرحها في الصحيحة (٧٣).

(١) روى ذلك البخاري (١٨٨١، ٥٩٧٥، ٥٩٨٤، ٦٠١٧، ٦٠١٨) ومسلم (٦٦٠، ٢٤٨٠، ٢٤٨١) وأحمد (١٣٠٣٦، ومواضع) والترمذي (٣٨٢٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٦١٦، ٥٦٩١، ٦٥١٣) ومسلم (٢٣٠٩) واللفظ له وأحمد (١٣٠٤٤، ومواضع) وأبو داود (٤٧٧٤) والترمذي (٢٠١٥) عن أنس رضي الله عنه.

فكان له دعوة وطلاب وأثر وخير وهكذا تفرق أصحاب النبي ﷺ على الأقطار والأمصار دعاة وغزاة ومرشدين ومعلمين وموجهين جزاهم الله عنا وعن الإسلام خيرا هذا الإمام الكبير الصحابي الجليل يقول: إنه سمع النبي ﷺ يوما قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»، هذا نفى منه ﷺ لكمال الإيمان لا لأصل الإيمان «حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» وقلنا لكمال الإيمان لأن هذه من الأمور المستحبة مثل: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ» - ثلاثا - قيل من يا رسول الله. قال: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» ^(١) وهلم جرا من هذه الأحاديث وقوله: «لَا يُؤْمِنُ» من الإيمان المعروف بمعنى الإقرار أو التصديق. وشرعا: هو نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان. وهذا التعريف الذي ذكره له أدلته لما قالوا: نطق باللسان فعندنا حديث أبي هريرة في الصحيحين قال: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هذا قول باللسان «وَأَذَانُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» هذا من العمل بالجوارح والأركان وإلا فالصلاة الحج عمل بالجوارح «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» ^(٢) فإن الحياء إنما ينتج من القلب فقوله: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ» الضمير عائد إلى أمته جميعا أمة الإجابة لا أمة الدعوة إذ أن أمة الإجابة مطالبون بأصل الإيمان فأمة الإجابة هم المسلمون الذين استجابوا لله ولرسوله وأمة الدعوة هم الكفار من

(١) البخاري (٥٦٧٠) ومسلم (٤٦) وأحمد (٢٥٩٠٩) عن أبي هريرة وأبي شريح رضي الله عنهما، ولفظ مسلم: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه).

(٢) البخاري (٩) بلفظ: (بضع وستون..) ودون ذكر أعلاه وأذناه ومسلم (٣٥) واللفظ له وأحمد (٩٣٥٠) وأبو داود (٤٦٧٦) والترمذي (٢٦١٤) والنسائي (٥٠٠٥) وابن ماجه (٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا تعارض بين الروایتين. قال النووي: فان العرب قد تذكر للشئ عددا ولا تريد نفى ما سواه. شرح مسلم (٥/٢)

يهود ونصارى ومسيحيين وشيوعيين وأهل نحل باطلة فالنبي ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم، حتى» وهي تفيد الغاية «يُحِبَّ» والمراد به الميل والعطف إذا كان في حق الآدمي أما في حق الخالق يقال: محبة حقيقية من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل «لا يؤمن أحدكم، حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ» أي أخوه المسلم كما قال النبي ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب»^(١) وقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات ١٠]. وقال جل وعلا: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ﴾ [آل عمران ١٠٣]. والمراد بالنعمة الإيمان والإسلام فيقول: «لا يؤمن أحدكم، حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» وهنا ما موصولية ويحب صلتها والعائد محذوف تقديره محبته يعني لا بد أن تنظر لأخيك من الخير والمنفعة ما تختاره لنفسك وتحبه لنفسك فاختره أيضًا لأخيك المؤمن ويدل الحديث على أن المؤمن يجب أن يكون باحثًا عن الخير والنفع للآخرين سواء كان هذا الخير والنفع دينيًا أو دنيويًا وهذا يقتضي عدم الحسد إذا أنت أحببت له الخير ما تحب لنفسك من العلم والجاه والسؤدد والرفعة والثراء والخير لا يبقى مجال للحسد لأن الحسد قال بعض العلماء: تمنى زوال النعمة عن الغير قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا هو الصحيح قال: المراد بالحسد كراهية النعمة لأخيك المسلم مع أن الذي أنزل النعمة هو الله لكن انظر إلى خبث الحسد والبخل أن تبخل في شيء ليس لك وإنما نعمة أسداها الله ﷻ لعبده فأنت تكره أن يكون هذا الخير واصلًا إلى أخيك المؤمن والنبي ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ

(١) حسن: رواه أحمد (٨٧٢١، ١٠٩٧١) وأبو داود (٥١١٦) والترمذي (٣٩٥٦) والبيهقي في الشعب (٥١٢٧).

وحسنه الألباني: صحيح الترغيب (٢٩٦٥) والصحيحة (١٠٠٩) والمشكاة (٤٨٩٩) عن أبي هريرة.

دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ»^(١) ويقول ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(٢) ويقول ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(٣) فأنت تحب لنفسك مثلاً الشبع إذا حب لأخيك وهكذا الري والغنى والسؤدد فأيضاً حبه لأخيك، تحب لنفسك فعل الواجبات الدينية وترك المحرمات حب لأخيك أيضاً، كذلك أنت تحب لنفسك الحلال وتبغض الحرام حب لأخيك ذلك، فهذا الحديث قاعدة مهمة جداً ينبغي للمسلم أن ينطلق منها لذا يمتدح الله ﷻ الأنصار لما أسس في قلوبهم من الخير وحب النفع للآخرين فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. ولا يقتضي هذا أنك تعطي لأخيك فإن العطاء يرجع إلى الزيادة عن الحاجة أو الإيثار لكن يكفي أن تعمل بهذا الحديث أن توطن نفسك على حب ما يصل إلى أخيك المسلم فإذا رأيته عليه نعمة لا تحسده بل ادع له وافرح.

بلغ الحال ببعض المسلمين إذا رأى فلان من الناس امتلك دكاناً صغيراً

(١) صحيح: رواه أحمد (٦٧٩٧) وأبو داود (٢٧٥١) واللفظ له عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وهو عند أحمد (٩٩١) وأبي داود (٤٥٣٠) والنسائي (٤٧٣٤) عن علي بن أبي طالب. وابن ماجه (٢٦٨٣) عن ابن عباس. وصححه الألباني: المشكاة (٣٤٧٥) وصحيح الجامع (٦٦٦٦)، (٦٧١٢).

(٢) البخاري (٤٦٧، ٢٣١٤، ٥٦٨٠) ومسلم (٢٥٨٥) وأحمد (١٩٦٤٠، ١٩٦٤١، ١٩٦٨٢) والترمذي (١٩٢٨) والنسائي (٢٥٦٠) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٥٦٦٥) ولفظه: «تري المؤمنين» ومسلم (٢٥٨٦) وأحمد (١٨٣٩٨)، وموضع عن النعمان بن بشير

فيقول: الله المستعان وعض على شفته اليسرى معه دكان مشكلة هذه مع أنه لا في العير ولا في النفير ليس بينهم قرابة ولا شيء ليس بينهم إحكاكات هذا لا ينبغي إن رأيت مع أخيك سيارة معه عمارة معه تلفون وهو من حلال أو حتى من حرام ولا أحد يدري فأنت لا تقول له: هذا من حرام لا تحسده فإذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور والله ﷻ يقول: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة ٧-٨]. ويقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء ٤٧]. لكن ما أوجنا إلى نعمل بهذا الحديث: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» تحب لنفسك أن تكون خطيئاً إذا حب للآخر، تحب أن يكون لك سيارة حب للآخر، تحب أن يكون لك أولاد إذا حب للآخر، تحب أن يكون لك زوجة وشرف حب للآخرين وطن نفسك على هذا. فلا يكون العبد منافقاً فإن المنافقين يبغضون ويلمزون كما قال الله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة ٧٩]. تصدق رجل بمال كثير فقال المنافقون: «مرائي جاء آخر بصاع من تمر قالوا: إن الله لغني عن صاع هذا»^(١). هؤلاء جالسين مثل الذي يشجعون فريقين لاعبي الكرة فلان انهزم وهم ما يلعبون بس متفرجين أولئك يلعبون ويصارعون الكرة يمناً ويسرة وشمال وجنوب وهؤلاء يصفقون وهكذا المنافق فقط يعدل فلان فلان أخطأ وفلان أساء وفلان أحسن وفلان ما أحسن ربما كل الناس عندهم مسيئين وهم ما عملوا شيئاً كما يقول أصحاب ذمار: لا في البطة ولا في الصليط ولا شيء ولكن عندهم القدرة على النقد وعلى الهمز

(١) روى ذلك البخاري (١٣٤٩، ٤٣٩١) ومسلم (١٠١٨) عن أبي مسعود البديري.

واللمز فلا ينبغي أن يكون المؤمن على هذه الصفة ولكن يكون على صفة الخير.
 من الناس من يغضب إذا رأى فلان قد تزوج وعنده ولد وهو ما عنده ولد أو
 جاءه بنت وهو ما عنده بنت أو منحه الله نعمة. وشيخ الإسلام رحمته الله يقول: «ما خلا
 جسد من حسد ولكن اللئيم بيديه والكريم يخفيه»^(١).

فأنت تجد كريماً ومأدباً في قلبك فاستعد بالله من شره ولا يظهره فإن الحسد
 محرم قال النبي ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ
 بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا
 يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ
 الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(٢)

فإذا تحقق هذا في قلوبنا والله لو لم يكن من الخير ومن العلم إلا أن عرفنا هذا
 لكان كافياً وكان أصحاب النبي ﷺ أحدهم يحفظ حديثاً واحداً يعمل به فيكون
 سبباً في فلاحه في الدنيا والآخرة فكم من مواعظ وفوائد تمر بنا نسأل الله أن يرزقنا
 وإياكم العمل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) أنظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٤-١٢٥). ولكن قال يقال: «ما خلا جسد...».

(٢) في مسلم: وسيأتي برقم (٣٥) من الأربعين النووية إن شاء الله تعالى.

[١٤]

{ حرمة دم المسلم وأسباب إهداره }

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ^(١) قال: قال النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا يَأْخُذَ ثَلَاثٌ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيْبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ» رواه البخاري ومسلم ^(٢).

أما صحابي الحديث فهو عبد الله بن مسعود مكي مهاجري من الصحابة الأول وقد امتاز ببعض الخصال منها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ» ^(٣) وهو رضي الله تعالى عنه وأرضاه الله يقول: «لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعة وسبعين سورة» ^(٤) وكان ابن مسعود رضي الله عنه

(١) سبقت ترجمته عند الحديث الرابع.

(٢) البخاري (٦٤٨٤) ومسلم (١٦٧٦) وأحمد (٣٦٢١، ومواضع) وأبو داود (٤٣٥٢) والترمذي (١٤٠٢) والنسائي (٤٠١٦) وابن ماجه (٢٥٣٤) وعند بعضهم في أوله: (والذي لا إله غيره لا يحل...).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣٥، ومواضع) والنسائي في الكبرى (٨٢٥٥، ٨٢٥٦) وابن ماجه (١٣٨) والحاكم (٢٨٩٤، ٥٣٩٠) وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني: في صحيح الجامع (٥٩٦١) وصحيح ابن ماجه (١١٤) عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٤) البخاري (٤٧١٤) ومسلم (٢٤٦٢) وأحمد (٣٦٩٧) والنسائي (٥٠٦٣، ٥٠٦٤).

من أحرص الناس على قراءة القرآن الكريم وقد كان من النفر الذين يدينهم عمر ويمدحهم فهو من العلماء العاملين ومن الصحابة الأولين رضي الله عنه وأرضاه وقد سكن في الكوفة وكان موته قديماً لكن له تلامذة كعلقمة والأسود بن يزيد النخعي فعلم ونفع الله تعالى به تلك البلاد رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا الله به يوم القيامة.

يروى هذا الصحابي الجليل عن النبي ﷺ قائلاً: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ» ذلك أن الأصل أن المسلم له كرامة ودمه محرم فله حرمة يقول ربنا سبحانه على وجه العموم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. فالله ﷻ كرمه كونه من بني آدم فما الحال إن كان مسلماً لأن بني آدم فيهم المسلم وفيهم الكافر فالنبي ﷺ خطب في حجة الوداع وقال: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ... هَذَا أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» ^(١) ويقول ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» ^(٢).

وابن عمر يتجه إلى الكعبة ويقول: «مَا أَغْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَلِلْمُؤْمِنِ أَغْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ» ^(٣) وجاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا

(١) البخاري (١٠٥، ١٦٥٤، ٤١٤٤، ٥٢٣٠، ٦٦٦٧، ٧٠٠٩) ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة، وهو عند

البخاري (١٦٥٥، ومواضع) ومسلم (٦٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) في مسلم: سيأتي برقم (٣٥) من الأربعين.

(٣) صحيح موقوفاً وضعيف مرفوعاً: رواه الترمذي (٢٠٣٢) موقوفاً عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الألباني: في

صحيح الترغيب (٢٣٣٩): حسن صحيح، ورواه ابن ماجه (٣٩٣٢) مرفوعاً وضعفه الألباني: في

ضعيف ابن ماجه (٨٥٢).

أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(١) فالمسلم عظيم الشأن ورفيع القدر عند الباري ﷻ فما دام أنه مسلم فهو معصوم الدم والعرض والنفس والمال.

جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

لكن في بعض الحالات يباح لولي الأمر ويجوز لولي الأمر لا لأي أحد يجوز له أن يريق دمه وأن يقتل هذا المسلم إن جاء ببعض الخصال التي توجب ذلك ما ذكر في هذا الحديث وهو قول نبينا ﷺ: «إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثَ: الشِّبِّ الزَّانِي».

الشِّبِّ تعريفه: هو من زنا بعد وطء صحيح فأَي رجل أو امرأة تزوج زواجا شرعيا صحيحا ثم وطئ بعد ذلك فرجا حراما سواء كانت زوجته في عصمته أو لم تكن فهو يعتبر ثيبا محصنا فوجب إذا أقيمت البينة وهي أربعة من الشهود يشهدوا كما ذكر الله في القرآن أو بالإقرار والإعتراف فهنا يجب على ولي الأمر أن يقيم عليه الحد وهو حد الرجم يرجم هذا الشيب حتى الموت وهذا لم يكن في القرآن منصوصا عليه بعد أن تكامل القرآن إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان ٣١]. يقول الشيخ العثيمين رحمته الله: إذا علم الشخص من

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٣٩٥) والنسائي (٣٩٨٧) والطبراني في الأوسط (٤٣٤٩) والبخاري (٢٣٩٣).

أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ورواه ابن ماجه (٢٦١٩) عن البراء بن عازب.

وصححه الألباني: صحيح الجامع (٥٠٧٧، ٥٠٧٨).

(٢) في الصحيحين: سبق برقم (٨) من الأربعين النووية.

نفسه أنه سيتوب فالأولى أن يستر على نفسه وإن كان يعلم من نفسه الجرة فالأولى له أن يسلم نفسه إلى ولي الأمر ليقيم عليه حد الرجم هذا إذا كان محصناً لأن الله قد تفضل عليه وأنعم عليه بنعمة الزواج فذهب باحثاً عن الحرام أما بالنسبة للزاني البكر الذي لم يتزوج بعد بنكاح صحيح إن جاء باباً من أبواب الزنا يجلد مائة جلدة ويغرب عاماً الأدلة من القرآن الكريم: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور ٢].

كذلك جاء في البخاري من حديث أنيس أن رجلاً من الصحابة قال: يا رسول الله إن ابني كان عسيفاً عند هذا أي أجير وبسبب الاختلاط المفضي إلى الشر زنا ابنه بزوجة ذلك الرجل زنا المولى بسيدته فقال له بعض الناس افتدي بمائة شاة ووليدة يعني أمة تقدمها فسأل أهل العلم واستفاد العلماء من هذا أنه يجوز استفتاء المفضل مع وجود الفاضل على أنه استفتي مع وجود النبي ﷺ فاستفتى أهل العلم قالوا: لا إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام وعلى امرأة هذا الرجم حتى الموت فلما استفتى النبي ﷺ قال: «لَأَفْضِلَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الْغَنَمُ وَالْوَلِيدَةُ رَدٌّ» يعني أخذت منك بغير حق فهي ترد عليك «وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَاحِدٍ، وَاعْدُ يَا أُنَيْسُ - لِرَجُلٍ مِّنْ أَسْلَمَ - عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمَهَا» فاعترفت فرجمها (١).

فرحمها الله ورضي الله عنها فهي صحابية وجاء في الصحيحين أن النبي ﷺ

(١) البخاري (٢١٩٠) ومواضع أخرى كثيرة من كتابه. ومسلم (١٦٩٧) وأحمد (١٧٠٧٩، ١٧٠٨٣) وأبو داود (٤٤٤٥) والترمذي (١٤٣٣) والنسائي (٥٤١٠، ٥٤١١) وابن ماجه (٢٥٤٩) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني ورواه بعضهم عنهما وعن شبل رضي الله عنهم أجمعين.

قال: «وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ» (١).

بمعنى أن الحدود كفارة فإذا أقيم عليها الحد خلاص يعتبر الحد تطهير وهكذا لا يقام الجلد أو الرجم إلا بالشهود أو بالاعتراف ومسألة الشهود ضيقة جداً فيشترط أن يكونوا أربعة يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يقول: إنه على مر العصور لم يتحقق في قضية من القضايا أنه شهد لها أربعة من الرجال لماذا؟ لأنه ما كان بين العباد وربهم مبني على المسامحة وليس على المشاحة الأمر في ذلك ضيق جداً فليس من السهل أن نقول: رجل زنا أو رجل لاط أو رجل كذا لأن هذا - بارك الله فيكم - لا بد له من إقامة حجة ولا بد من الشهود فوجب على المؤمن أن يكون صيناً وأن يكون عفيفاً كذلك من المسلمين من لا يبالي يقول: يا ابن الزانية أو يا زاني يا زنوة أو من هذا القبيل هذا لو وجدت حكومة تأخذ بهذا الكلام الذي قاله لزمه أن يأتي بثلاثة يشهدون بجانبه أن هذا ابن زنا أو أن أمه زانية فإن استطاعوا وإلا جلد ثمانين جلدة لأنه فاسق وقد قذف مسلماً بغير حق أما ما يتعلق باللوطي وهكذا الفاعل والمفعول ومن يأتي بالبهيمة فهذا أشر وأنجس وأقبح من هذا فهناك اتفاق بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقتل من جاء باباً من أبواب اللوطية فالحد الشرعي حكم الله ﷻ فيه أن يقتل لكن اختلفوا هل يقتل بالسيف أم بالحجارة؟ أو يرمى من على شاهق؟ وبعض العلماء في هذا الزمان يقولون: الأولى أن يرمى اللوطي من على متن طائرة لأنه وسخ وقذر وتنن فحتى لا يقذر الآخرين ولا يوسخهم فيرمى كما قيل: «إلى حيث أُلقت

(١) البخاري (١٨) ومواضع أخرى ومسلم (١٧٠٩) وأحمد (٢٢٧٣٠) والترمذي (١٤٣٩) والنسائي

(٤١٦١) وابن ماجه (٢٦٠٣) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

برحلها أم قشعم»^(١)، وهكذا من أتى البهيمة يقتل وتقتل البهيمة كما صح ذلك عن النبي ﷺ^(٢). أي شيء كانت هذه البهيمة بقرة حمارة ناقة غنمة كلبة لأن بعض الناس عنده شهوة لا يبالي أين يضعها ربما في صرصور أو في فراشة عياداً بالله نسأل الله السلامة والعافية فهؤلاء يقتلون ولا كرامة **هذه القضية الأولى** التي يحل أن يقتل المسلم بها لأنه معصوم هو معصوم الدم لكن من لم يكرم نفسه يهان

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

أما القضية الثانية: «النفس بالنفس» وهذا دليله من القرآن قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة ٤٥].

فالنفس تقتل بمثلها الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة والمرأة بالرجل والرجل بالمرأة المسلمین هذا هو القول الصحيح من أقوال أهل العلم وهو حكم الله سبحانه كما قال سبحانه ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٧٩].

(١) أم قشعم: بفتح القاف: النسر والعنكبوت والضبع واللبوة والمنية والداهية والحرب والدنيا أيضاً قال زهير: فشد ولم ينظر بيوتاً كثيرة..... إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم. قيل: أراد أحد هذه الأشياء. أنظر: ثمار القلوب (ص ٢٦٠) لسان العرب (١٢ / ٤٨٤) وحياة الحيوان الكبرى.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٤٢٠) وأبو داود (٤٤٦٤) والترمذي (١٤٥٥) وابن ماجه (٢٥٦٤) وصححه الألباني: صحيح الترغيب (٢٤٢٣) وصحيح الجامع (٥٩٣٨، ٦٥٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بخلاف ما لو كان المقتول كافراً فإنه لا يقاصص مسلم بكافر كما قال النبي ﷺ: «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»^(١) فالكافر لا حرمة له فالمؤمن أرفع وأعلى شأن من الكافر فلا يؤخذ به.

والقضية الثالثة: قوله ﷺ «وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ» هو المرتد كما جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(٢).

فهؤلاء تقام عليهم الحدود من قبل ولاية الأمر وهم المسئولون عن هذا بين يدي الله ﷻ ليس الأمر راجعاً إلى الآباء ولا الأمهات ولا مشايخ القبائل ولا إلى حتى محافظي الألوية يعني حاكم الدولة رئيس البلاد هو الذي ينفذ مثل هذه الأحكام حتى لا تعم الفوضى كما قيل:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
ويضاف تمة للفائدة ثلاثة أنفس هي معصومة الدماء كعصمة دم المسلم من ذلك:

أولاً المعاهد: الذي بين المسلمين وبلده عهد وهو من الكفار لكن جرى صلح بينه وبين المسلمين أن لا يقتلوا واحداً من أولئك فهذا لا يقتل كما جرى الصلح بين قريش وبين النبي ﷺ بما يسمى بصلح الحديبية فهذا المعاهد أيضاً معصوم الدم لا يجوز لأحد أن يقتله.

(١) البخاري (١١١، ٢٨٨٢، ٦٥٠٧، ٦٥١٧) وأحمد (٥٩٩) وأبو داود (٤٥٣٠) والترمذي (١٤١٢) والنسائي (٤٧٤٤) وابن ماجه (٢٦٥٨) عن علي رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٢٨٥٤، ٦٥٢٤) وأحمد (١٨٧١، ومواضع) وأبو داود (٤٣٥١) والترمذي (١٤٥٨) والنسائي (٤٠٥٩، ومواضع) وابن ماجه (٢٥٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ثانياً المستأمن بكسر الميم: هو الذي دخل بلاد المسلمين إما ليتعرف على الإسلام أو دخل بتجارة وإن كان حربياً لكن دخل بأمان وعلامة الأمان أن يعطى فيزة من منفذ البلد الذي دخلها سواء كان منفذاً برياً أو بحرياً أو جويّاً فلا يجوز أن تؤذيه لأنه مستأمن وهو من أهل الذمم والنبي ﷺ يقول: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً فِي غَيْرِ كُنْهِهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (١).

ويقول ﷺ: ﴿وَأَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرْتَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلَغَهُ مَا آمَنَهُ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

ثالثاً: الذمي: وهو الذي يسكن في بلاد المسلمين ويدفع الجزية مقابل حماية الدولة المسلمة له هذا أيضاً لا يجوز أذيته وإن كان هؤلاء مظهرين لبعض الفسق أو الفجور أو العصيان أو الكفر أو النفاق أو شيء من التبرج فعلى المسلمين أن ينكروا ذلك وأن يرفعوا هذا إلى ولي الأمر حتى لا تكثر المشاكل والفوضى في بلاد المسلمين فيكون هذا الأمر من اختصاص ولاية الأمر فإن قام ولاية الأمر بالواجب فجزأهم الله خير وهم مرضيون عند الله كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٠٣٩٣) وأبو داود (٢٧٦٠) والنسائي (٤٧٤٧) والحاكم (٢٦٣١) عن أبي بكره ﷺ وصححه الألباني: في صحيح الجامع (٦٤٥٦) وصحيح الترغيب (٢٤٥٣) والحديث في البخاري (٢٩٩٥، ٦٥١٦) وأحمد (٦٧٤٥) والنسائي (٤٧٥٠) وابن ماجه (٢٦٨٦) بلفظ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً» عن ابن عمرو ﷺ ومعنى (كنهه) كنهه الأمر: حقيقته. وقيل: وقته وقدره. وقيل: غايته. يعني من قتله في غير وقته أو غايته أمره الذي يجوز فيه قتله. النهاية في غريب الأثر (٣٧٧/٤).

فهم مشكورون على ذلك وإن لم يقوموا به فبيننا وبينهم النصيحة ننصحهم
 لله ﷻ ونقول لهم: أنتم على إثم وجرم حينما لم تغيروا.

أما أنه يخرج على هؤلاء بمظاهرة أو بانقلاب أو بمثل هذه فإن هذه التصرفات
 ما جاءتنا إلا من قبل أعداء الإسلام وهي لا تزيد الطين إلا بلة فعلى المسلمين أن
 يكونوا عقلاء وأن يكون عندهم من الحلم والعلم ما يؤهلهم إلى أن يكونوا فاقهين في
 دين الله كيف يفقهون أمر الله مع الراعي ومع الرعية فأنت حسبك أن تكون مسلم
 وتأمل في يوسف ﷻ يخاطب أحد الكفار وهو حاكم بلاد مصر يقول: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى
 خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ [يوسف ٥٥].

ومثل هذا الكلام هو لا يعجب كثيراً من الذين يهيجون الشعوب على حكامهم
 ومن الذين لا يرون الطاعة لولاة الأمر لكن لا يهمنا ذلك فليرض من يرضى
 وليسخط من يسخط أهم شيء أن نكون قد أرضينا الله ﷻ كذلك لو قيل: إننا نتزلف
 بكلامنا هذا إلى الحكام أو نتنظر شكرهم ورضاهم لا والله لا نرجو من الحكام ولا
 شربة ماء وإنما همنا أن يعيش الوطن والبلاد بأمن وأمان ورغد من العيش هذا هو
 الذي يكون به الصلاح للبلاد والعباد وإذا جهل الناس اليوم أمراً غداً سيتلافونه
 ويصححونه بإذنه ﷻ والنبى ﷺ أمرنا بالنصيحة

فقال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قال الصحابة: لمن؟ قال النبى ﷺ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ
 وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١) والله أعلم.



(١) في مسلم: وقد سبق برقم (٧) من الأربعين النووية.

[١٥]

{ آداب إسلامية }

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١) أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ، وَمَنْ
كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» رواه البخاري ومسلم ^(٢).

أما قوله ﷺ في الثلاثة الألفاظ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» فالإيمان
تعريفه: إما بمعنى الإقرار بالقلب وإما بمعنى التصديق هذا من حيث اللغة ومن حيث
الشرع: فهو نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح فلا بد أن يكون الإيمان
شاملاً لهذه المراحل الثلاث أو الأماكن الثلاثة القلب واللسان والجوارح نطق
باللسان نطق بلا إله إلا الله محمد رسول الله واعتقاد بالجنان أي بالقلب اعتقاد القلب
بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته وعمل الجوارح والأركان مثل إقامة الصلاة
إيتاء الزكاة وصوم رمضان حج البيت جميع أعمال البر شعب الإيمان بشكل عام
«الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ

(١) أنظر: ترجمته عند الحديث التاسع.

(٢) البخاري (٤٨٩٠، ٥٦٧٢، ٥٧٨٥، ٥٧٨٧، ٦١١٠) ومسلم (٤٧) وأحمد (٧٦١٥)، ومواضع) وأبو
داود (٥١٥٤) والترمذي (٢٥٠٠) وغيرهم.

والحديث جاء عن أبي شريح عند البخاري (٥٦٧٣، ٥٧٨٤، ٦١١١) ومسلم (٤٨) وأحمد
(١٦٤١٧)، ومواضع) والترمذي (١٩٦٧) وابن ماجه (٣٦٧٢) وجاء عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم.

الطريق والحياة شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ^(١).

فيقول ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» يتضمن الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

«وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» وهو آخر يوم من أيام الدنيا ليس بعده يوم هذا اليوم هو مقداره خمسون ألف سنة ثم يكون بعده منصرف الناس إما إلى الجنة وإما إلى النار أعادنا الله وإياكم من النار ورزقنا جنات تجري من تحتها الأنهار فيقول ﷺ من كانت هذه أوصافه وهذه مؤهلاته عنده إيمان بالله وباليوم الآخر ماذا يفعل ؟ يقول نبينا ﷺ: «فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ» إما أن يقول خيرًا وإما أن يلزم الصمت وهناك من الكلام ما هو خير كله كقراءة القرآن وأحاديث النبي ﷺ والذكر يقول النبي ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٢).

هذا خير لذاته وهناك من الكلام ما يكون خير لقصده أو لغيره كإدخال السرور على مسلم تلاطفه وتحادثه كما قال الناظم:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب^(٣)

ويقول النبي ﷺ: «مَنْ أَفْضَلَ الْعَمَلِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ»^(٤).

(١) في الصحيحين: وقد تقدم.

(٢) البخاري (٦٠٤٤) واللفظ له ومسلم (٧٧٩) عن أبي موسى ولفظه (مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت).

(٣) الناظم هو حاتم الطائي وهو كريم مشهور غني عن التعريف.

(٤) حسن مرفوع وصحيح موقوف: رواه الطبراني في الأوسط (٥٠٨١) عن عمر رضي الله عنه مرفوعا.

فهذا خير مقود لغيره لا لنفسه ملاطفة الأهل الأولاد الأبوين لما تروح على أخيك على أبيك على أمك... إلخ بالكلام الطيب هذا خير مقصود لغيره فإذا أراد العبد أن يتكلم بالكلام فليتأمل أهو خير لذاته أم خير لغيره فيتكلم فإن رأى أنه مجرد من الخير بمعزل عن الخير فلا يتكلم فإن الكلمة أنت تحبسها ما دامت في فيك فإذا تلفظت به صارت هي التي تحبسك وهي التي تعيدك والمرء مخبوء تحت لسانه كما قيل في المثل وقالوا:

يموت الفتى من عشرة بلسانه وليس يموت الفتى من عشرة الرجل
فعثرته من فيه تلقى برأسه وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

هذا رجل كان ينصح لكن لا يعرف أساليب النصح ينصح أحملاً له وكان أخوه على معصية فمرة قال له وقد أعياه النصح: والله لا يغفر الله لك فقال الله: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ» (١).

حبس بسبب الكلمة التي قالها ويؤاخذ لذا - بارك الله فيكم - قال بعض الصالحين: من فقه الرجل قلة كلامه إلا فيما يعنيه وجاء في الحديث الآخر: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَّهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» (٢).

والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُن فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ» (٣). والله ﷻ يقول: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق ١٨].

وحسنه الألباني: في صحيح الترغيب (٢٠٩٠) ورواه البيهقي في الشعب (٧٦٧٩) وصححه الألباني: في صحيح الجامع (٥٨٩٧) والصحيحة (٢٢٩١) مرسلًا عن محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد سبق برقم (١٢) من الأربعين النووية.

(٣) البخاري (٦١١٢) ومسلم (٢٩٨٨) وأحمد (٨٩٠٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فمن علم أن منطقته من عمله وسوف يأتي في صحيفته قل كلامه أو كثر لذلك يقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: كف عليك هذا- وأشار إلى لسان نفسه ﷺ فقال معاذ: أو إنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله؟ قال: «تَكَلَّمْتَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»^(١) كلمة يسيرة تلفظها لا تلقي لها بالا فإذا بها تؤثر عليك أيما تأثير نسأل الله السلامة فعلينا أن نتقي الله في ألفاظنا إلا ما يكون خيرا أو وسيلة إلى الخير أو أقل أحواله أن يكون مباحا ربما بعض الناس قال كلمة يريد من ورائها المزح فيعاقب.

اتهم رجل بالزندقة حينما رأى طلبة العلم يمشون في الكوفة فقال لهم: امشوا رويدا حتى لا تكسروا أجنحة الملائكة استهزاء فحكم عليه بالزندقة مجرد كلام لأنه يستهزئ بحديث النبي ﷺ «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رَضًا بِمَا يَصْنَعُ»^(٢).

فالاستهزاء بالقرآن بالسنة يكون عن طريق الكلام فيسبب له ردة وربما أمراض فتاكة بسبب انه استهزأ والمنافقون يوم تبوك قالوا ثلاث كلمات كفرهم الله بها وحكم عليهم بالإجرام والخروج من دائرة الإسلام قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أكذب

(١) سيأتي برقم (٢٩) من الأربعين النووية.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٧٦٣) أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) عن أبي الدرداء.

وصححه الألباني: صحيح الجامع (٦٢٩٧) وصحيح ابن ماجه (١٨٢).

ورواه أحمد (١٨١١٤)، ومواضع) والترمذي (٣٥٣٥، ٣٥٣٦) والنسائي (١٥٨) وابن ماجه (٢٢٦) والحاكم (٣٤٠). عن صفوان بن عسال المرادي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني: صحيح الترغيب والترهيب (٨٥) وصحيح ابن ماجه (١٨٥). وصحيح الجامع (١٩٥٦، ٥٧٠٢).

ألسنة وأرغب بطونا وأجبن عند اللقاء، فنقل الخبر إلى رسول الله وكان وحي السماء قد سبق فجاء المنافقون يعتذرون: يا رسول الله ما هو إلا حديث الركب ورسول الله لا يزيد أن يقول لهم: ﴿يَا اللَّهُ وَءَايَتُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة ٦٥-٦٦]. ونزلت الآية بهذا^(١).

كلام ولكن ظاهره التسلية كما يقولون: قطع مشوار الطريق لكن الله ﷻ حكم عليهم بالكفر وهكذا يقول العلماء: من نواقض الإسلام الإستهزاء سواء كان لاعباً أو جاداً بمجرد كلام.

فهذا شاعر من الشعراء محمد بن هاني^(٢) دخل على المعز في ديار مصر فامتدحه بيت من الشعر قال:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فابتلاه الله بمرض حتى صار كالفرخ يعوي كما يعوي الكلب زاره الخليفة قال: ما لك ؟ قال:

أبعين مفتقر إليك نظر تني وأهتني وقذفتني من حالقي

(١) أنظر: تفسير الطبري (٤٠٨/٦) وابن كثير (٤٨٣/٢) وفتح القدير (٥٤٩/٢) عند آية (٦٥-٦٦) من التوبة.

(٢) ابن هاني: شاعر العصر أبو الحسن محمد بن هاني الأزدي المهلب الأندلسي، يقال: إنه من ذرية المهلب وكان أبوه شاعراً أيضاً ويكنى محمداً أبا القاسم مولده بإشبيلية كان حافظاً لأشعار العرب وأيامها، لكنه فاسق وخمير يتهم بدين الفلاسفة، هرب واتصل بالمعز العبيدي فأنعم عليه، خُتق في رجب سنة (٣٦٢هـ)

أنظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣١ ترجمة: ٨٨).

لست المعلوم أنا المعلوم لأنني علقته آمالي بغير الخالق (١)

فعلى أية حال فحديث النبي ﷺ قاعدة عامة في بابه فالأولى أن يعطى من التدبر والفهم ما يجعلنا جميعاً نحسن ألسنتنا ونظهر أفواهنا إلا من الخير «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

إن كان يعجبك السكوت فإنه قد كان يعجب قبلك الأخيار
فلئن ندمت على السكوت مرة فلقد ندمت على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ولربما زرع الكلام عداوة وضرارا

ثم قال نبينا ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» وما قلناه في الإيمان بالله واليوم الآخر في الجملة الأولى يكون هو في هذه الجملة، الإكرام هو من صفات الكمال ومن صفات الرجال وهو من صفات المروءة التي يكمل بها الرجل وكذلك المرأة والكرم من صفة نبينا ومن أخلاق نبينا ﷺ وهو صفة من صفات الله قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار ٦]. ونبينا ﷺ بعث ليتم مكارم الأخلاق ولما أعطى الغنائم يوم حنين فكان يعطي الرجل المائة من الإبل والمئين من الغنم ويقول: «والله لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً» (٢).

(١) هذه الأبيات ليست لابن هانيء وإنما هي كما قيل: لأبي الفرج قاله في الوزير المهلبى، وقيل هي للمتنبي.

أنظر الوافي في الوفيات عند ترجمة الوزير المهلبى، وذكر في البداية والنهاية أنهما من قول المتنبي.
وقال: ابن كثير قال: ابن خلكان: وهذان البيتان ليسا في ديوانه (أي ديوان المتنبي) وقد عزاهما الحافظ الكندي إليه بسند صحيح. أنظر: البداية والنهاية (٢٥٩/١١).

(٢) البخاري (٢٦٦٦، ٢٩٧٩) وأحمد (١٦٨٠٢، ١٦٨٢١) عن جبير بن مطعم وهو عند أحمد (٦٧٢٩) والنسائي (٣٦٨٨) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٨٣).

فكان ﷺ متحليًا بالكرم فالكرم هو من صفات الرجال الكامل الأوفياء ومن صفات الخير بل حمد بعض الجاهليين حينما كان عندهم من الكرم كحاتم الطائي وكعبد الله بن جدعان فصاروا مأثرة ومفخرة على مر العصور والدهور لكنهم كانوا كفار ما نفعهم ذلك شيء فلما جاء الإسلام كان كرم رسول الله وكرم عثمان وعبد الرحمن بن عوف وهكذا أبي بكر الصديق يغطي ذلك كله لأن هؤلاء عندهم كرم مشوب بالإسلام وبالخير فيقول ﷺ: «فَلْيُكْرِمُ جَارُهُ» والله ﷻ أوصى بالجار.

قال ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء ٣٦]. أي جارك ذو القرابة وجارك البعيد.

والجيران ثلاثة:

جار له ثلاثة حقوق وهو الجار القريب المسلم له حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام.

وجار له حقان وهو الجار المسلم حق الإسلام وحق الجوار.

وجار له حق واحد وهو جار يهودي له حق الجوار والنبى ﷺ قال: «مَا زَالَ يُوصِينِي جَبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ»^(١) ويقول ﷺ: «لَا قَلِيلَ مِنْ أَدَى الْجَارِ»^(٢).

(١) متفق عليه: البخاري (٥٦٦٨، ٥٦٦٩) ومسلم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥) وغيرهم من حديث عائشة وابن عمر وقد ورد الحديث عن ابن عمرو بن العاص وأبي هريرة ورجل من الأنصار وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وأبي أمامة رضي الله عنهم أجمعين. أنظر تفصيلها في الإرواء (٤٠٠/٣).

(٢) ضعيف جدًا: الطبراني في الكبير (٥٣٥) ومجمع الزوائد (١٣٥٦٩) وأبو نعيم في الحلية (٢٧/١٠) =

وكانت العرب تمدح حسن الجوار ويذمون من يسيء حتى أن عنتره يقول:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مأواها

فكانوا يعتزون بحق الجار ويحترمونه أشد الإحترام فجاء الإسلام موافق لهذا فهنا ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ».

بقدر ما تستطيع والجيران يختلفون فهناك جار فقير فإكرامه ربما يكون برغيف خبز وربما كان بجانبك جار غني ثري هذا لا ينفع معه أن نعطيه رغيف خبز ولكن انظر له هدية تناسب قدره ومثل هذا إكرام الجار ليس مخصص في أشياء وإنما هو على حسب العرف لأن النبي ﷺ أطلق وهذا راجع إلى العرف كما قيل:

وكل ما جاء ولم يحدد بالشرع كالحرز فبالعرف احدد

يكون راجع إلى العرف جارك عنده وليمة لا يصلح أن يكون هو فرح وأنت تدخل عليه الحزن والكآبة والعكس محافظة على شعور جارك وعلى قلبه فالأمر في هذا واسع جداً ومن الأمثلة: جارك القريب ولا أخوك البعيد وهكذا ربما بالنصيحة الزيارة التفقد لأحواله إذا مرض استطعت تسعفه أو تعطيه شيئاً من الخير فالأمر في هذا واسع.

ثم يقول ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».

كذلك أيضاً إكرام الضيف من محاسن الإسلام ومن أخلاق نبينا محمد ﷺ إكرامه بما عندك.

عن أم سلمة رضي الله عنها ورواه بن أبي شيبه (٢٥٤٢٣) عن أبي لبابة رضي الله عنه وضعفه الألباني: أنظر: الضعيفة (٤٨٠٩) وضعيف الجامع (٢٠٧٧، ٦٣٠٦).

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها وأن تجود يد إلا بما تجد

والله ﷻ يقول: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص ٨٦].

أما إذا أرهقت نفسك كلما جاءك ضيف ذبحت وطبخت وقدحت لن تستطيع أن تكافئ ولكن يقولون: الكلفة تذهب الألفة وعلى حسب طاقتك أنت عندك طاقة أن تضيف بيضة آخر بحبة دجاج أعلى منه بذبح شيء من بهيمة الأنعام وهكذا على حسب الأحوال إن جاء في الصباح وإلا المساء وإلا ما بين ذلك فهو على حسب الوقت الذي جاء به ولو لم يكن عندك شيء يكفي أن تهش وأن تبش في وجهه وتقول: أهلا وسهلا وحياكم الله ولو لم يكن إلا بقليل من الماء وقليل من الطيب يكفيك ذلك ضيافة وأنت تؤجر على هذه الضيافة التي تقدمها لضيفك لأن الأمر مرتبط بالإيمان بالله وكأن الذي لا يكرم الضيف ولا يحسن إلى الجار عنده نقص في الإيمان ليس إيمانه كامل يعني يأتيك الضيف يطرق الباب لا ترضى تخرج له أو يتصل فلا ترد على التلفون لا ينبغي هذا لا ينبغي إطلاقا ولكن استقبل ضيفك وما عندك أعطيته من الخير الأمر في هذا راجع إلى العرف والطاقة وقد كان العرب قبل الإسلام يتفاخرون بهذا حتى أن حاتم الطائي يقول لأحد غلمانه:

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا موقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فأنت حر^(١)

فكانوا يوقدون اللهب من النار حتى يراها المارة من الضيوف فيأتون يفتخرون

(١) أنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، وثمرات الأوراق والتذكرة الحمدونية: الباب الخامس: في السخاء والجود، والعقد الفريد للأندلسي: أجود أهل الجاهلية، ورسالة الطيف ونسبه في الوافي في الوفيات عند ترجمة: بحر بن خلف أبو التيار الراجز لبحر بن خلف.

بهذا هكذا ورثوها فهذه تدل على كرم الرجل وعلى طيب خاطره وعلى طيب نفسه
حينما يكرم الشخص أضيافه كيف إذا كان كرم معه إيمان وكان من وراء هذا الكرم
نصيحة أو بيان أو مثلاً موعظة استغلها فرصة حينما جاء أضيافه هؤلاء فلنا في
رسول الله ﷺ أسوة حسنة كما قال ربنا سبحانه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[الأحزاب ٢١].



[١٦]

{ النهي عن الغضب }

عن أبي هريرة ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا ^(٢) قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»
فَرَدَّدَ مَرَّارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» رواه البخاري ^(٣).

قوله: إن رجلا قال للنبي هذا من الصحابة ولا يهمننا جهالة الصحابي ولا يؤثر
بصحة الحديث شيئاً فهذا صحابي أبهم اسمه جاء إلى النبي ﷺ طالبا منه الوصية
ومعناها العهد إلى الشخص بأمر هام كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا

(١) أنظر: ترجمته عند الحديث التاسع.

(٢) قال ابن رجب: يغلب على الظن أن السائل هو جارية بن قدامة. جامع العلوم (ص/ ١٤٥) وهو
الصحيح الراجح لما ثبت في مسند أحمد (٢٠٣٧٢) عن جارية أنه سأل رسول الله ﷺ فذكر
الحديث، وصححه الألباني: صحيح الترغيب (٢٧٤٨) وصححه شعيب في المسند. وجزم الحافظ
ابن حجر في الإصابة (١/ ٤٤٥): أنه هو.

وقيل: هو أبو الدرداء. وقيل: هو سفيان بن عبد الله الثقفي. وقيل: ابن عمرو ومنهم من أبهمه. أنظر:
جامع العلوم (ص/ ١٤٤، ١٤٥) وغوامض الأسماء المبهمة لابن يشكوال (١/ ١٢١).

(٣) البخاري (٥٧٦٥) وأحمد (٨٧٢٩)، ومواضع) والترمذي (٢٠٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه أحمد
(٢٠٣٧٢) والحكم (٦٥٧٨) عن جارية بن قدامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وابن عمر وسفيان بن عبد الله وأبي الدرداء وأنس بن مالك وأبي
سعيد ومعوية بن حيدة ورجل من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين. أنظر: الأضواء
(١٣٠-١٣٣).

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَاكُمُ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿[النساء ١٣١].﴾

وحديث ابن عمر في الصحيحين قال النبي ﷺ: «مَا حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» (١). فالوصية أمرها هام وعظيم أوصى الله بها كما قال ربنا: ﴿بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء ١٢].

فهذا الصحابي يطلب من النبي ﷺ وصية مثل ما يطلب الصديق من صديقه والتلميذ من شيخه والإبن من أبيه والبنت من أمها وصايا فالنبي ﷺ تأمل في حال الرجل قال: «لَا تَغْضَبْ».

على أنه جاء صحابي آخر وقال: أوصني قال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ» (٢).

و آخر قال: أوصني قال: «عَلَيْكَ بِالصَّيَامِ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ» (٣). فكان ﷺ يتفرس

(١) رواه الجماعة: البخاري (٢٥٨٧) ومسلم (١/١٦٢٧) وأحمد (٤٥٧٨)، وموضع) وأبو داود (٢٨٦٢) والترمذي (٩٧٤) والنسائي (٣٦١٥، ٣٦١٦) وابن ماجه (٢٦٩٩، ٢٧٠٢). ولمسلم (٤/١٦٢٧) وأحمد (٤٤٦٩) (ثلاث ليال). عن ابن عمر ﷺ.

(٢) يشير إلى حديث عبدالله بن بسر ﷺ أن رجلاً قال يا رسول الله: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بعمل أتشبث به فقال: (لا يزال...) الحديث رواه أحمد (١٧٧١٦، ١٧٧٣٤) والترمذي (٣٣٧٥) وابن ماجه (٣٧٩٣) وابن حبان (٨١٤) والحاكم (١٨٢٢) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٧٠٠).

(٣) يشير إلى حديث أبي أمامة ﷺ... وفيه: مرني بأمر أخذه عنك قال: عليك بالصوم... الحديث. والحديث رواه أحمد (٢٢١٩٤، وموضع) والنسائي (٢٢٢٠، وموضع) وابن حبان (٣٤٢٥) =

في وجوه أصحابه وهكذا لو جاءك شخص وتعلم منه أنه مثلاً يجالس الأشرار أو يشرب المسكر أو ينظر إلى الأفلام الهابطة قل له: لا تجالس الأشرار لا تنظر إلى الأفلام الهابطة لا تضيع وقتك على حسب الحال لأنك تضرب والحديد حار فيؤثر فيقول له النبي ﷺ: «لَا تَغْضَبْ» وتعريف الغضب: هو جمرة يلقاها الشيطان في قلب ابن آدم فيغلي بالقلب فيظهر على الصوت والأوداج والصورة هذا أمر واضح وملموس ومشاهد وقد جاء في الصحيحين عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَحْدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَالُوا لِلرَّجُلِ أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ»^(١). فمن خلال المنظر والصورة يثبت هذا حتى الإمام الغزالي رحمة الله عليه يقول: إن أراد العبد أن يعرف قبح الغضب فلينظر في المرأة. والغضب حقيقة وارد بل قال بعض العلماء: من استغضب فلم يغضب فهو حمار. ولكن لا بد أن يقهر هذا الغضب بالحلم وأن يمسك العبد نفسه ما استطاع قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٢). ويقول النبي ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُفْضَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»^(٣).

والحاكم (١٥٣٣) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٠٤٤) وانظر الصحيحة (١٩٣٧).

(١) متفق عليه: البخاري (٣١٠٨، ٥٧٠١، ٥٧٦٤) ومسلم (٢٦١٠) عن سليمان بن صرد رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٧٦٣) ومسلم (٢٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حسن: رواه أحمد (١٥٦٥٧، ومواضع) وأبو داود (٤٧٧٧) والترمذي (٢٠٢١) وابن ماجه (٤١٨٦)

وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٦٥١٨، ٦٥٢٢) عن معاذ بن أنس رضي الله عنه.

هذا فيمن كتم وكظم غيظه وملك أعصابه من ملك أعصابه فهو البطل أما من إذا غضب تحامق وجدع وشم وضرِب ولطم وربما طلق امرأته بل يقال: إن رجلاً غضب على امرأته على نسائه فطلقهن الأربع على طول فظهرت امرأة الجيران تقول له: اتق الله خاف الله قال لها: وأنت طالق - علق طلاقها - قال: وأنت طالق إذا رضي زوجك فسمع زوجها فقال: وأنا قد رضيت.

فهذا الصحابي الجليل لما سمع النبي ﷺ يقول له: أوصني وهو يقول له: «لا تَعْصِبْ» فردد مرارا قال: أوصني قال: لا تَعْصِبْ... إلخ.

جاء في بعض الروايات قال الصحابي: «فكرت فيما قال النبي ﷺ فإذا الغضب قد جمع الشر كله» (١).

واطلعت في بعض المجلات الإسلامية يقول الكاتب: يقول إن أغلب مرضى الضغط والسكر والأمراض النفسية والتشنج ناتج من الغضب فما أحوجنا معشر المسلمين وعلى وجه الخصوص نحن طلاب العلم أن نتجنب الغضب وأسبابه فلا يكون الشخص دائماً غضوب يغضب لأتفه الأسباب لأن هناك بعض الناس لا يدري متى هو غاضب أو أيش الذي يغضبه والذي يفرحه فدائماً في غضب هذا عقاب من الله فليكن غضبك بقدر وليشتد غضبك إذا انتهكت حرمة الله إذا ضيع أولادك أو أهلك شيئاً من حدود الله غضبت غضباً شديداً أما أن تغضب للتوافه فلا ينبغي أن تهتم بها كأن تضع قلماً أو سواك أو شخص قال كلمة لا شك أن هذه أمور تحز في النفس لكن ينبغي للشخص أن يقهرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً لذلك ذكر أرباب الآداب من العلماء علاجاً ودواء للغضب من أعظم الأدوية الاستعاذة بالله من الشيطان

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٣٢١٩) وصححه الألباني: صحيح الترغيب (٢٧٤٦).

الرجيم ﴿وَمَا يَزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف ٢٠٠]. وسبق قول النبي ﷺ وقد رأى صحابياً مغضباً إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وإذا كنت بجانب شخص قد غضب فحاول أن تذكره بهذا قل له: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم حاول أن تهدئه برفق إن كان هو أكبر منك أو نظيرك لكن إذا كان أصغر منك اضغط عليه بالكلام، أبوك أمك أخوك الأكبر احترمه عند غضبه اخرج من البيت إن رأيت أن خروجك من البيت يهدأ غضب أبوك وأمك أخرج كذلك أيضاً امرأتك إن رأيتها قد غضبت أو تحامقت ذكرها بذلك فإذا لم تخرج محافظة على العشرة وبقاء المودة فيما بينكم.

فمن أعظم الأسباب: الأمر الأول: الاستعاذة لأن معناها الإلتجاء والإلتصاق والإعتصام بالله وهذا كلنا نحتاجه ومن ذا الذي لا يغضب إذا قلنا ذلك نكون كذابين فما منا من أحد إلا وهو يغضب نحن مساكين نسأل الله أن يتوب علينا وأن يغفر لنا. الأمر الثاني: الوضوء أو الاغتسال إن استطعت جاء رجل إلى دار الإمارة في دمشق فأغضب معاوية ومعاوية خليفة كان يستطيع أن يشير إلى بعض الحرس يمكن يقتلوه أو يذبحوه. قال ابن الوردي:

واحذر السلطان واحذر بطشه لا تخالف من إذا قال فعل

فمعاوية تعرفون ضرب به المثل في الحلم:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس^(١)

(١) هذا بيت قاله أبو تمام الطائي في أحمد بن المعتصم - وقيل ابن المأمون - في قصيدته السينية والتي مطلعها:

ما في وقوفك ساعة من باس نقضي حقوق الأربع الأدراس

مع أنهم كلهم ضرب بهم المثل في الحلم والأناة ومعاوية من دهاة العرب لكن أثر عنه ما يسمى بشجرة معاوية كان زياد أخوه يحاول يشد وهو يرخي شوية لأنه لو بقي الشخص متوترا ما يبقى أحد معه ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران ١٥٩]. ما يبقى لك أحد من أصدقائك

إذا صاحبت قوما أهل ود فكن لهم كذي الرحم الشفيق
ولا تأخذ بزلة كل قوم فتبقى في الزمان بلا رفيق

إذا كنت تحاسب هذا وتحقق مع هذا وتأخذ بغلظة هذا حتى أنني قرأت في بعض المجلات أن أحد الآباء كان يدخل أخطاء ابنه في الكمبيوتر يجيء آخر الشهر يحاسبه تطلع أخطاء لأن كثرة الضغط يولد الانفجار ولكن اعف عن هذا تحصل من هذا دقة وهذا لكمة... إلخ تحمل فمعاوية ترك هذا الشخص ودخل دار الإمارة

=

فلما انتهى إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقال له الوزير: تشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب؟ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأشد:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شرودا في الندى والبأس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

عمرو: هو ابن معد يكرم يوصف بالشجاعة والإقدام. وحاتم هو الطائي ويوصف بالجود والسماحة والكرم والاحنف بن قيس يوصف بالحلم والأناة وإياس: هو إياس بن معاوية، كان قاضيا بالبصرة، يوصف بالذكاء، وكان من قوم يظنون الشيء، فيكون كما يظنون، حتى شهر أمرهم في ذلك.

وهذا البيت في ديوانه (٢ / ٢٤٩، ٢٥٠) من قصيدة عدة أبياتها أربع وثلاثون بيتا.

أنظر: البداية والنهاية (١٠ / ٣٠٠) ووفيات الاعيان (٢ / ١٥) والبيان والتبيين للجاحظ (ص / ٥٩٧) والمثل السائر لابن الأثير (٢ / ٣٤٤) وترجمة أبي تمام مع الثلاثة الأبيات في سير الأعلام (١١ / ٦٣ رقم ٢٦).

اغتسل وصلى ركعتين وخرج فقال له بعض الجند: هلا أمرت به قال: لا. أراد الشيطان أن يكون له نصيب بيننا فقطعت عليه. يعني معاوية أغضب الشيطان الرجيم لأن الشيطان يريد المصايحة والمضاربة والمقاتلة. وحضرت مرة منازعة بين ناس فكان واحد من عامة الناس يقول: والله ما صدق إلا لو تضاربوا يشتهيم يتضاربوا بعدين يصدق.

الأمر الثالث: قال بعض الفقهاء: إن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليضطجع وإن كان ذلك المكان قد أزعجه فليخرج.

الأمر الرابع: الشخص الغضوب يحاول أن يكون له شخص هادئ يعني ما يصلح أن تكون غضوب وتنظر من يضارعك في هذا الباب حتى إنهم يذكرون في سر عزل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد أن خالد بن الوليد كان يصلح لأبي بكر لأنه كان رقيق وخالد شديد فتجتمع شدة مع رقة فلما كان عمر رضي الله عنه شديداً في الحق كان يحتاج إلى رفيق فاختر أبا عبيدة بن الجراح ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وذكره الشيخ العثيمين كما أفادنا ذلك أخونا رشاد العلوي جزاه الله خيراً وقديماً قالوا: الصاحب صاحب إذا جالست قوما يغضبون تغضب مثلهم وإذا جالست قوما يأكلون البسباس تصير مثلهم المحروقات تسبب إثارة ولكن يحاول الشخص يأكل أشياء مهدئة من أجل أن يكون هادئاً.

مما ذكره الغزالي رحمته الله: أن تنظر صورتك في المرأة حتى يتبين لك قبح ذلك.

هذه من محاسن الإسلام الخالدة أن يهتم بنا الإسلام على مستوى الغضب لأنه قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه وعليه فإن المسلم إذا غضب لا يخرج عن طوره وعدله وإنصافه قال بعض العلماء: إذا أردت أن تصاحب رجلاً فأغضبه فإن رأيت

لازم فيك الإنصاف والعدل فثق في صحبته وإن رأيت أنه تجاوز في حقك فاتركه بعض الناس إذا غضب خلاص ينقلب انقلاب جذري هذا أنت لا تحتاجه ولكن من كان عنده العدل والإنصاف إذا أيها الإخوة خلاصة ما نريد أن نقوله: يحاول الشخص بقدر استطاعته أن يتجنب أسباب الغضب والوقاية منه وكذلك إذا كنت تعلم أن هذا الأمر يغضب أخاك يغضب زوجتك اتق الله في هذا الشيء ولا تثيره أمام من يغضب لأنك تؤذيه واجعل هذا الحديث نصب عينيك «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

فليكن الشخص ناصحاً لنفسه ولغيره حتى يحظى بخيري الدنيا والآخرة والله المستعان.



(١) في مسلم: وقد سبق برقم (٧) من الأربعين النووية.

[١٧]

{ عموم الإحسان }

وعن أبي يعلى شداد بن أوس ^(١) رَوَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ» رواه مسلم ^(٢).

(١) شداد بن أوس بن ثابت ابن المنذر بن حرام أبو يعلى الأنصاري الخزرجي صحابي جليل وهو ابن أخي حسان بن ثابت كان من الاجتهاد في العبادة على جانب عظيم كان إذا أخذ مضجعه تعلق على فراشه ويتقلب عليه ويتلو كما تتلو الحية ويقول اللهم إن خوف النار قد أفلقني ثم يقوم إلى صلاته. قال عبادة بن الصامت: رَوَى عَنْهُ كَانَ شَدَادُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَوْقَى أَحَدَهُمَا. رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ يَعْلى بْنُ شَدَادٍ وَأَبُو الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيُّ وَضَمْرَةُ بْنُ حَبِيبٍ. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ يَقَالُ شَهِدَ بَدْرًا وَلَمْ يَصَحْ.

نزل شداد فلسطين وبيت المقدس ومات هناك سنة ثمان وخمسين في خلافة معاوية وهو ابن خمس وسبعين وله بقية وعقب ببيت المقدس وكان له اجتهاد وعبادة وقيل مات سنة أربع وستين وقيل سنة إحدى وأربعين. وقال ابن حبان دفن ببيت المقدس سنة ثمان وخمسين وفيها أرخه غير واحد وهو بن خمس وسبعين سنة فالله أعلم.

أنظر: ترجمته في: الإصابة (٣/ ٣٢٠) رقم (٣٨٥١) والطبقات الكبرى (٧/ ٤٠١) والجرح والتعديل (٤/ ٣٢٨) رقم (١٤٣٤) والبداية والنهاية (٨/ ٨٧) والتأريخ الكبير (٤/ ٢٢٤) رقم (٢٥٩١).

(٢) رواه مسلم (١٩٥٥) وأحمد (١٧١٥٤) وأبو داود (٢٨١٥) والترمذي (١٤٠٩) والنسائي (٤٤٠٥)، ومواضع) وابن ماجة (٣١٧٠) والدارمي (١٩٧٠) وابن حبان (٥٨٨٣) وغيرهم.

فائدة: قال ابن دقيق العيد: في شرحه (ص/ ٥١): وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد كثيرة.

أما أبو يعلى فهو شداد بن أوس صحابي جليل وتوفي قديماً سكن الكوفة
 فحفظ هذا الصحابي أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ» ومعنى كتب أي
 فرض وأوجب لأن كتب عند الأصوليين تأتي بمعنى الفرض والوجوب كما قال
 سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء ١٠٣]. وقال سبحانه:
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٨٣]. وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
 وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢١٦].
 وقال ﷺ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة ٢١]. أوجب
 وفرض.

«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ» الإحسان عكسه الإساءة الإحسان على قسمين:

القسم الأول: إحسان مع الخالق فالإحسان مع الخالق فسرّه النبي ﷺ وتفسيره
 مقدم على تفسير غيره من التفاسير حينما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان قال:
 «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

هذا هو الإحسان مع الخالق ﷻ بمعنى المراقبة لله وملازمة التقوى.

وقال ابن رجب: في جامع العلوم (ص/ ١٥٢): وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء
 من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه.
 وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: في قوله ﷺ «فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ»: قال: والقتلة
 والذبحة بالكسر. أي: الهيئة والمعنى أحسنوا هيئة الذبح وهيئة القتل وهذا يدل على وجوب الإسراع
 في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه.
 وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وقد حكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبيحة.

(١) في مسلم: وقد سبق برقم (٢) من الأربعين النووية.

القسم الثاني: وأما الإحسان مع المخلوق فيقول العلماء بأنه: بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه عند اللقاء. والإحسان مع الخلق واسع جدا فالله سبحانه يأمر بالإحسان عموماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ٩٠].

فالله يأمر بالإحسان وقال في حق بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة ٨٣].

وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ [الإسراء ٢٣].

وقال ﷺ: «وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ» (١).

فالإحسان يكون بالبذل والعطاء والنصح والكلمة الطيبة وكذلك بذل العلم والدعوة إلى الله من الإحسان هذا كله من الإحسان فالإحسان فنواته متعددة وكثيرة وطوبى لعبد وفقه الله للإحسان ومن هذه الأمور أو الأقسام التي ألزم الله ﷺ الإحسان إليها أمران ذكرهما النبي ﷺ هذا تخصيص بعد إجمال وتقييد بعد عموم.

الأمر الأول: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

ثم قال ﷺ: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة» القتلة الشرعية فقتل النفس التي أباح الله

(١) حسن: رواه أحمد (٨٠٨١) والترمذي (٢٣٠٥) والطبراني في الأوسط (٧٠٥٤) وأبو يعلى (٦٢٤٠) والبيهقي في الشعب (٩٥٤٣) أبو نعيم في الحلية (٢٩٥/٦) عن أبي هريرة وحسنه الألباني: صحيح الجامع (١٠٠) وانظر الصحيحة (٩٣٠).

سبحانه قتلها كقوله سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾ [المائدة ٤٥].
 أباح الله أن تقتل نفس بنفس: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٧٩].

ويقول النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالشَّيْبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»^(١).

فعمومًا نفس المؤمن معصومة لكن إن جاء بابًا من هذه الأبواب إن قتل متعمدًا ولم يسمح أولياء المقتول بالعفو ولا بالدية فهنا تقتل هذه النفس تطهيرًا والنبي ﷺ يقول: «وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ»^(٢).

فإذا جننا إلى عملية القتل فلا بد أن تقتل هذه النفس قتلة شرعية لا تعذبها ولا تهينها وإنما تقتل قتلة مريحة وهكذا الزاني الشيب وهو الذي تزوج وامتلكت امرأة بعقد شرعي صحيح نزغ الشيطان فذهب إلى الشر والهوى فأقيمت الحجة أربعة شهدوا أو اعترف هو أو اعترفت المرأة التي زنى بها هذا لا بد أن نحسن وأن يحسن ولالة الأمر قتله وهو أن يرجم حتى الموت قد يقول قائل: الرجم هو عذاب فلماذا لا يقتل بالسيف؟ أو بالرصاص أريح له؟ نقول: هذه قتلة حسنة وأي شيء أمر الشرع به فهو من الإحسان فالنبي ﷺ رجم ماعزًا والغامدية رجمًا بالحجارة حتى الموت حتى إن ماعزًا هرب فأدركه بعض الصحابة بالرجم^(٣).

(١) في الصحيحين: وقد سبق برقم (١٤) من الأربعين النووية.

(٢) في الصحيحين: وقد سبق.

(٣) روى ذلك البخاري (٦٤٣٨) ومسلم (١٦٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما والبخاري (٤٩٦٩) ومسلم

قال بعض الفقهاء: إن الحكمة من ذلك أنه حينما قذف شهوته من فرجه حصل استلذاذ بجميع الأعضاء فهذا يرمم وينكأ بالحجارة على جميع الأعضاء التي تلذذ بها والجزاء من جنس العمل. والكافر إن لم يكن ذميًّا ولا مستأمنًا ولا معاهدًا بل كان كافرًا حربيًّا وتواجه المسلمون مع الكفار في الحرب وجب على المسلمين أن يحسنوا القتل فقد كان النبي ﷺ إذا أرسل الجيش يقول: «اغزوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا شَيْحًا كَبِيرًا» (١).

فالإسلام دين الإحسان ودين الرفق ودين العدل والخير كله فنحن مأمورون بالإحسان عند إزهاق النفوس بخلاف الكفار لا يحسنون ذلك ربما يعذبون بأشد أنواع العذاب قلوب ما عرفت الرحمة ولا عرفت الخوف من الله ﷻ فهذا من محاسن الإسلام أن تتعامل مع عدوك بالإحسان «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

لا بد أن تحسن حتى مع عدوك في الهجر والقطيعة إياك أن يفضي بك ذلك إلى البغي لأن البغي محرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ٩٠].

(١٦٩٢) عن جابر والبخاري (٤٩٧٠) عن أبي هريرة ومسلم (١٦٩٥) عن بريدة وبرقم (١٦٩٤) عن أبي سعيد رضي الله عنه وقصة الغامدية في مسلم فقط.

(١) رواه مسلم (١٧٣١) وأحمد (٢٣٠٨٠) وأبو داود (٢٦١٣) والترمذي (١٦١٧) والنسائي في الكبرى (٨٥٨٦) وابن ماجه (٢٨٥٧) عن بريدة رضي الله عنه. دون ذكر المرأة والشيخ فقد جاء ذكرهما عند أبي داود (٢٦١٤) عن أنس رضي الله عنه وضعفه الألباني: ضعيف الجامع (٣٢٧٠)، والطبراني في الأوسط (٤١٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وجاء أيضًا النهي عن قتل النساء والصبيان في البخاري (٢٨٥٢، ٢٨٥١) ومسلم (١٧٤٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والأمر الثاني: قال: «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» عند ذبح الحيوان لا بد من آداب لا بد أن تعمل بما أمرك «وليحد أحدكم شفرته» والمراد بالشفرة السكين «وليرح ذبيحته».

من تلك الآداب. قال بعض الفقهاء: أن تعرض عليها الماء قبل ذبحها وأن لا تذبحها وأختها تنظر إليها لأن النبي ﷺ يقول: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتُهَا رَحِمَكَ اللَّهُ» (١).
ورأى عمر رجلاً يقود شاة برجلها قوداً عنيفاً قال له «ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً» (٢).

على مستوى الحيوان فهذه الشاة تعرض عليها الماء وتحد الشفرة وتقطع منها الودجين والمريء والبلعوم الذي هو مجرى الطعام والودجين عن اليمين وعن الشمال ويكون من آخر الرقبة مما يلي الرأس ولا بد أن تضع رجلك على ظهرها دون أن تلوي اليد أو الرجل كذلك بعضهم ربما يقلعها يكسر رقبتها من أجل أن تموت سريعاً هذا لا يجوز إطلاقاً الكفار ما عندهم رحمة في ذلك ولا يحسنون الذبح ويتهمون المسلمين أنهم يعذبون الحيوانات أخبرنا بعض إخواننا كان يعمل مع بعض الصينيين فيقول لهم: أنتم تعذبون الحيوانات قال: وأنتم قال: نحن لا فكان يشاهده إذا ذبح يأتي بالخروف ويأخذ الشاكوش ويقرعه في رأسه ثلاث أربع قرعات على

(١) صحيح: أحمد (١٥٦٣٠، ٢٠٣٧٩) والبخاري في الأدب (٣٧٣) والحاكم (٦٤٨٢) والطبراني في الكبير (٤٤) والأوسط (٢٧٣٦) والبيهقي في الشعب (١١٠٦٩) عن قرة المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٠٥٥) وانظر الصحيحة (٢٦).

(٢) ضعيف: مصنف عبد الرزاق (٨٦٠٥) والبيهقي في الكبرى (١٨٩٢٤) وضعفه الألباني: ضعيف الترغيب (٦٨١، ١٣٧١) وغاية المرام (٤٠).

الرأس حتى يموت الخروف وبعدين إذا مات يقوم يذبحه يعني يرأفه هذه هذا هو الوقذ في حد ذاته الرحمة ما عناه الله أو رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام ١٦٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِرَ إِلَىٰ أَوَّلِيَّائِهِمْ لِجَدِّ لُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام ١٢١].

وقال النبي ﷺ: «مَا أَنَهَرَ الدَّمَ، وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوهُ، لَيْسَ السِّنُّ وَالظُّفْرُ، وَسَأَحْدُثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمَدَى الْحَبَشَةِ» (١).

فلا يجوز الذباجة بالعظام على أي كان لا يجوز الذبح به إطلاقاً بل هو طعام إخواننا من الجن كما بين ذلك النبي ﷺ حينما جاء إليه الجن يسألونه الطعام والشراب والعلف لدوابهم (٢).

فهذه آداب شرعية أوصى بها الشرع الحنيف المؤمنين والمؤمنات ليعملوا بها إلى قيام الساعة «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم...» الحديث هذا إذا كان على مستوى الحيوانات فما رأيك ببني آدم كيف لا تحسن إليه وترحمه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً

والنبي ﷺ يقول: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا هل بلغت؟» «كل المسلم على المسلم

(١) رواه الجماعة: البخاري (٢٣٧٢)، وموضع) ومسلم (١٩٦٨) وأحمد (١٥٨٤٤) وموضع وأبو داود (٢٨٢١) والترمذي (١٤٩١) والنسائي (٤٤٠٤) وموضع وابن ماجه (٣١٧٨) وغيرهم. عن رافع بن خديج رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٤٥٠) وأحمد (٤١٤٩) وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

حرام دمه وماله وعرضه» (١).

في أعظم يوم وأعظم مشهد إنه يوم عرفة يوم الحج الأكبر والنبى ﷺ يهتف بهذا الخطاب أمام الصحابة وكانوا زهاء مائة ألف صحابي وهو يلقي عليهم هذا تأكيداً لحق المسلم والمسلمة ووجب على المسلم أن يحمده الله ﷻ إذا عرفه بمثل هذه التعاريف الشرعية فإذا رأيت من يسيء إلى الحيوان انصححه ولو كان كلباً قد حبسه وما أحسن إليه يأثم قال النبى ﷺ والحديث في صحيح البخاري عن ابن عمر: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ» (٢).

ربما كانت الهرة عرجاء أو عوراء أو سوداء لا تساوي شيئاً ولكن نفس هرة. أحد من العلماء سمع ابنه يخاطب كلب من الكلاب وقد دخل بيته قال: اخرج كلب بن كلب فقال له أبوه: لا تقل هذا قال: يا أباي أليس كلب بن كلب؟ قال: بلى ولكن شرط ذلك أن لا تعيره، إن كان على وجه القدح والتعزير والتعير لا يجوز حيوانات ربما تسأل عنها بين يدي الله وهي عجموات تحشر إلى عرصات القيامة من أجل القصاص قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً...﴾ [الأنبياء ٤٧].

(١) في الصحيحين: وقد تقدم.

(٢) البخاري (٢٢٣٦، ٣١٤٠، ٣٢٩٥) ومسلم (٢٢٤٢، ٢٦١٩) عن ابن عمر وأبي هريرة، ورواه أيضاً البخاري (٧١٢) ومسلم (٩٠٥) عن أسماء بنت أبي بكر، ورواه مسلم (٩٠٤) عن جابر رضي الله عنهم أجمعين.

ونفس هنا نكرة في سياق النفي تفيد العموم ﴿فَلَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
 مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء ٤٧].
 ويقول النبي ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ
 الْجُلُحَاءُ، مِنَ الشَّاةِ الْقُرَنَاءُ» (١).



(١) رواه مسلم (٢٥٨٢) وأحمد (٧٢٠٣) ومواضع والترمذي (٢٤٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[١٨]

{ تقوى الله وحسن الخلق }

وعن أبي ذر جندب بن جادة^(١) وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل^(٢) رضي الله عنهما عن

(١) أبو ذر الفغاري رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كبيرا. جندب بن جنادة على الصحيح أحد السابقين الأولين أسلم بمكة أول المبعث رابع أربعة أو خامس خمسة. ثم رجع إلى بلاد قومه ثم بعد هاجر إلى المدينة وشهد جوامع المشاهد وكان رأسا في العلم والزهد والجهاد وصدق اللهجة والإخلاص وكان آدم جسيما كث اللحية قال أبو داود لم يشهد بدرا ولكن عمر الحقه مع القراء وكان يوازي ابن مسعود في العلم وكان رزقه أربع مائة دينار وكان لا يدخر مالا ويصدق بالحق وإن كان مرا.

ومناقبه شهيرة وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام نزل بالربذة في خلافة عثمان بن عفان فأقام بها حتى مات في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين رضي الله عنه وليس عنده سوى امرأته وأولاده فينماهم كذلك لا يقدر على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه فحضر موتاه وصلوا عليه ودفنوه.

أنظر: ترجمته في: الإصابة (١٢٥/٧) رقم (٩٨٦٨) والطبقات الكبرى (٢١٩/٤) وتذكرة الحفاظ (١٧/١) رقم (٧) وتهذيب الكمال (٢٩٤/٣٣) رقم (٧٣٥١) ومشاهير علماء الأمصار (١١/١) رقم (٢٨) وغيرها.

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس العالم الرباني أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي شهد العقبة وهو بن ثمان عشرة سنة أو دونها وشهد بدرا والمشاهد كلها وكان من نجباء الصحابة وفقهائهم وألبائهم رضي الله عنه.

قال محمد بن سعد كان معاذ بن جبل رجلا طوالا أبيض حسن الثغر عظيم العينين مجموع الحاجبين جعدا ققطا قال له النبي ﷺ يا معاذ والله إنني لأحبك وعن النبي ﷺ أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ وعنه رضي الله عنه يأتي معاذ أمام العلماء برتوة.

قال أبو نعيم في الحلية (٢٢٨/١) معاذ بن جبل المحكم للعمل التارك للجدل مقدم العلماء وإمام

رسول الله ﷺ أنه قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه الترمذي^(١) وقال: حديث حسن وفي بعض النسخ: حسن صحيح.

أما أبو ذر فهو من أصحاب النبي ﷺ الأول قد امتدحه النبي ﷺ بقوله: «مَا أَقَلَّتِ الْعِبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»^(٢) وكان رضي صاحب عبادة.

وأما معاذ بن جبل فهو كما زكاه النبي ﷺ بقوله: «وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ»^(٣) وقد قال له النبي ﷺ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ»^(٤) وهذه منقبة لمعاذ رضي

=

الحكماء ومطعم الكرماء القارئ القانت المحب الثابت السهل السري السمع السخي المولى المأمون والوفي المصون مؤتمن على العباد والأموال ومصون من الموانع والأحوال. أرسله النبي ﷺ معلما ومرشدا إلى اليمن فلبث فيها حتى مات رسول الله ﷺ. أستشهد معاذ في الطاعون بالأردن في سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وقيل سبع عشرة وله خمس وثلاثون سنة وقيل عن ثمان وثلاثين سنة على المشهور، وقيل غير ذلك والله اعلم. أنظر: الإصابة (١٣٦/٦) رقم (٨٠٤٣) وتذكرة الحفاظ (١٩/١) رقم (٨) والبدایة والنهاية (٩٤/٧).

(١) حسن: أخرجه أحمد (١٣٩٢، ٢١٤٤١، ٢١٥٧٦، ٢٢٠٣٩) والترمذي (٣٨٠١)، والحاكم (١٧٨) والطبراني في الكبير (٢٩٦) والأوسط (٣٧٧٩) والصغير (٥٣٠) والدارمي (٢٧٩١) والبيهقي في الشعب (٨٠٢٣) وحسنه الألباني: صحيح الترغيب (٢٦٥٥، ٣١٦٠) وصحيح الجامع (٩٧).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٦٦٣٠، ومواضع) والترمذي (١٥٦) وابن ماجه (١٥٦) والحاكم (٥٤٦١) والبخاري (٢٤٨٨) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٥٥٣٧) والصحيحة (٢٣٤٣) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٤٠٢٢) والترمذي (٣٧٩٠، ٣٧٩١) والنسائي في الكبرى (٨٢٤٢) وابن ماجه (١٥٤) والحاكم (٥٧٨٤) وصحيح ابن حبان (٧١٣٧) وصححه الألباني: الصحيحة (١٢٢٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١١٠٣، ٢١١٠٩) وأبو داود (١٢٥٥) والنسائي (١٣٠٣) وابن حبان =

الله تعالى عنه وفي بعض الأحاديث: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا حَضَرُوا رَبَّهُمْ كَانَ مَعَاذُ بَنِ جَبَلٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رَتَوَةً بِحَجَرٍ» (١) أي على مكان مرتفع وما ذلك إلا لشرفه ولسؤدده في باب العلم وقد أرسله النبي ﷺ إلى اليمن معلماً وأميراً وقاضياً وداعياً إلى الله وكان من أعظم الناس محبة لكتاب الله فكان كما قال لأبي موسى: أنام أول الليل وأقوم آخره فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي على الله ﷻ (٢).

وكذلك أيضاً جاء الحديث عند ابن عساكر من حديث أنس هؤلاء الصحابة يروون أن النبي ﷺ قال هذه العبارات الثلاث:

«اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» وهذا خطاب موجه للأمة كما يقول العلماء: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومعنى اتق الله أي اجعل بينك وبين غضب الله وعذابه وسخطه وقاية اجعل بينك وبين محارم الله وقاية حتى لا تقع في حد من حدود الله وهذا الباب باب التقوى باب واسع هناك آيات تأمر وتحث وتذكر فضائل ومناقب المتقين من ضمن ذلك قول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُورًا يَكْفُرُونَ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]. وهذه الآية تخاطب الناس جميعاً وسيكون معنى التقوى أبلغ من أن يفسر أن تجعل بينك وبين حدود الله وقاية في ترك المعاصي بل في ما هو أعظم من ذلك أن تنبذ الشرك والبدعة والمعصية لأن الخطاب للناس قال الله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا

(٢٠٢٠) والحاكم (١٠١٠) وصححه الألباني: في المشكاة (٩٤٩) وصحيح الجامع (٧٩٦٩) عن

معاذ بن عبد الله.

(١) صحيح: حلية الأولياء (٢٢٨/١) وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١٢٨٧) وكنز العمال

(٣٣٦٣٣) عن عمر بن الخطاب. وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٦٨٠) والصحيحة (١٠٩١).

ومعنى: (رتوة) أي: رمية بحجر.

(٢) كما روى ذلك البخاري (٤٠٨٦، ٤٠٨٨) ومسلم (١٧٣٣) عن أبي بردة روى عنه.

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ [الحج: ١].

ومثلها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

ويقول سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

ويقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وهكذا يمتدح الله ﷻ أهل التقوى وما حصل لهم من الخير قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَاءً تَلَهُمُ رِيحُهُمْ هُتُفًا كَأَنُفُوحًا ذَٰلِكَ مُجْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٥-١٦].

وقال سبحانه: ﴿* وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وتقوى الله عبادة من أجمع العبادات وهي الزاد الذي أمر الله بالتزود منه قال تعالى: ﴿... وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وهي وصية الله لعباده كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] وهي وصية النبي ﷺ لأصحابه بل ووصية الأنبياء من قبله قال النبي ﷺ لأصحابه من حديث العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا: كأنها

موعظة مودع فأوصنا قال: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ»^(١).

وما زال الصحابة ومنهم الأئمة الأربعة الخلفاء الأربعة أبو بكر يوصي عمر قائلاً: اتق الله يا عمر وهكذا كان يكتب بعضهم إلى بعض بأن يتقي الله ﷻ.

قال ذا النون المصري^(٢): «كان العلماء يتواعظون بثلاث ويكتب بعضهم إلى بعض: من أحسن سريره أحسن الله علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله له ما بينه وما بين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه»^(٣) وهذا رجل من

(١) سيأتي تخريجه برقم (٢٨) من الأربعين النووية إنشاء الله.

(٢) ذو النون المصري الزاهد رحمه الله عليه، شيخ الديار المصرية اسمه ثوبان بن إبراهيم ويقال أبو الفيض بن أحمد ويقال ابن إبراهيم أبو الفيض ويقال أبو الفيض الإخميمي. وأبوه نوبي ولد في أواخر أيام المنصور روى عن: مالك والليث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وسلم الخواص وجماعة وعنه: أحمد بن صبيح الفيومي وربيع بن محمد الطائي ورضوان بن محميد ومقدام بن داود الرعيني والحسن بن مصعب النخعي والجنيد بن محمد وغيرهم قال ابن يونس: كان عالماً فصيحاً حكيماً أصله من النوبة.

وقال السلمي: حمل ذو النون إلى المتوكل على البريد من مصر ليعظه سنة أربع وأربعين. وكان إذا ذكر بين يدي المتوكل أهل الورع بكى كان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية وقيل كانت تعلوه صفرة. وهو أول من تكلم في بلده في ترتيب الأحوال ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبدالله بن عبد الحكم وهجره علماء مصر، وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف وهجروه ورموه بالزندقة. توفي في ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين، وقيل سنة ست وأربعين ومائتين، وقيل سنة ثمان وأربعين ومائتين، والأول أصح.

أنظر: تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات سنة (٢٤١-٢٥٠ هـ) ص (٢٦٥)، وتأريخ دمشق (١٧/٤٠١) والبداءة والنهاية (١٤/٤٤٣) وسير أعلام النبلاء (١١/٥٣٢ ترجمة ١٥٣).

(٣) ذكر هذا الأثر في الحلية (٤/٢٤٧) وصفة الصفوة (٣/١٠٣، ١٠٤) عن عون بن عبدالله ولم أجده عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى.

الصالحين^(١) كان في سياق الموت وهو من علماء التابعين الكبار فقالوا له: أوصنا قال: أوصيكم بخاتمة سورة النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل ١٢٨]. فيلزم من تقوى الله بعبارة مختصرة جميلة لطيفة نفاة فعل المأمور وترك المحذور لو عملت بهذا كفاك كما قال عمر بن عبد العزيز^(٢) «ليست التقوى قيام الليل وصيام النهار والتخليط فيما بين ذلك ولكن التقويأداء ما افترض الله وترك ما حرم الله»^(٣) فيلزم من ذلك أن نكون على طاعة وأن نفارق المعصية وإن حدثت نفسك ذكرها بالله.

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

(١) الرجل هو هرم بن حيان، وكلامه ذكره ابن سعد في الطبقات (١٣٢/٧) وأبو نعيم في الحلية (١٢١/٢) وابن رجب في جامع العلوم (ص/١٦١).

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح العادل التقي العابد الزاهد العالم الفقيه - غني عن التعريف - أبو حفص خامس الخلفاء الراشدين.

قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز أخرجه أبو داود في سننه ولد عمر بخلوان قرية بمصر وأبوه أمير عليها سنة إحدى وقليل: ثلاث وستين وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان بوجه عمر شجة ضربته دابة في جبهته - وهو غلام - فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد وكان عمر بن الخطاب يقول: من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا. توفي عمر رضي الله عنه بدير سمعان - بكسر السين - من أعمال حمص لعشر بقين - وقيل: لخمس بقين - من رجب سنة إحدى ومائة وله حيثئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر وكانت وفاته بالسلم كانت بنو أمية قد تبرموا به لكونه شدد عليهم وانتزع من أيديهم كثيرا مما غصبوه وكان قد أهمل التحرز فسقوه السم أنظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٠١) وغيره من كتب التاريخ.

(٣) جامع العلوم والحكم (ص/٩٦) وتاريخ دمشق (٢٣٠/٤٥) والدر المشور لابن أبي الدنيا (١/٦٣، ٦٢).

ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غداً للناظرين قريب

يذكرون في بعض الأمثلة أن رجلاً دخل غيظة وهو المكان الملتف بالأشجار فحدثته نفسه الأمانة بالسوء بالمعصية قال: لو عملت هاهنا معصية ما أحد يراني بلسان المقال فهتف هاتف من بين الأشجار: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المالك ١٤]. فالله معك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الذي يريك حين تقوم ﴿وَتَقَابَلَكُ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء ٢١٧-٢٢٠].

فالله ﷻ معك في كل لحظة والنبي ﷺ يقول: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» فحيث هنا ظرفية في المسجد في الشارع في البيت في الحمام مع زوجتك منفرداً في السيارة.... إلخ.

«اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» ويقال: إن رجلاً خلاً بامرأة في ليلة مقمرة وكانا وحيدين فقال لها: ما يرانا إلا هذا الكوكب فقالت له المرأة وكانت عاقلة: فأين مكوكبها^(١)؟ وقصة ذلك الرجل الذي استغل ضعف المرأة وحاجتها فلما قعد مقعد الرجل من زوجته قالت له: «اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضَحْ خَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا»^(٢).

وقصة سيدنا يوسف ﷺ عندما قالت له المرأة: (هيت لك) قال ابن عثيمين: إن قلت أنها تجردت من ملابسها يعني الآية تدل على هذا أنها تعرت تماماً فقال يوسف ﷺ: معاذ الله^(٣).

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٩٥) رقم: (٩٤٤): ذكر المصطفيات من عابدات العرب.

(٢) روى ذلك البخاري (٢١٠٢، ٢١٥٢، ٢٢٠٨، ٣٢٧٨، ٥٦٢٩) ومسلم (٢٧٤٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وهو حديث الثلاثة الذين كانوا في الغار فانطبقت عليهم الصخرة.

(٣) قصة يوسف ذكرها الله ﷻ في سورة كاملة تسمى بسورة يوسف أنظرها هناك مع تفسيرها من كتب التفسير.

ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ - مغريات - فقال: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، رَبَّ الْعَالَمِينَ»^(١) فما أحوجنا أن نطبق مثل هذا وأن يكون الشخص حذرًا كما جاء في بعض الآثار أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثني عن التقوى؟ فقال: «هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم. قال فما عملت فيه؟ قال: حذرت وشمريت. قال كعب: ذلك التقوى»^(٢) والله لأن يحذر أحدنا من المعاصي والجرائم أولى ثم أولى لأن الشوكة هذه تخرج من القدم وانتهى الإشكال. فأخذ ابن المعتز^(٣) أحادي العلماء الشعراء من قول عمر هذا ثلاثة أبيات حيث قال:

خَلَّ الذَّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التَّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذُرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنْ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

(١) البخاري (٦٢٩، ١٣٥٧، ٦١١٤، ٦٤٢١) ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تفسير ابن كثير (٦٥/١) وتفسير القرطبي (٢٠٣/١) وتفسير البغوي (٥٩/١) وجاء مرويًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الدر المنثور (٦١/١) وفتح القدير (٥٢/١) عند الآية (٢، ١) من سورة البقرة.

(٣) الأمير ابن المعتز: عبدالله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد يكنى أبو العباس الهاشمي العباسي كان شاعرا مطبقا فصيحًا بليغا مطبقا. الأمير الأديب صاحب الشعر البديع والنثر الفائق. أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثلعب عن مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي. مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين. قتل سرًا في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين.

أنظر البداية والنهاية (١٠٨/١١) والوافي في الوفيات.

وهذه الأبيات ذكرها ابن رجب في جامع العلوم (ص/١٦٠) وابن كثير في تفسيره (٦٥/١) وتفسير القرطبي (٢٠٣/١) كلهم عند آية (٢) من سورة البقرة.

الذنوب تخرب القلب ولا يظن واحد أنه كان يحفظ القرآن وعمل ذنب نسي القرآن مباشرة بعض الناس يظن هذا نقول: حصل أن أحد طلبة العلم نظر إلى امرأة نظرة تعمد قال له شيخه: لتجدن غيبها أي ألمها وعاقبتها فنسي القرآن بعد أربعين عامًا فالذنوب بجانب الذنب حتى يفسد القلب ويعكر صفو صاحبه. تتجمع هذه الذنوب كما في الحديث: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا»^(١). والله در من قال:

لا تحقرن من الذنوب صغيرًا إن الصغير غداً يعود كبيراً
إن الصغير وإن تقادم عهده عند الإله مسطر تسطيراً

فنبينا ﷺ يوجهنا إلى أن نتقي الله ﷻ حيثما كنا في أي مكان كنا وجب علينا أن نلزم تقوى الله. ثم قال ﷺ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا» عملت سيئة اتبعها بحسنة فإن كانت السيئة كبيرة عملت حسنة كبيرة. كما قال النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢). لأن المقام مقام شرك فالشرك لا بد له من توحيد ومن عمل من كبائر الذنوب يعمل من الحسنات حتى يرى أن قد قارب أو وفي ذلك.

عائشة رضي الله تعالى عنها نذرت أن لا تكلم ابن الزبير وذلك أنه لما رآها تنفق قال: لأحجرن عليها فقالت: أو قال ذلك ابن الزبير؟ قالوا لها: نعم قالت: لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير ثم دخل عليها المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود

(١) رواه مسلم (١٤٤) وأحمد (٢٣٣٢٨، ٢٣٤٨٧) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٥٧٩، ٥٧٥٦، ٥٩٤٢، ٦٢٧٤) ومسلم (١٦٤٧) وأحمد (٨٠٧٣) وأبو داود

(٣٢٤٧) والترمذي (١٥٤٥) وابن ماجه (٢٠٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه. ولم يذكر أحمد وأبو داود

لفظ (والعزى).

فكلماها فكانت تبكي وتقول: نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى عفت عنه ثم ما زالت تعتق الرقاب حتى أعتقت أربعين رقبة^(١) على أنه كان يكفيها رقبة واحدة.

وهكذا لما كان عمر يراجع النبي ﷺ يوم الحديبية فخشي عمر من ذلك قال: «عملت لذلك أعمالا»^(٢) فالإنسان لا يسلم من الخطأ وفي الحديث «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(٣).

هذا فيما بينك وبين الله أما فيما بينك وبين الناس معناه أعد حقوق الناس لأن حقوق الله مبنية على المسامحة أما حقوق الخلق مبنية على المشاحة فحقوق العباد لا بد أن تؤديها قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٤) وهكذا في أي معصية وقعت بها تتخذ هذا الأسلوب إن كان بينك وبين الخلق استسمحت منهم أعدت الحقوق إلى ذوبها بينك وبين الله ﷻ استر على نفسك واعمل لذلك أعمالا فالله سبحانه كفل لمن تاب وأناب واستغفر أن يغفر له ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه ٨٢]. وقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان ٧٠]. وجاء في

(١) روى هذه القصة البخاري (٥٧٢٥) عن عوف بن مالك بن الطفيل رضي الله عنه.

(٢) روى ذلك البخاري (٢٥٨١) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٣) حسن: رواه أحمد (١٣٠٧٢) والترمذي (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١) والحاكم (٧٦١٧) وأبو يعلى (٢٩٢٢) والدارمي (٢٧٢٧) والبيهقي في الشعب (٧١٢٧) وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٤٥١٥).

(٤) البخاري (٦١٦٩، ٢٣١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الصحيحين أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله ﷻ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَاتٍ أَلَيْسَ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم»^(١). فالحسنة تمحو السيئة بتفضل منه ﷻ ولكن لا يكون القلب قد عشعش عليه الشيطان فدائمًا يقع في هذا الذنب يحاول الشخص أن يرقى بنفسه من هذا الحضيض ويغادر أرض الذنب ومكان الذنب وأن يتبرأ منه وأن يكون عنه بعيدًا يعني لا بد من الندم لا بد من الإقلاع لا بد من العزم ثم بعد ذلك إذا تاب بهذا المستوى واستغفر الله ففي الحديث «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢) فينبغي أن تقنط نفسك ولا أن تقنط أحدًا من العالمين فهذه بشرى أيضا للعصاة وهذا من سماحة الإسلام ومن عدل الإسلام إذا أحدث العبد سيئة أحدث حسنة بخلاف النصارى ليس عندهم هذا وإنما إذا عمل الشخص المعاصي والسيئات يذهب إلى القسيس وعنده كرسي يسمى كرسي الاعتراف فيقول المجرم إنه زنا وقتل وفعل فهذا القسيس يصرف له صك يسمى صك الغفران وكأن القس هذا بيده الجنة والنار مثل البابا يوحنا بابا الفاتيكان هؤلاء كلهم يصرفون وبعدين يموتون هو يصرف للناس لكن من يصرف له هو افتئات واجترأ على الله وجهل في منتهى الجهالة ولكن من عدل الإسلام ومن سماحة الإسلام أن تستغفر الله ﷻ وأن تتوب إليه وأن تعمل الحسنات ليكفر الله ﷻ عنك السيئات والخطيئات ثم قال النبي ﷺ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» والألف واللام

(١) البخاري (٥٠٣، ٤٤١٠) ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٩) وأحمد (١٩٥٤٧، ١٩٦٣٥) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

للجنس جميع الناس خالقهم بخلق حسن خلق الإسلام مؤمنهم وكافرهم ذكرهم وأنثاهم صغيرهم وكبيرهم... إلخ.

بني إن البر شيء هين وجهه طليق ولسان لين

فتواضع لعباد الله والنبي ﷺ يقول: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ» (١) ويقول: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» (٢).

ويقول ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُذْرِكَ بِحَسَنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتٍ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ» (٣).

وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنْ الدُّنْيَا صِدْقُ الْحَدِيثِ وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَعِفَّةُ مَطْعَمٍ» (٤) وحسن الخلق معناه بذل الندي وكف الأذى وطلاقة الوجه عند اللقاء، بذل الندي ديني أو دنيوي إن كان عندك علم ولو حتى تجويد طلب شخص أن تدرسه درسه أو شيء من حطام الدنيا أعطيته إن كنت مستطيعاً وليس له حق فيما آتاك الله ﷻ وكف الأذى قال النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (٥) أذى القول وأذى الفعل من

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) والطبراني في الكبير (٧٤٨٨) والبيهقي في الشعب (٨٠١٧) والكبرى

(٢٠٩٦٥) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الألباني: صحيح الجامع (١٤٦٤) وأنظر الصحيحة (٢٧٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٧٧٦٧) وابن حبان (٤٨٢) والطبراني في الكبير (٥٨٨) والبيهقي في الشعب

(٤٩٦٩) عن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٥٣٥).

والحديث أخرجه أيضاً الترمذي (٢٠١٨) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٢٢٠١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٥٠٥٧، ٢٥٥٧٨) وأبو داود (٤٧٩٨) وابن حبان (٤٨٠) والبيهقي في الشعب

(٧٩٩٧) وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٩٣٢) والمشكاة (٥٠٨٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) صحيح: وقد تقدم.

حديث ابن عمر عند الترمذي قال النبي ﷺ «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ! لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» (١) فكف عن أذى الناس ما استطعت وعليك بطلاقة الوجه ما استطعت رد السلام زيارة المريض يكون عندك بشاشة لإخوانك إذا المؤمن دائماً سموح ودائماً تراه يحب الخير ويحرص عليه للناس وهناك حالات تعتري الشخص لا يستطيع أن يكون دائماً بشوش فعلى الأخ أن يعذر إخوانه المؤمنين زرته إلى بيته عنده مشكلة ما هش وبش لك فاعذره ربما حصلت عليه مصيبة في البيت بعض الناس يريد من إخوانه أن يكونوا مبرمجين على البشاشة وعلى البسمة هذا لا يمكن لو أنك ذهبت إلى بيت أخيك فدققت عليه الباب وقد عرف أنه أنت فقال: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ [النور ٢٨]. كان بعض السلف يتمنى أن يقال له ذلك من أجل أن يطبق الآية القرآنية ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور ٢٨]. يعني أفضل وأحسن لكن الآن يقول: هذا متكبر هذا الله أيش قد ملك ؟ من يقال له ؟ ويبقى يشرحك تشريح عجيب فهذا الأمر أمر الأخلاق هي حقيقة من كمال الرجولة وفي الحديث: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» (٢) فالخلق الحسن من كمال الرجل يتكلم إن طلب منه أن يتكلم. لا

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٠٣٢) وابن حبان (٥٧٦٣) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٩٨٥) ورواه أحمد (١٩٧٩١) وأبو داود (٤٨٨٠) عن أبي هريرة الأسلمي وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٩٨٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٧٣٩٦)، ومواضع) وأبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) والدارمي (٢٧٩٢) وابن حبان (٤٧٩) والحاكم (١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٢٣٠) =

يكون الناس جالسين بصمت وهو يضحك لغير مبرر يضحك لغير سبب أو يتكلم وهناك أكبر منه يفتت عليهم أو يعمل حركة مخلة بالمرءة كان الناس جالسين وهو إما يأكل الفصفص وإما يعبث بأنفه أو بأضراسه أو أشياء كثيرة فلا بد أن تخالق الناس بخلق حسن الأخلاق الحسنة التي ربانا عليها النبي ﷺ لا بد أن نطبقها وأخلاق النبي ﷺ القرآن الكريم كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن» (١).

**ومن لا يرببه الرسول ويسقه لبأله قدر من ثدي وحيه
فذاك لقيط ماله شبهة الولاء ولن يتعدى طور أبناء جنسه**

أعظم الأخلاق الحسنة أن تترك الرياء الغيبة النميمة الواقعة في إخوانك الإحتقار الإستهزاء اترك هذه الأخلاق وكن دائماً محباً للخير استخدم وجهاً واحداً لإخوانك حب هذا وابطس لهذا ولو لم يكن عندك ما تعطيههم ولكن تسمع مشاكلهم وتعرف أحوالهم لو لم يكن إلا أن تدعو لهم ادع له اسمع منه وقل: أسأل الله أن ييسر أمرك يكفي هذه.

قال: رواه الترمذي بالنسبة للسند سند الترمذي وكذلك أيضاً أحمد في سنده ميمون بن شبيب وهو لم يسمع من معاذ لكن جاء الحديث بألفاظ كثيرة قد ذكرها الشيخ الألباني وقد صححه في الجامع وفي الروض النضير وفي صحيح الجامع فأقل أحواله أن يقال عنه: حسن والله المستعان.

والصحيحة (٢٨٤).

(١) رواه مسلم (٧٤٦) وأحمد (٢٤٦٤٥)، ومواضع) وأبو داود (١٣٤٢) والنسائي (١٦٠١) وابن ماجه (٢٣٣٣) عن عائشة رضي الله عنها.

[١٩]

{ احفظ الله يحفظك }

عن أبي العباس عبد الله بن عباس ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِذْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ إِلَّا قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَرُفِعَتِ الصُّحُفُ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ^(٢).

وفي رواية غير الترمذي ^(٣): «أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِذْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ

^(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الإمام البحر عالم العصر أبو العباس الهاشمي بن عم رسول الله ﷺ وأبو الخلفاء مات رسول الله ﷺ ولعبد الله ثلاث عشرة سنة وقد دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل عن أبي وائل قال استعمل علي ابن عباس علي الحج فخطب يومئذ خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا.

توفي بن عباس بالطائف في سنة ثمان وستين فصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات رباني هذه الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. تذكرة الحفاظ (١/ ٤١-٤٠) رقم (١٨).

^(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦) والحاكم (٦٣٠٣) وأبو يعلى (٢٥٥٦)

وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٩٥٧) والشيخ مقبل الوادعي: في الصحيح المسند (٦٩٩).

^(٣) صحيح لغيره: رواه الحاكم (٦٣٠٤) والطبراني في الكبير (١١٥٦٠) والبيهقي في الشعب (١٠٧٤)

وعبد بن حميد في مسنده (٦٣٦) وضعفها ابن رجب في جامع العلوم (ص/ ١٨٤) وأنظر: ظلال

يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» وهي زيادة صحيحة.

في هذا الحديث عدة قضايا يكفيه فخراً أن بعض السلف كان يستخدمه للوصية والوصية لا تكون إلا بأمر هام فقد جاء رجل إلى أبي سليمان الداراني فقال: إني مسافر فأوصني قال: «إحفظ الله يحفظك».

وبعض السلف كان يسميه الحديث المدهش فهذه القضايا لو أخذ بها المؤمن على وجه العموم وطالب العلم على وجه الخصوص استراح من إعياء الدنيا وهمومها وأحزائها واستقام قلبه على طاعة الله إلى أن يخرج من هذه الدنيا وهو على خير.

النبي ﷺ يردف ابن عمه عبد الله بن عباس وهذا فيه دليل على تواضع الرسول ﷺ إذ أنه يردف ويركب شاباً حدث السن فقد كان ابن عباس حين مات النبي ﷺ ناهز الاحتلام يعني قرابة الخامسة عشر إلا قليلاً ومع ذلك يهتم به النبي ﷺ لما رأى فيه من الذكاء والفطنة والنجابة

وقد دعا له النبي ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّوِيلَ»^(١).

الجنة للألباني (٣١٨).

فائدة: قال ابن رجب: وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين حتى قال بعض العلماء تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه. جامع العلوم (ص/ ١٨٥).

(١) البخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧) دون قوله (... وعلمه التأويل) فهي عند أحمد (٢٣٩٧) وابن حبان (٧٠٥٥) والحاكم (٦٢٨٠) وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فيقول: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، يعني على الدابة ولأهمية الأمر وأهمية هذه الكلمات لم ينتظر النبي ﷺ حتى ينزل من على متن الدابة فيلقي عليه هذه الموعظة العظيمة التي ستكون تأريخاً ومنهجاً لهذه الأمة المباركة فيقول: «يا غلام إني أعلمك كلمات» واستخدم النبي ﷺ هذه التوطئة والمقدمة أو ما يسمى الآن بالديباجة من أجل الإنباه والإلتفات لأن الأمر عظيم مثل قوله سبحانه: ﴿الْأَبْرَارَ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس ٦٢] جاء بأداة الإستفتاح والتنبية حتى يبقى السامع مشدوداً مع المتكلم فيبين له ﷺ هذه الكلمات:

أولاهما: يقول: «إحفظ الله يحفظك» وبعض الناشئة يقرؤها يحفظك وهذا غلط فهي جواب الطلب ومعنى احفظ الله أي احفظ أمر الله سواء كان واجباً تقوم به أو منهياً تنزجر عنه إحفظ دين الله شرع الله إن قدمت هذا الحفظ استلمت حفظاً آخر يقول نبينا ﷺ: «يحفظك» أنت إذا حفظته حفظك وإذا ضيعت حدوده هنت عليه

ومن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

فمن تلطخ ببعض الذنوب والمعاصي - والله - لا يلوم إلا نفسه لأنه لم يحفظ الله من نكس رأسه بمعصية صار ذليلاً فلا يلوم من إلا نفسه سواء في الدنيا أو في الآخرة ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة ١٢] أذلاء وفي الدنيا كذلك يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة ٢٠] ويقول ﷺ: «وَجُعِلَ الدُّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ

أَمْرِي» (١) فمن حفظ أمر الله حفظه الله ﷻ وجعل له فرجاً ومخرجاً من بين يديه ومن خلفه يحفظه الله قال سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرَ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۖ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ [الرعد ١١] أي بأمر الله لأن حروف الجبر تتناوب فالله ﷻ يحفظ عبده المؤمن مثلما حفظ الأنبياء والأولياء والصالحين من قبل فمن الذي حفظ موسى وقد تكالب عليه فرعون وجنوده؟ حفظه الله ﷻ ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [٦١-٦٢] الآيات فحصلت الغلبة والنصر لموسى على قلة ما عنده من العدة والعتاد ومن الذي حفظ يونس بن متى؟ الله ﷻ ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٧] الآية فمن الذي أخرجه من تلك الظلمات؟ الله ﷻ لأن يونس ﷺ حفظ الله وله قدم صدق حتى إن النبي ﷺ يتواضع لربه فيقول: «لا تفضلوني على يونس بن متى» (٢) ومن الذي حفظ الخليل إبراهيم؟

(١) صحيح: رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) والبيهقي في الشعب (١١٩٩) وعبد بن حميد في مسنده (٨٤٨) وسعيد بن منصور في سننه (٢٣٧٠) وعلقه البخاري (١٠٦٦/٣): كتاب الجهاد: باب ما قيل في الرماح: عن ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٨٣١) وتخريج مشكلة الفقر (٢٤).

(٢) هذا اللفظ لا أصل له كما قال الألباني: في شرح العقيدة الطحاوية (١/١٧٢)، ولكن الحديث جاء في البخاري (٣٢١٥) ومسلم (٢٣٧٧) ابن عباس رضي الله عنهما والبخاري (٣٢٣٤) ومسلم (٢٣٧٦) عن أبي هريرة بلفظ: (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) وجاء بلفظ (ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى) وجاء أيضاً بلفظ (من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب) وجاء بألفاظ أخرى وفي بعض ألفاظ الحديث أن النبي ﷺ يرويه عن ربه كما عند البخاري (٧١٠١) عن ابن عباس، ومسلم (٣٢٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عن الجميع.

وقد تكالب عليه البلاء وكان بمفرده وجمعوا الأخطاب وأشعلوا النيران أرادوا أن يحرقوا معدن التوحيد والإخلاص لكن الله ﷻ أبى كل الإباء أن يحرق إبراهيم فقال ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء ٦٩] فالله ﷻ رفع من شأن خليله لماذا ؟ لأن إبراهيم حفظ الله ومن الذي حفظ محمد ﷺ ليلة الهجرة ؟ يوم أن هاجر من مكة إلى المدينة وكانت قريش قد جعلت جائزة كبرى لمن يأتي برسول الله ﷺ حياً أو ميتاً وقبل هذا أرسلوا إليه أربعين شاباً كل واحد بيده السيف ليضربوه ضربة رجل واحد حتى يتفرق دمه بين القبائل فلا يستطيع بنو هاشم مناجزة القبائل كلها^(١) من الذي حفظه ؟ الله ﷻ فهو الذي يحفظ عبده ولكن أنت مطالب أولاً بالحفظ لله فإن قدمت حفظاً لله استلمت هذا الحفظ وإذا كنت أنت مفرط فكيف يكون ذلك الحفظ والسداد فابداً أولاً بنفسك إحفظ حدود الله وأمر الله ﷻ ثم بعد ذلك يكون الجزاء من جنس العمل فيقول نبينا ﷺ لابن عباس والخطاب للأمة: «إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك» بمعنى أمامك إن حفظته ودعوته استجاب وتأمل قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة حديث ابن عمر مرفوعاً في الصحيحين لما كان لهم صحيح عمل قال الأول: «اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أعقب قبلهما أهلاً ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أرخ عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أعقب قبلهما أهلاً أو مالا فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عني ما نحن فيه من هذه الصخرة؟ فانفرجت شيئاً لا

(١) أنظر البداية والنهاية (٣١٧٦) وتاريخ الطبري (١/ ٥٦٧) وغيرها من كتب السيرة النبوية: كسيرة ابن

هشام، والرحيق المختوم، ومختصر سيرة الرسول ﷺ وغيرها.

يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ؛ وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فَاُمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُحَلِّيَ بَنِيَّ وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَقْضِيَ الْخَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرَجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ؛ وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَذْنِي أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاَفَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرَجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ» (١) فتأمل لما كانوا حافظين لحدود الله كان الله أمامهم مثل ما كان لأوليائه مثل ما كان ليوסף عندما قال: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف ٢٣] وأبت عليه المرأة وأبى على نفسه أن يتلطح بشؤم المعصية وبعد ذلك صار عزيزاً على أهل مصر ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ [يوسف ٥٥] وفي نهاية المطاف يقول: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف ٩٠].

ثم يقول النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ» لا تسأل عباده فالعباد فقراء ولكن

(١) متفق عليه: وقد سبق قريباً.

اسأل ربك الغني ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر ١٥]
ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ» ^(١) ويقول ﷺ: «وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ» ^(٢) يعني هذه الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة فالله ﷻ يعطيها من يريد من يحب ومن لا يحب فما بالك عباده المؤمنون إن طلبوا منه شيئاً من هذه الدنيا التي كان السلف الصالح يترفعون أن يسألوا الله إياها لكن إن احتجت إلى سؤال فاسأل من ربك لأن الله ﷻ يغضب إذا تركت سؤاله قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة ١٨٦] وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر ٦٠] والله در من قال:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب
لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب

فاسأل من ربك ﷻ ففي بعض الأحاديث يقول النبي ﷺ: «لَيْسَ أَلْحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتُهُ كُلُّهَا حَتَّى يَسْأَلَهُ شَيْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ» ^(٣) عرفتم شمع النعل الشراك

(١) رواه مسلم وسيأتي برقم (٢٤) من الأربعين النووية إنشاء الله.

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٨) وأحمد (١٨٠٣٧) والترمذي (٢٣٢٣) وابن ماجه (٤١٠٨) عن المستورد بن شداد رضي الله عنه.

(٣) ضعيف: رواه الترمذي (٣٦٠٧) / طبعة الدعاس، ولم يرد الحديث في طبعة بولاق من سنن الترمذي، وهو في آخر كتاب الدعوات / أنظر: الضعيفة (٣/ ٥٣٨).

الذي يكون على النعال.

وقال بعضهم: سله الملح والبصل. ممن تسأل؟ من الله «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعُمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ» (١) من منا إذا أراد بدلة قال: اللهم اكسني إذا أراد طعامًا يقول: اللهم أشبعني وأطعمني.

قال: «وإذا استعنت فاستعن بالله» إذا طلبت العون فلا تطلبه إلا من الله ﷻ هو الذي يعينك على أمور الدنيا والآخرة وقد كان ﷺ يكثر من قول: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ» (٢) بل كان يقول لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقول: إذا أصبحت وإذا أمست: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلَا إِلَيَّ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» (٣) ثم يضرب النبي ﷺ مثلاً عامًّا ليعيه ابن عباس والأمة كلها فيقول: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت» أمة

ورواه ابن حبان (٨٦٦) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد كان حسنه الألباني: في المشكاة (٢٢٥١) ثم تراجع عن ذلك في الضعيفة (٥٣٧/٣) رقم (١٣٦٢) حيث قال: وقد كنت حسنت الحديث فيما علقت عليه «المشكاة» رقم (٢٢٥١ - ٢٢٥٢) وكانت تعليقات سريعة لضيق الوقت، فلم يتح لي يومئذ مثل هذا التوسع في التتبع والتخريج الذي يعين على التحقيق والكشف عن أخطاء الرواة، وأقوال الأئمة فيهم وفي أحاديثهم المنكرة منها. والله تعالى هو المسؤول أن يغفر لي خطيئتي وعمدي، وكل ذلك عندي!

(١) في مسلم: وسيأتي برقم (٢٤) من الأربعين النووية.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٥٢٤) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه الحاكم (١٨٧٥) والبيهقي في الشعب (١٠٢٣١) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٤٧٧٧، ٤٧٩١).

(٣) حسن: رواه النسائي في الكبرى (١٠٤٠٥) والحاكم (٢٠٠٠) والبيهقي في الشعب (٧٦٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٥٨٢٠) وانظر الصحيحة (٢٢٧).

الدعوة وأمة الإجابة من بداية الكرة الأرضية إلى نهايتها «على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه لك» بمعنى أن الناس لا يقدمون ولا يؤخرون ولا يمكن أن يوجبوا لك نفعاً أو يدفعوا عنك ضرراً ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة ٥١] هذا كلام نحن نقوله لكن يجب أن يكون عقيدة راسخة في قلوبنا أمر كتبه الله إذا مفروغ منه ستناله إما بشفاعتك أو بشفاعة غيرك أو بشفاعة الأمة كلها قال: «وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» إذن استريح واطمئن كن عبداً مطمئناً لأن الأمر مفروغ منه وحياتك أنفاسك آجالك أمر مفروغ منه قال النبي ﷺ كما في مسند أحمد من حديث أبي الدرداء: «إن الله فرغ إلى كل عبد من خمس من أجله ورزقه وأثره وشقي أو سعيد»^(١) وحديث ابن مسعود المعروف الذي في الصحيحين قال ﷺ: «ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابة أربع كلمات بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد»^(٢).

ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَطْلُبُهُ رِزْقُهُ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ»^(٣) ويقول ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفْثٌ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِئْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٤) كن مطمئناً أقدار خلاص قضى الله ﷻ إرتح

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) في الصحيحين: وقد سبق برقم (٤)

(٣) صحيح لغيره: رواه ابن حبان (٣٢٣٨) والطبراني في الكبير (٢٧٣٧) والبيهقي في الشعب (١١٩١)

وأبو نعيم في الحلية (١٦/٨٦) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنظر: صحيح الترغيب (١٧٠٣)

(٤) صحيح: رواه الحاكم (٢١٣٦) والطبراني في الكبير (٧٦٩٤) ومصنف عبد الرزاق (٢٠١٠٠)

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

تبقى تفكر وتوسوس وكأن أهل القرية كلهم مربوطين إلى ظهرك ليش تتعب نفسك ولا تشبع نفسك همومًا وغمومًا وحسرات ما كتبه الله لك لا بد أن يصلك ولكن لا بد أن يكون الفهم صحيحًا لا يكون الفهم سقيمًا

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأفتنه من الفهم السقيم

لا تكن الأفهام منكوسة كأفهام الصوفية أفهام الصوفية الذي إن قيل له: كل قال: لا حتى يأتي الطعام إلى معدتي هذا أشبه ما يكون بتصرفات المجانين فالله ﷻ قدر أقدار وجعل لهذه الأقدار مسببات فالولد لا يأتي إلا بالزوجة والرزق لا يأتي إلا بالسعي والعمل هذا الشامخ (كأن الشيخ يعني المسجد) لا يأتي إلا بجهد وتفكير وحركات وهذا الكلام الذي ينطلق الآن من فمي لا يأتي من فراغ لا بد له من تجميع وتركيز وانتباه وهكذا ما من شيء إلا وأنت مطالب أن تأخذ بأسبابه خذ بالسبب الشرعي فالله ﷻ قضى أن يصل إليك كل ما قضاه بأسباب شرعية إياك أن تأخذ أسباب محرمة فإن هذه الأسباب وإن نلت بها شيئاً من حظوظ الدنيا لكنها أوزار وآفات وظلمات في قلبك وفي وجهك وفي قبرك وعقاب بين يدي الله ﷻ فخذ بالأسباب اليسيرة قد كان النبي ﷺ بلغ به الحد من إيمانه بالله سبحانه أن يقول للرجل وقد استطلقت بطنه: «اسْقِهِ عَسَلًا» فيقول: ما زاد إلا استطلاقاً قال: «صَدَقَ

والبيهقي في الشعب (١١٨٥) وأبو نعيم في الحلية (٢٧/١٠) وغيرهم وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٠٨٥) وصحيح الترغيب (١٧٠٠) والصحيحة (٢٨٦٦) والظلال (٤٢٠). والحديث جاء عن ابن مسعود وأبي أمامة وجابر وحذيفة رضي الله عنهم. وجاء عن غيرهم.

الله، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ» (١).

لأن الله سبحانه امتدح العسل بأنه شفاء للناس كما قال سبحانه وهو يخاطب النحل ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل ٦٩]. وهكذا كان النبي ﷺ يقرأ الآية وهو في مكة: ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾ بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمُ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿[القمر ٤٥-٤٦] يقرأ الآية في مكة وما تحققت إلا في المدينة.

وقال لسراقة وهو خارج هارب من مكة مطرود وهذا نصر كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا تَصُروُ لَهُ فُتْرًا فَعُذْرًا أَلَمْ يَعْلَم بِمِصْرَ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ أَبْحَرُوا وَمَا كَانَ كِذِّبًا﴾ [النحل ١٢٥].
لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّهَ مَعَتًّا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة ٤٠] فيلحقه سراقة بالحصان وعنده من الطعام ورسول الله ما عنده شيء كان يحلب بعض الأغنام في الطريق ويشرب هو وأبو بكر الصديق ويقول لسراقة: «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى» (٢).

بلغ إيمانه إلى هذا الحد وإلى هذا المستوى وهذه نظرة تفاؤل ليست تشاؤم ويحاول أن يدخل الخير على قلبه وعلى نفسه وعلى الناس ويقول النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لَيُيَمِّنَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (٣).

(١) البخاري (٥٣٦٠، ٥٣٨٦) ومسلم (٢٢١٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أنظر: سنن البيهقي الكبرى (١٢٨١٢) والبداية والنهاية (١٩٤/٦) والشفاء (٢٤٩/١) وغيرها من كتب السير..

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٣، ٦٤٣٠) وأحمد (٢٠١٦١، ٢٥٩٥٩) وأبو داود (٢٢٧٨) والنسائي في الكبرى

ثم يقول ﷺ: «رفعت الأقلام وجفت الصحف» أنهت الكتابة ما في مجادلة ولا مناظرة انتهى الإشكال قال النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»^(١).

وحديث عبادة بن الصامت في سنن أبي داود قال: «إن أول ما خلق الله القلم قال: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة»^(٢) كتبت الأقدار.

وكل شيء بالقضاء والقدر وكل مقدور فما منه مفر

قال: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح الحديث صحيح في الترمذي وأيضا أصله في مسند الإمام أحمد وقد صححه شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وقبل ذلك الشيخ الألباني رحمه الله عليه قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء» وقت ما يكون عندك انبساط والخير متوفر بين يديك إحمد الله على هذه النعمة واذكر ربك سبحانه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم ٧] وقت الرخاء تعرف إلى الله ﷻ يعرفك في الشدة وقت الشدة لما ينزل بك شيء الله يعرفك في هذه اللحظات.

قال: «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك» لا يمكن «وما أصابك لم يكن ليخطئك».

=
(٥٨٩٣) عن خباب بن الارت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) عند مسلم: وقد سبق.

(٢) صحيح: وقد سبق.

جاء في مسند أحمد يقول النبي ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطئهَ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِهِ»^(١) يعني لو أن شخصاً كان في بيته نزل إلى السوق فحصل له حادث فيقول في نفسه: والله لو ما نزلت كان ما حصل لي هذا، هذا اعتراض هذا الكلام يجب أن يكون غير وارد فالله ﷻ قدر لا بد أن تنفذ أقداره

ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

وحديث أبي عزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي قال النبي ﷺ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً»^(٢) فلنكن مؤمنين بالقضاء والقدر من غير رد ولا اعتراض وإنما إيمان صحيح بالقضاء والقدر.

«واعلم أن النصر مع الصبر» ينصرك الله ﷻ على قدر صبرك ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿سورة العصر ١-٣﴾.

وفي الحديث: «الصبر ضياء»^(٣) والصبر حبس النفس على ما تكره وهو شاق على النفوس «وأن مع العسر يسراً» فكلما اشتد عليك الإحسان كان اليسر حليف ذلك والله ﷻ يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿الشرح ٥-٦﴾.

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٧٥٣٠) والبيهقي في الشعب (٢١٥) والطبراني في مسند الشاميين (٢٢١٤) والشهاب القضاعي في مسنده (٨٩٠) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢١٥٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٢٠٣٥) والترمذي (٢١٤٦) والحاكم (١٢٥) عن مطر بن عكاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه الترمذي (٢١٤٧) عن أبي عزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٣٥).

(٣) هذا جزء من حديث رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسيأتي برقم (٢٣) من الأربعين.

جاء في بعض الروايات: «وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ»^(١).

لكن الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ لكن ظاهر القرآن يقتضيه إن كل عسر يقابله يسر إن العسر عرف فكان واحداً.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿[الشرح ٥-٦].

فهذه اللام العهدية تكررت واليسر تكرر وهو نكرة فدل على أنهما اثنان.

هذا خلاصة الحديث المبارك الذي نصح به النبي ﷺ هذه الأمة المباركة لينالها من الخير والسؤدد والشرف والسعادة في الدارين.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



(١) ضعيف: رواه الحاكم (٣٩٥٠) والبيهقي في الشعب (١٠٠١٣) عن الحسن مرسلاً، وضعفه الألباني: ضعيف الجامع (٤٧٨٤) والضعيفة (٤٣٤٢)، وقد جاء عن عمر موقوفاً عند مراسلته لأبي عبيدة حينما حصر بالشام روى ذلك: مالك في الموطأ (٩٦١) والحاكم (٣١٧٦) والبيهقي في الشعب (١٠٠١٠) وهو في لبخاري (١٨٩٢/٤): كتاب التفسير: (سورة الشرح) عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

[٢٠]

{ الحياء من الإيمان }

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البصري ^(١) رَوَى اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَأَصْنَعْ مَا شِئْتَ» رواه البخاري ^(٢).

أبو مسعود صحابي جليل ونسب بهذه النسبة البصري لأنه سكن بالقرب من موقعة بدر وليس ذلك لقباً أو علامة لمن حضر غزوة بدر التي وقعت في العام الثاني من هجرة المصطفى ﷺ فلو كان كذلك للزم أن نقول في كل من حضر بدر أنه بصري

(١) أبو مسعود عقبة بن عمرو البصري

هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري أبو مسعود البصري مشهور بكنيته. اتفقوا على أنه شهد العقبة واختلفوا في شهوده بدراً فقال الأكثر نزلها فنسب إليها وجزم البخاري بأنه شهدها واستدل بأحاديث أخرجه في صحيحه في بعضها التصريح بأنه شهدها. وفي هذا نظر.. قال ابن سعد عن الواقدي ليس بين أصحابنا اختلاف في أنه لم يشهدا وقيل إنه نزل ماء بدر فنسب إليه وشهد أحدا وما بعدها ونزل الكوفة وكان من أصحاب علي واستخلف مرة على الكوفة. قال خليفة مات قبل سنة أربعين وقال المدائني مات سنة أربعين قلت (ابن حجر) والصحيح أنه مات بعدها فقد ثبت أنه أدرك إمارة المغيرة على الكوفة وذلك بعد سنة أربعين قطعاً قيل مات بالكوفة وقيل مات بالمدينة.

أنظر: الإصابة (٤/٥٢٤) رقم (٥٦١٠) وتهذيب التهذيب (٧/٢٢٠) رقم (٤٤٧) وتأريخ بغداد (١٥٧/١) رقم (٩).

(٢) البخاري (٣٢٩٦، ٥٧٦٩) وأحمد (١٧١٣١، ومواضع) وأبو داود (٤٧٩٧) وابن ماجه (٤١٨٣).

فأبو بكر البدرى وعمر البدرى وعثمان البدرى.... إلخ لقال عليه الصلاة والسلام أنه يقال لهم: أهل بدر ولكن هذه النسبة لم تكن لحضوره وإنما باعتبار سكنه وقربه من الموضع الذي تم فيه غزوة بدر الأولى والكبرى.

يروى هذا الصحابي الجليل عن رسول الله ﷺ قوله: «إن مما أدرك» أي من ما فتكون من هذه تبعية تفيد التبعية «أدرك الناس» المراد بالناس من أمة محمد ﷺ «من كلام النبوة الأولى» المراد بالنبوة الأولى أوائل الرسل كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وبقية الأنبياء الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤]. والذين عناهم الله بقوله ﷺ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى ١٣] فأولئك الأنبياء والرسل جاء في بعض الأحاديث «أنهم مائة وأربعة وعشرين نبياً رسولاً»^(١) كما قال سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا..﴾ [المائدة ٤٨] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿سورة الأعلى ١٨ - ١٩﴾ فهناك شرائع وحكم في التوراة وفي الإنجيل لأن الله أنزل هذه الكتب من عنده فيها تشريعات لكن شريعة محمد ﷺ أتت ناسخة لجميع الأديان السماوية فكانت هي الرسالة الأخيرة والرسالة العالمية التي يرفض الله سبحانه كل شريعة سواها بعد بعثة النبي ﷺ كما قال عز من قائل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران ٨٥].

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢٣٤٢) والطبراني في الكبير (٧٨٧١) وأبو نعيم في الحلية (١٦٧/١) وابن حبان (٣٦١) الحديث عن أبي أمامة وأبي ذر رضي الله عنهما، وصححه الألباني: في المشكاة (٥٧٣٧).

فنبينا ﷺ يلفت انتباهنا أنه مما أثير عن من كان قبلنا من الهداية من الخير من الخصال الحميدة «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» والله ﷻ يقول ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَتَدَّةُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام ٩٠] هذا من الهداية الذي كان لمن كان قبلنا وهو أمر طيب والأنبياء بعثهم الله بتشريعات فهذا منها فتأمل مثلاً فيما كان من سيدنا إبراهيم وما كان عنده من الخلق وهكذا ما كان عليه سيدنا نوح ﷺ من المثابرة والمجاهدة في ذات الله وما كان عند موسى من الجدية والنشاط وما كان عنده من الحياء وما كان عند عيسى من الصبر والجلد هذه يستفيد منها الناس من أمة محمد ﷺ وإن كانت في غير نبيهم إذ أن أولئك الأنبياء سائرون على ما عليه نبينا فنبينا قد جعلهم قدوة له في باب الخير إذ أن منهم آبائه وإخوانه فيقول: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» أي أوائل الرسل «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

العلماء في هذا الحديث على قسمين:

فبعضهم من يقول: هذا للأمر وبعضهم يقول: هذا ليس للأمر وإنما هو للتهديد كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُلْقِي فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت ٤٠] هل معنى ذلك أنه للإباحة للأمر لا وإنما المقام مقام تهديد مثل قول الرجل لابنه وقت غضبه: اعمل ما شئت لكن إذا جئت إلى البيت أنا أعاقبك وأحاسبك على ما فعلته هذان قولان لأهل العلم ثم يعلق ذلك النبي ﷺ بالحياء

والحياء لغة: تغير وانكسار يلحق الإنسان من خوف، وما يعاب به. هذا من حيث اللغة العربية.

وفي الشرع: خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

وهناك أحاديث كثيرة جداً في هذا الباب منها حديث ابن عمر في البخاري ومسلم: مر النبي ﷺ برجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال ﷺ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

وجاء عند البيهقي من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرْنَاءُ جَمِيعًا فَإِذَا رَفَعَ أَحَدُهُمَا رَفَعَ الْآخَرَ»^(٢) ويقول النبي ﷺ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»^(٣). وفي البخاري ومسلم من حديث ابن عمر قال النبي ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٤).

وحديث ابن مسعود في مسند أحمد قال النبي ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» قالوا: إنا لنستحي يا رسول الله قال: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ الْحَيَاءِ مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَاءَ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»^(٥).

(١) البخاري (٢٤، ٥٧٦٧) ومسلم (٣٦).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٥٨) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في الشعب (٧٧٢٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٦٠٣، ٣٢٠٠) وصحيح الترغيب (٢٦٣٦).

(٣) رواه مسلم (٣٧) وللبخاري (٥٧٦٦) ومسلم (٣٧) (الحياء لا يأتي إلا بخير) عن عمران بن حصين.

(٤) هو حديث الأنصاري السابق الذي كان يعظ أخاه في الحياء.

(٥) حسن: رواه أحمد (٣٦٧١) والترمذي (٢٤٥٨) والحاكم (٧٩١٥) والبيهقي في الشعب (٧٧٣٠) =

والحياء ممدوح كله من أي وجه ولكن لا يمنع هذا الحياء من قول الحق أو من السؤال عن الدين فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار ما كان يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» (١).

وفي الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال النبي ﷺ: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ» فغطت أم سلمة وجهها وضحكت وقالت: أتحتلم المرأة؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَبِمَ يُشْبِهُ الْوَلَدُ» ولمسلم: فقالت أم سلمة: «فضحت النساء» (٢).

ويقول مجاهد بن جبر رضي الله عنه: «لا يتعلم العلم مستحي ومستكبر» (٣).

وهكذا من رأى حدود الله تنتهك لا ينبغي أن يكون خجولاً فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس بل يجب عليه أن ينطق فقد كان الأنبياء كلهم فيهم هذه الخصلة الكريمة وأعظم من ذلك نبينا ﷺ فقد جاء في وصفه «أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها - أي البكر التي كانت حتى قبل الإسلام يضرب لها خباء في طرف المنزل حتى لا تختلط بالرجال فهي لا زالت بكرًا - وكان إذا كره شيئاً عرفنا ذلك في وجهه» (٤).

=

وأنظر: صحيح الجامع (٩٣٥) وصحيح الترغيب (١٧٢٤).

(١) البخاري معلقاً: في كتاب العلم: باب الحياء في العلم، ووصله مسلم (٣٣٢) ورواه أحمد (٢٥١٨٨) وأبو داود (٣١٦) وابن ماجه (٦٤٢) رحم الله الجميع.

(٢) البخاري (١٣٠، ٢٧٨، ٣١٥٠، ٥٧٤٠، ٥٧٧٠) ومسلم (٣١٣) وغيرهما.

(٣) صحيح عنه: وقد تقدم.

(٤) روى ذلك البخاري (٣٣٦٩، ٥٧٥١، ٥٧٦٨) ومسلم (٢٣٢٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومن حرم هذه الخصلة فقد حرم الخير:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وهكذا من أحاديث الحياء حديث أبي هريرة في الصحيحين: «والحياء شعبة من الإيمان»^(١).

ولله در القائل:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه امرئ قل ماؤه

فما أحوج المسلم والمستلمة إلى هذا الخلق الرفيع والعلماء يقسمون الحياء إلى قسمين:

حياء من الله، وحياء من المخلوق فالحياء من الله بمعنى المراقبة يستحي من الله.

وإذا خلوت بريئة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

وكان حاتم الأصم^(٢) يقول لما سأله: على ماذا بنيت أمرك في التوكل؟ فيقول: على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي وعلمت أن

(١) في الصحيحين: وقد تقدم.

(٢) حاتم الأصم: حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن، المعروف بالأصم: زاهد، اشتهر بالورع والتقشف. له كلام مدون في الزهد والحكم. من أهل بلخ. زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل. وشهد بعض معارك الفتوح.

مات بواسجرد (٢٣٧هـ)، وكان يقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة.

أنظر: تأريخ بغداد (٨/ ٢٤١) وسير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٤ / ترجمة ١٢٨) وتأريخ الإسلام: أحداث سنة (٢٣٨).

عملي لا يقوم به غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستح منه (١).

وقال بعض الحكماء لأحدهم يوصيه: «احذر أن يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك» (٢).

كن على خجل وحياء من المولى ﷺ، وحياء من المخلوق فيما يخدم مروتك فيما تنزل به سمعتك فإن بعض الصالحين خرج من بيته يريدون الصلاة والناس قد خرجوا من الصلاة فرجع ودخل إلى قرية فقالوا له: يا شيخ لماذا دخلت تخاف من الناس؟ فقال: لا وإنما من لا يستحي من الخلق لا يستحي من الخالق.

وحقيقة هذا الأمر ليس ادعاء أما أن يكون الله قد من على العبد به وهذا ما يسمى عند علماء الآداب بالجبلي كما في حديث الأشج بن عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ» (٣).

وجاء في بعض الروايات: «الحلم والحياء» (٤) قال: أجبلني الله عليهما أم خلق تخلق به؟ قال: «بل جبلك الله عليهما» قال: الحمد لله الذي جبلي على

(١) تأريخ الإسلام: أحداث سنة (٢٣٨).

(٢) فيض القدير (٥٥٢/٤) رقم (٦٢٤٠) وعزاه إلى الفردوس عن أنس رضي الله عنه. ومثله ما أخرجه الدارمي في سننه (٦٤٧) وفيه قال: سليمان بن عبد الملك لأبي حازم رضي الله عنه أوصني. قال سأوصيك وأوجز: عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك وهو في الحلية (٣٥٨/٧) عن داود الطائفي رحمه الله تعالى.

(٣) رواه مسلم (١٧، ١٨). عن ابن عباس وأبي سعيد رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٧٨٦٢) وابن ماجه (٤١٨٨) والبخاري في الأدب (٥٨٤) وصححه الألباني: في الظلال (١٩٠).

خلتين يحبهما الله ورسوله (١).

وهذا الرجل قصته أنه لما جاءوا وافدين إلى النبي ﷺ ذهب أصحابه كلهم إلى رسول الله سراعاً وهو تأخر عند الحيوانات يصلحها مثل ما يتأخر الشخص عند السيارة يتفادها ويؤمنها ويضع لها مركى من أن يحصل لها سوء فجاء متأخراً فأخبره النبي ﷺ بما كان. وإما أن يكون هذا الحياء مكتسباً تكتسبه أنت كيف من خلال نظرتك للآيات والأحاديث التي فيها مدح للحياء ومدح هذه الخصلة الشريفة وترسم فيها هدي النبي ﷺ فإنه بعث بمكارم الأخلاق ومنها الحياء فالحياء خير كله فمن لم يكن كذلك فليدع الله أن يجعله ذا حياء.

وتأمل إذا أخطأ بعض الناس يقال له: استح يا رجل من الناس أنت ما تخجل أنت ما تستحي دليل على أن الحياء محمود كله ومن الفوائد في هذا الحديث «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

الرد على الجبرية وهي طائفة من الجهمية فالجبرية والجهمية والمرجئة هي مسمى واحد وهو الجهمية ثم بعد ذلك توسعت البدع في هذه الطائفة المنحرفة كيف ذلك؟

من أين لنا أن في الحديث ردا على الجبرية؟ اسمع الجبرية يقولون: إن العبد مجبور على كل شيء فكأنه ينفذ أوامر إن سرق نفذ أمر الله أمره وهكذا... إلخ هذا على مذهب الجبرية فهم يقولون الإنسان كالريشة في مهب الريح يميلها الريح يمنة ويسرة لا اعتراض مثل الميت بين يدي المغسلين يقيمونه يعصرون بطنه يأخذوه

(١) صحيح: رواه أحمد (١٧٨٦٢) وأبو داود (٥٢٢٥) وصححه الألباني: في الظلال (١٩٠).

يحملوه.... إلخ لا يعترض.

فالحديث هذا فيه رد على الجبرية إذ أن النبي ﷺ علق ذلك بمشيئة العبد قال:

«إذا لم تستح» بمعنى إذا كنت تستحي فلا تصنع هذا الشيء الذي يشينك ويهينك «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» مفهوم المخالفة إذا كنت تستحي فابق على نفسك واحفظ ماء وجهك.

قال بعض الصالحين: نظرت إلى الذنوب والمعاصي فرأيت منها قبحاً وخسةً وذلّةً فتركتها حياءً ومروءةً ثم صارت ديانةً، واشتهر بالحياء من أصحاب النبي ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد كانت الملائكة تستحي منه لشدة حيائه ^(١).
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



(١) روى ذلك مسلم (٢٤٠١) وأحمد (٥١٤)، ومواضع) عن عائشة رضي الله عنها.

[٢١]

{ الإيمان والإستقامة }

عن أبي عمرو وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله الثقفي ^(١) رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقَمْتُ» رواه مسلم ^(٢).

راوية الحديث سفيان بن عبد الله الطائفي نسبة إلى بلاد الطائف وكان عاملها لعمر بن الخطاب ويكفيه شرفاً أنه من الصحابة الكرام هذا الرجل حريص على الخير يأتي إلى النبي ﷺ فيقول: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، يريد كلاماً موجزاً حاله كحال ذلك الصحابي الذي قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بأمر أقوم به قال: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» ^(٣)

^(١) سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث. ويقال سفيان بن عبد الله بن حطيظ الثقفي أبو عمرو ويقال أبو عمرة الطائفي له صحبة وكان عاملاً لعمر بن الخطاب على أهل الطائف روى عن النبي ﷺ وعن عمر وعنه ابناؤه عاصم وعبد الله وعلقمة وعمرو وأبو الحكم وابن ابنه وغيرهم. أسلم مع الوفد وسأل النبي ﷺ عن أمر يعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم.

الإصابة (٣/ ١٢٤) رقم (٣٣١٧) وتهذيب الكمال (١١/ ١٦٩) رقم (٢٤٠٨) وتهذيب التهذيب (٤/ ١٠٢) رقم (٢٠٠).

^(٢) رواه مسلم (٣٨) وأحمد (١٥٤٥٤) ومواضع) والترمذي (٢٤١٠) والنسائي في الكبرى (١١٤٨٩)

وابن ماجه (٣٩٧٢) وغيرهم.

^(٣) صحيح: وقد سبق تخريجه.

والصحابي الذي قال: أوصني قال: «لا تغضب» فردد مرارًا فقال: «لا تغضب»^(١).

فهذا الصحابي الجليل يريد من الرسول ﷺ قولاً فصلاً بعبارة موجزة ورسول الله ﷺ أوتي خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبله قال: «أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَاخْتَصِرَ لِيَ الْكَلَامُ اخْتِصَارًا»^(٢) يتكلم بكلمة سيرة لكن معانيها غزيرة الكلمة سهلة صغيرة لكن لفظ صغير ومعنى كبير يقول: قل لي في الإسلام، أي في الشريعة الإسلامية قولاً حدده ويلزم أن لا يسأل ويفهم أنه قد وطن نفسه على العمل بهذا الذي قد سأل عنه إذا أنت يا رسول الله قلت لي بهذا القول فأنا مستعد أن أطبقه ما دمت حيًّا فيقول له نبينا ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم» الإيمان مشتق من الأمن ومن الأمان وهو بمعنى التصديق أو الإقرار القلبي^(٣) وأيضًا هو عند أهل السنة: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان لكن في هذه اللفظة «قل: آمنت بالله» يشمل أمرين اثنين: إقرار القلب وقول اللسان إقرار القلب بالله ووجوده ووحدانيته بألوهيته بأسمائه وصفاته وقول اللسان لا إله إلا الله هذا قول اللسان فيقول له: «قل آمنت بالله» الإيمان الذي ينجو به العبد من عذاب الله يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

(١) في البخاري وقد سبق برقم (١٦) من الأربعين النووية.

(٢) ضعيف: أخرجه عبد الرزاق (١٠١٦٣) والبيهقي في الشعب (١٤٣٦) والدارقطني (٨) عن عمر بن

الخطاب رضي الله عنه وضعفه الألباني: ضعيف الجامع (٩٤٩) والضعيفة (٢٨٦٤).

تنبيه: وقوله (وأعطيت جوامع الكلم) رواه البخاري ومسلم وقد مضى تخريجه.

(٣) الإيمان لغة: هو الإقرار بالشئ عن تصديق به.

الفقرة الثانية: «ثم استقم» مأخوذ من الاستقامة وضدها الإعوجاج وهي بمعنى لزوم طاعة الله الملازمة والمثابرة والمجاهدة قال الزهري: تلا عمر ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف ١٣] فقال: «استقاموا - والله - لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعلب»^(١) وأعظم شيء في الاستقامة استقامة القلب على أمر الله ورسوله ﷺ «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢) فالخراب يبدأ من القلب:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد ١١] شخص أسبغ الله عليه النعم لكنه ما شكرها وما أدى حقها بل بدأ - والعياذ بالله - يحمل نوايا غير هذه فهنا يكون التغير فالله لا يتبدى أحداً ولكن العبد هو الذي يجني على نفسه: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١١٧] وقال سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف ٧٦] العبد هو الذي يبدأ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم ٧] وليعرض كل واحد منا نفسه على هذه الاستقامة تأمل هل قلبك مستقيم ثم ستأتي الفقرات التي لا بد أن يكون العبد مستقيماً فيها لله قال سبحانه: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود ١١٢].

أولاً: استقامة القلب.

ثانياً: استقامة الجوارح اللسان بحيث يكون لسان صدق ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

(١) أنظر: تفسير الطبري (١١/ ١٠٦) وتفسير ابن كثير (٤/ ١٢٥) وفتح القدير (٤/ ٧٣٥) عند الآية (٣٠)

من سورة فصلت.

(٢) سبق تخريجه برقم (٦) من الأربعين النووية.

إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿مريم ٥٤﴾ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة ١١٩] وقال النبي ﷺ: «الْصَّدَقُ طُمَأْنِينَةٌ» (١) يكون لسانك مستقيماً على أمر الله ويقول النبي ﷺ: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» (٢) بعد ذلك استقامة العينين غض البصر إلا من حلال قال الله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَغَضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى﴾ أي أطهر وأنفع وأحسن وأفضل ﴿لَهُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ خَيْرٌ يَمَاصْنَعُونَ﴾ [النور ٣٠] استقامة الأذنين فكما أن العبد محاسب على البصر فكذلك على السمع كما قيل:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً

والنبي ﷺ يقول: «كتب» بمعنى فرض «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر والأذان زناهما الإستماع واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه» (٣). استقامة اليدين لا تكتب حراماً ولا تسرف ولا تؤذي الناس بأفعالك. استقامة القدمين استقامة الفرج قال النبي ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» (٤).

والاستقامة لها فضل عظيم المستقيم على أمر الله ييشر بالخير في الدنيا وفي الآخرة وكلمة مستقيم أولى من كلمة ملتزم لأنه لفظ قرآني لفظ نبوي ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

(١) صحيح: وهو حديث الحسن وقد سبق برقم (١١) من الأربعين النووية.

(٢) صحيح: وسيأتي برقم (٢٩) من الأربعين النووية.

(٣) في الصحيحين: وقد سبق تخريجه.

(٤) البخاري (٦١٠٩، ٦٤٢٢) وأحمد (٢٢٨٧٤) والترمذي (٢٤٠٨) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ [الأحقاف ١٣] لا خوف في الدنيا ولا في الآخرة ومن فضائلها قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَالْبُشْرَىٰ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت ٣٠].

قال زيد بن أسلم^(١): ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ مما تقدمون عليه من أمر الآخرة. ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل، ومال أو دين، فإننا نخلفكم فيه^(٢)

ما شاء الله هذا حصل ببركة الاستقامة واستقامة الآباء والأمهات يتعدى إلى الأبناء إذا كان العبد مستقيماً أو ولاده والعكس إلا ما شذَّ.

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت الغناء والرقص

والله ﷻ يقول: ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوَّكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء ٩] فإذا اتقوا الله الآباء والأبناء وصل النفع للأولاد وقال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء ٢٤].

ربياني على أيش ربوه؟ ربوه على السرقة على قلة الخير لا. تربية شرعية تربية محمد ﷺ.

(١) زيد بن أسلم الإمام الحجة القدوة أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه. وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ له تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، وكان من العلماء العاملين. أرح ابنه وفاته في ذي الحجة سنة (١٣٦ هـ). ظهر لزيد من المسند أكثر من مأتي حديث. أنظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٦ ترجمة: ١٣٥).

(٢) أنظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٥) عند الآية (٣٠) من سورة فصلت.

ومن لا يربيه الرسول ويسقه لباناله قد در من ثدي وحيه
فذاك لقيط ماله شبهة الولاء ولن يتعدى طور أبناء جنسه

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي يدور عليها قطب رحا الإسلام
فينبغي للطالب حفظه ومعرفته راجع شروح العلماء حول هذا الحديث المبارك: «قل
آمنت بالله ثم استقم» ورسول الله حريص ورؤوف فما يأمر إلا بخير ولا يحث إلا
على خير فهذا فيه عز الدنيا والآخرة وسعادتهما وفلاحهما يوم أن تكون عبداً مؤمناً
بالله مستقيماً على أمر الله ﷺ.

إذا الإيمان ضاع فلا حياة ولا دنيا لمن لم يحيي دينه
ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً
والله أعلم.



[٢٢]

{ طريق الجنة }

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنه ^(١) أن رجلاً ^(٢) سأل رسول الله ﷺ فقال: «أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَأَخْلَلْتُ الْحَلَالَ، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ» رواه مسلم ^(٣).

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد أقوال. أحد المكثرين عن النبي ﷺ وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة. وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة. قال غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قال جابر لم أشهد بدرا ولا أحدا من عني أبي فلما قتل لم أتخلف. مات جابر سنة ثمان وسبعين وقال علي بن المديني مات جابر بعد أن عمر فأوصى ألا يصلي عليه الحجاج قلت (ابن حجر) وهذا موافق لقول الهيثم بن عدي إنه مات سنة أربع وسبعين. وفي الطبري وتاريخ البخاري ما يشهد له وهو أن الحجاج شهد جنازته ويقال مات سنة ثلاث وسبعين ويقال إنه عاش أربعاً وتسعين سنة. الإصابة (١/٤٣٥) رقم (١٠٢٨) وتهذيب التهذيب (٤/٤٤٣) رقم (٨٧١).

(٢) الرجل هو النعمان بن قوئل كما جاء مصرحاً به عند مسلم (١٥) وأحمد (١٤٧٨٩) وغيرهما. (٣) رواه مسلم (١٥) وأحمد (١٤٧٨٩) والحاكم (٦٤٩٦) والطبراني في الأوسط (٧٨٦٠) ومسند أبي يعلى (١٩٤٠) والبيهقي في الكبرى (١٩٤٨٩).

فائدة: قال ابن رجب: فهذا الحديث يدل على أن من قام بالواجبات وانتهى عن المحرمات دخل الجنة، وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بهذا المعنى أو قريباً منه. ثم ذكر بعض الأحاديث. أنظر: جامع العلوم (ص/٢٠٧).

قال: ومعنى حرمت الحرام أي اجتنبته ومعنى أحللت الحلال أي فعلته معتقدا حله.

أما جابر بن عبد الله فهو جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري قتل أبوه شهيداً يوم أحد وقد حضر مع النبي ﷺ ثمانية عشر غزوة. في الصحيحين عن جابر بن عبد الله ﷺ قال لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي وينهوني عنه والنبي ﷺ لا ينهاني فجعلت عمتي فاطمة تبكي فقال النبي ﷺ «تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنَحَتَيْهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ»^(١) وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مِنْكَسِرًا قلت يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَشْهَد أَبِي قَتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا قَالَ أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَخِيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كَفَاحًا فَقَالَ يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ قَالَ يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً قَالَ الرَّبُّ ﷻ إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ. قال وأنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران ١٦٩]^(٢) فلما قتل أبوه دفن مع أحد الأنصار

=

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: الظاهر أنه أراد بقوله «وحرمت الحرام» أمرين أحدهما: أن يعتقد كونه حراماً والثاني: أن لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فإنه يكفي فيه مجرد اعتقاده حلالاً.

قال صاحب المفهم: لم يذكر النبي ﷺ للسائل في هذا الحديث شيئاً من التطوعات على الجملة وهذا يدل على جواز ترك التطوعات على الجملة لكن من تركها ولم يفعل شيئاً فقد فوت على نفسه ربها عظيماً وثواباً جسيماً ومن داوم على ترك شيء من السنن كان ذلك نقصاً في دينه وقدحاً في عدالته وإن كان تركه تهاوناً ورغبة عنها كان ذلك فسقاً يستحق به ذمّاً.

قال علماؤنا: لو أن أهل بلدة تواطئوا على ترك سنة لقوتلوا عليها حتى يرجعوا.

أنظر: شرح الأربعين لابن دقيق العيد (ص ٥٩).

(١) البخاري (١١٨٧، ١٢٣١، ٢٦٦١، ٣٨٥٢) ومسلم (٢٤٧١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٠١٠) وابن ماجه (١٩٠، ٢٨٠٠) وابن حبان (٧٠٢٢) والحاكم (٤٩١٤)

قال جابر: فلما مضى عليه ستة أشهر لم تطب نفسي أن يبقى مع ذلك الرجل فأخرجت أبي ودفنته في مكان آخر فلم يتغير منه شيء، وهذه من كرامة الله ﷺ للشهداء هذا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله ﷺ ينقل أن رجلا وهذا الرجل صحابي وجهالته لا تضر على أنه قد جاء في بعض الروايات أنه النعمان بن قوقل والحديث في صحيح مسلم وفي مثل هذه الحال لا يهمنا جهالة الصحابي إذ أنهم جميعاً عدول وهذا وصف طردي لا يؤثر سواء كان رجلاً أو امرأة أبيض أسود أيما كان شكله لا يؤثر.

يقول: يا رسول الله أرايت أخبرني إذا صليت المكتوبات يعني الصلوات الخمس كما قال النبي ﷺ لمعاذ «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيَّ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ»^(١) والصلاة ركن وشهر رمضان ركن من أركان الإسلام الخالدة قال نبينا ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت»^(٢) والصيام ركن فرضه الله سبحانه على عباده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٨٣] الآيات إلى أن قال: ﴿...فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

=
وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٩٠٥).

(١) البخاري (١٣٣١، ١٣٨٩، ١٤٢٥، ٢٣١٦، ٤٠٩٠، ٦٩٣٧) ومسلم (١٩) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) في الصحيحين: وقد سبق برقم (٣) من الأربعين النووية.

تَشْكُرُونَ ﴿ [البقرة ١٨٥] أي من جاء رمضان وهو على قيد الحياة وجب عليه الصوم إلا أن يكون معذورًا أن تكون المرأة حائضًا نفساء أو على سفر أو مرض والمرضع والحامل رخص لهما الفطر مع الجزاء والشيخ الكبير والشيخة الهرمة يكفران ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة ١٨٤] وإلا فالأصل أنه واجب **والصيام في اللغة:** بمعنى الإمساك ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم ٢٦] **وشرعًا:** الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بنية التعبد لله. يمسك المسلمون تعبدًا لله سبحانه في هذه الفترة ولا بد من هذه النية تمسك عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تعبدًا لله ﷻ هذا هو الصوم في الشريعة الإسلامية المحمدية ولم يذكر السائل الزكاة فكأنه ليس من ذوي الثراء ولم يذكر الحج فكأن هذا في بداية الإسلام والحج فرض في العام التاسع من الهجرة بخلاف الصيام فإنه فرض في العام الثاني وصام النبي ﷺ تسعة رمضان. فيقول: وأحللت الحلال أي أتيت الحلال معتقدًا حله من طعام وشراب ونكاح وأموال ينفقها حلال أحله الله سبحانه: «إن الحلال بين وإن الحرام بين» (١).

«وحرمت الحرام» أي اعتقدت حرمة. أي شيء محرم علمه تركه لأن يخر من السماء خير له من أن يرتكب هذا الحرام مثل الربا الزنا اللواط أكل الحرام السرقة الرشوة الحسد... إلخ.

قال: ولم أزد على ذلك شيئًا أدخل الجنة قال: «نعم» حرف جواب وجزاء دل هذا على أن من قام بالواجبات وترك المحرمات دخل الجنة إن شاء الله حتى قال

(١) في الصحيحين: وقد سبق برقم (٦) من الأربعين النووية

بعض السلف: لا يغرنك طنطنة الرجل بالصلاة أو بالذكر وإنما المحك ترك الحرام وفعل الحلال، وأبو عبيد القاسم بن سلام قالوا له: ألف لنا كتابا في الزهد قال: قد ألفت كتابا في البيوع واستدلوا بهذا الحديث على أن الوتر ليس بواجب والنوافل كذلك كلها وبين أهل العلم في هذه المسألة خلاف. على أية حال فلم يكن هذا خاص بهذا الصحابي.

ففي الصحيحين من حديث طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَصِيَامُ رَمَضَانَ». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: فَادْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»^(١).

والجنة هي دار النعيم التي أعدها الله ﷻ لعباده الصالحين كما في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُدْنُ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: واقربوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة ١٧]»^(٢) وفي هذا

(١) البخاري (٤٦، ١٧٩٢، ٢٥٣٢، ٦٥٥٦) ومسلم في الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام رقم (١١).

(٢) البخاري (٣٠٧٢، ٤٥٠١، ٤٥٠٢، ٧٠٥٩) ومسلم في أوائل كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

الحديث رد على المرجئة الذين لا يشترطون العمل وإنما يقولون: يكفي اعتقاد القلب وهذا النبي ﷺ يعلق فلاح الرجل إن هو أقام الصلاة وصام رمضان وترك الحرام وفعل الحلال في هذا رد على المرجئة وهي طائفة من طوائف الجهمية الضالة الذين يقولون بعدم اشتراط العمل الصالح في الإيمان ويقولون بالإرجاء والإرجاء معناه التأخير كما قال سبحانه: قَالُوا ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف ١١١] أي أخره ويقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة فيلزم من قولهم هذا أن إبليس من أعبد الناس وفرعون كذلك من أعبد الناس مؤمن. يقولون هو معترف إذا يلزم من مذهب المرجئة أنه ما في كفر ولا نفاق ولا فساد وأن الناس كلهم طائعون وهذا خلاف الحق خلاف ما عليه رسول الله والصحابه وخلاف ما أمر الله به في كتابه الكريم والله المستعان.



[٢٣]

{ كل خير صدقة }

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري ^(١) رَوَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا»
رواه مسلم ^(٢).

(١) أبو مالك الأشعري أسلم وصحب النبي ﷺ وغزا معه وروى عنه. مختلف في اسمه.
قال ابن حجر: ذكر النووي في الأذكار عند ذكر حديث أبي مالك الأشعري (الطهور شرط الإيمان) أن اسمه الحارث بن عاصم وهذا وهم وإنما هو كعب بن عاصم أو الحارث بن الحارث بن عبد الله البجلي.
الإصابة (٢/ ١٩٥) والطبقات الكبرى (٤/ ٣٥٨).

(٢) صحيح: ولكنه منقطع عند مسلم (٢٢٣) وأحمد (٢٢٩٥٣) والترمذي (٣٥١٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٦٨) من طريق أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن أبي مالك الأشعري رَوَى عَنْهُ.

قال النووي: هذا الإسناد مما تكلم فيه الدارقطني وغيره فقالوا سقط فيه رجل بين أبي سلام وأبي مالك والساقط عبد الرحمن بن غنم قالوا والدليل على سقوطه أن معاوية بن سلام رواه عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري. أه أنظر: شرح مسلم (٣/ ٩٩، ١٠٠).

وموصول صحيح: عند النسائي (٢٤٣٧) وابن ماجه (٢٨٠) وأبي عوانة (٦٠١) وابن حبان (٨٤٤) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٩٢٥).

أما أبو مالك الحارث بن عاصم الأشعري هو يماني من وادي رماح وهو صاحب أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل المشهور يسجل لنا هذا الصحابي ما سمعه عن النبي ﷺ قوله: «الطهور شطر الإيمان» والطهور المراد به مصدر الطهارة كما يقال في الوضوء والغسل والسحور ما كان يضم أوله فيراد بذلك فعل الشيء تطهر يتطهر تطهراً فهو متطهر وهذا طهور بخلاف الشيء الذي أعد لذلك الطعام مثلاً يقال: سحور بالفتح على رأي وبعض العلماء يرى أنه لا فرق بين العبارتين.

وقوله ﷺ: «شطر الإيمان» أي نصف ويأتي بمعنى الجهة وحديث النبي ﷺ قاعدة عامة المراد بذلك طهارة القلب وطهارة الجوارح أو كما قال بعض العلماء: الطهارة المعنوية والطهارة الحسية طهارة القلب من الشرك والنفاق وحب البدعة والمعصية والغل والحسد والحقد والأدواء والإيرادات الفاسدة لا بد له من طهارة قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر ١٠].

ويقول النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ فَمِنْهَا: خَشْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ» (١).

ويقول النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (٢). ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ

(١) حسن: الطبراني في الأوسط (٥٤٥٢) والبيهقي في الشعب (٧٤٥) عن أنس رضي الله عنه وهو في الأوسط (٥٧٥٤) عن ابن عمر وعن أبي هريرة رضي الله عنه في الشعب (٧٢٥٢) صحيح الجامع (٣٠٣٩، ٣٠٤٥) والصحيحة (١٨٠٢).

(٢) في الصحيحين: وقد سبق برقم (٦) من الأربعين النووية.

إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (١).

فلا بد من الطهارة المعنوية للقلب بماذا يطهر؟ بالتوبة والإخلاص والمراقبة والإستغفار والذكر:

إذا مرضنا تدأونا بذكر كمو ونترك الذكر أحيانا فنتكس

وأما طهارة البدن فهو من القاذورات من النجاسات كما قال سبحانه: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدر ٤-٥] ويقول ﷺ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهْوٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ» (٢).

فلا بد من الطهارة أيضًا «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» (٣).

ويقول النبي ﷺ: «نَظَّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشْبَهُوا بِالْيَهُودِ» (٤) يقول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتانا رسول الله ﷺ زائرا في منزلنا فرأى رجلا شعثا فقال: «أَمَا كَانَ يَحْدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ رَأْسَهُ؟» ورأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال: «أَمَا كَانَ يَحْدُ هَذَا مَا يَغْسِلُ بِهِ ثِيَابَهُ؟» (٥).

(١) مسلم (٢٥٦٤) وأحمد (٧٨١٤، ١٠٩٧٣) وابن ماجه (٤١٤٣) وابن حبان (٣٩٤) والبيهقي في الشعب (١٠٤٧٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مسلم (٢٢٤) وأحمد (٤٧٠٠) والترمذي (١) وابن ماجه (٢٧٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأحمد (٢٠٧٢٧) وأبو داود (٥٩) والنسائي (١٣٩) وابن ماجه (٢٧١) عن والد أبي المليح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وابن ماجه برقم (٢٧٣) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرقم (٢٧٤) عن أبي بكره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه مسلم (٩١) وأحمد (٣٧٨٩) والترمذي (١٩٩٩) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) حسن: الترمذي (٢٧٩٩) وهو عند الطبراني في الأوسط (٤٠٥٧) ومسند أبي يعلى (٧٩١) عن

سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الألباني: أنظر: صحيح الجامع (٣٩٣٥) والصحيحه (٢٣٦)

والمشكاة (٤٤٨٧).

(٥) صحيح: رواه أحمد (١٤٨٩٣) وأبو داود (٤٠٦٢) وابن حبان (٥٤٨٣) والحاكم (٧٣٨٠) وصححه =

ويقول ﷺ: «حَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ» (١) فالإسلام دين الطهارة ودين النظافة ودين الجمال ودين البهاء فلا يحثنا إلا على مكارم الأخلاق وعلى ما فيه مصالحنا عموماً جعل النبي ﷺ ذلك شطر الإيمان أي نصف والإيمان مشتق من الأمن والإيمان لغة: بمعنى التصديق وقيل: الإقرار واصطلاحاً: نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأركانه ستة كما في حديث جبريل «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (٢).

فلا بد من هذا ثم قال ﷺ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» الحمد لله الأوصاف التي يحمد الله بها من الكمالات الذاتية والفعلية «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» (٣).

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر ٢٢].

المحامد التي يحمد الله بها كما قال ﷺ: «فَاتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا

الألباني: صحيح الجامع (١٣٣٣) والصحيحة (٤٩٣) وقال شعيب في تحقيق صحيح ابن حبان

(٢٩٤/١٢): إسناده صحيح على شرط البخاري.

(١) متفق عليه: البخاري (٨٥٦) ومسلم في الجمعة باب الطيب والسواك يوم الجمعة رقم (٨٤٩) عن أبي هريرة.

(٢) في مسلم: وقد سبق برقم (٢) من الأربعين النووية.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٤٩١) وأبو داود (٧٧٥) والترمذي (٢٤٢) والنسائي (٨٩٩، ٩٠٠) وابن

ماجة (٨٠٤) وجاء عن عائشة عند أبي داود (٧٧٦) والترمذي (٢٤٣) وأنظر: المشكاة (٨١٥)،

(١٢١٧) والصحيحة (٢٩٩٦) ورواه مسلم (٣٩٩) بسند منقطع عن عمر أنه كان يستفتح صلاته بهذه

الكلمات. أنظر: الإرواء (٤٨/٢).

لِرَبِّي ﷺ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي» (١).

وكان النبي ﷺ يحمد بمثل هذا: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» (٢) كذلك ما يحمد الله به من الأفعال فهو عزيز حكيم لا يضع الأمور إلا في موضعها الصحيح لأن من أسمائه العزيز الحكيم ويقول النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» (٣).

وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» (٤).

ويقول ﷺ لجويرية بنت الحارث: «لَقَدْ قُلْتُ بِعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزِنْتُهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ» (٥).

(١) قطعة من حديث الشفاعة الطويل، أخرجه البخاري (٣١٦٢، ٤٤٣٥) ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هو حديث سيد الاستغفار الذي أخرجه البخاري (٥٩٤٧، ٥٩٦٤) وأحمد (١٧١٥٢، ١٧١٧١) والترمذي (٣٣٩٣) والنسائي (٥٥٢٢) عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري (٦٠٤٣، ٦٣٠٤، ٧١٢٤) ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٦٤) وابن حبان (٨٢٦) والحاكم (١٨٤٧)، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٦٤٢٩) وأنظر الصحيحة (٦٤).

(٥) رواه مسلم (٢٧٢٦) وغيره عن جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

كلام يسير جدًا له معاني كبيرة عظيمة جدًا.

والميزان المراد به عند أهل السنة: ميزان حقيقي توزن به الأعمال خلاف ما تقوله المعتزلة فإنهم يكونون عن الميزان بالعدل لا. فأهل السنة يؤمنون بأنه في عرصات القيامة ينصب الميزان ويوضع الميزان كما قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء ٤٧].

وكما في حديث البطاقة تطرح في كفة الميزان والأعمال السجلات التسعة والتسعين سجلا في الكفة الأخرى فتطيش البطاقة بتلك السجلات كلها^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء ١٣].

فهناك ميزان توزن به الأعمال «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢).

فنؤمن بأن هناك ميزانًا حقيقياً يزن الله ﷻ أعمال المؤمنين.

قد يقول قائل: هذه الأعمال هي عبارة عن أشياء معنوية لا حقيقة لها ليست بجوهر كما يقال فهي عبارة عن عرض. والجواب على هذا أن هذه الأعمال تجسد في القبر فالعبد الصالح «يَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طِيبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ:

(١) حديث البطاقة أخرجه أحمد (٦٩٩٤) والترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) والحاكم (٩) وابن حبان (٢٢٥) والبيهقي في الشعب (٢٨٣) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٧٧٦) والصحيحة (١٣٥).

(٢) صحيح: وقد سبق قريباً.

أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهَ يَحْيِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ.

وأما العبد الكافر «يَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهَ يَحْيِيءُ بِالْشَّرِّ؟ فيقول: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فيقول: رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ» (١).

ويقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة: «قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» (٢) أي أن القرآن يجسد حتى يأتي ويشفع لصاحبه.

ويقول ﷺ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصَّيَّامُ: أَيُّ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ يَقُولُ الْقُرْآنُ: رَبِّ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ» (٣) إِذَا الصِّيَامُ يَتَكَلَّمُ وَيَقُولُ ﷺ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فَرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ، فَإِنَّ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» (٤).

(١) صحيح: وهو قطعة من حديث البراء المشهور. الذي رواه أحمد (١٨٥٥٧) وأبو داود (٤٧٥٣) والحاكم (١٠٧) والبيهقي في الشعب (٣٩٥) والطيالسي في المسند (٧٥٣) وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) رواه مسلم (٨٠٤) وأحمد (٢٢٢٠٠) والحاكم (٢٠٧١) وغيرهم.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦٦٢٦) والحاكم (٢٠٣٦) والبيهقي في الشعب (١٩٩٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وصححه الألباني: صحيح الجامع (٣٨٨٢).

(٤) هو حديث أبي أمامة السابق رواه مسلم (٨٠٤).

فالأعمال تحدث الله ﷻ وله في خلقه ما يشاء فكلمة الحمد لله تملأ الميزان حينما تحمد الله ﷻ على السراء والضراء بخلاف الشكر فإنه في مقابلة النعم بخلاف الحمد فإنه يكون بخلاف ذلك في مقابلة النعمة وغيرها.

و الحمد: هو الثناء على المحمود بصفات الكمال والجلال.

من حديث أنس في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» (١).

ثم قال ﷺ: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ».

هذا تصرف من بعض الرواة وحرص من الراوي أن يأتي بالوصف مدققاً فرواه بشك إما كذا وإما كذا «والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ أو تملأ ما بين السماء والأرض».

ثم قال ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ» الصلاة مشتقة من اللزوم (٢) وهي بمعنى الدعاء.

(١) رواه مسلم (٢٧٣٤) والترمذي (١٨١٦) والنسائي: في الكبرى (٦٨٩٩).

(٢) وقيل الصلاة مشتقة من الصلوتين تثنية الصلا وهو ما عن يمين الذنب وشماله قاله الجوهري وقيل مشتقة من المصلى وهو الفرس الثاني من خيل السباق لأن رأسه تلي صلوي السابق وقيل أصلها من التعظيم وسميت العبادة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب وقيل من الرحمة وقيل من التقرب من قولهم شاة مصلية وهي التي قربت إلى النار وقيل من اللزوم قال الزجاج يقال صلي واصطلي إذا لزم وقيل هي الإقبال على الشيء.

وأكرر غير واحد بعض هذه الاشتقاقات لاختلاف لام الكلمة في بعض هذه الأقوال فلا يصح الاشتقاق مع اختلاف الحروف. أنظر عمدة القاري (٣٩/٤). بتصرف يسير.

وفي الشرح: عبادة معلومة أقوال وأفعال مبتدأة بالتكبير ومختتمة بالتسليم. هذه هي الصلاة وفرضها علينا كان ليلة الإسراء والمعراج فكانت فرضاً إلى يومنا هذا ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء ١٠٣].

ويقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «وأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة» (١).

هي مفروضة ولكن لها فضائل كثيرة «نور» هذه الصلاة نور في الوجه ونور في القلب ونور أيضاً يوم القيامة يقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ الصَّلَاةُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ» (٢).

وفي لفظ «أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ» (٣).

ويقول ﷺ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرًا لَكُمْ أَيَوْمَ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد ١٢].

ويقول النبي ﷺ: «بُشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلُمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فالصلاة نور بمثابة نور القمر ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس ٥].

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٤١٣) والنسائي (٤٦٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٠٢٠).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط (١٨٥٩) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٥٧٣).

القمر يضيء نورًا دون أن يكون هناك حرارة لاحقة للذين يكونون تحت هذا القمر في الليل المقمر لكنهم يستضيئون به وأما الصبر فهو ضياء والضياء لا يكون إلا في الشمس كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس ٥]. فالضياء يكون في الشمس وفيه شيء من الإحراق.

قال بعض الفقهاء: ذلك أن الصبر يحتاج من صاحبه إلى مجاهدة ومقاومة وتثبت فهو بمثابة ذلك الذي قد صلى بنار الشمس وهو يمشي في حرها لكن الصلاة بمثابة النور يضيء لهذا الإنسان طريقه في هذه الدنيا وكذلك أيضًا في الآخرة.

ثم قال ﷺ: «والصدقة برهان» تطلق ويراد بها معنيين: المعنى الأول ما يعطاه من المال قاصدًا به وجه الله هذه صدقة ويراد بها الصدقة الواجبة كما في حديث معاذ: «وأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة وفي رواية زكاة» (١).

وكما قال سبحانه ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة ١٠٣]. ويقول النبي ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسٍ ذَوْدٌ صَدَقَةٌ» (٢).

أي زكاة فيراد بها الصدقة التي تخرج من المال لوجه الله عطية كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَزْدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان ٩] ويطلق ويراد بها الزكاة الواجبة.

وقوله ﷺ: «برهان» بمعنى الدليل والحجة في إيمان صاحبها، وذلك أن إخراج المال فيه مشقة على النفوس لأن النفوس تحب المال فكان لا بد أن يتقوى العبد

(١) صحيح: وقد سبق مرارًا حديث معاذ.

(٢) البخاري (١٣٤٠، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٩٠، ١٤١٣) ومسلم رقم (٩٧٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

على إخراج هذه الزكاة أو هذه الصدقة حتى يكون ذلك برهان له: أي دليل على صدقه وعلى امتثاله لأمر الله ﷻ.

كما قال ﷻ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۚ وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۚ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ ۚ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة ٣٣-٣٧].

ثم قال ﷻ «والصبر ضياء».

وأما الصبر فإنه في اللغة: بمعنى الحبس حبس النفس على ما تكره.

وفي الاصطلاح: الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله، لأن الله تعالى أثنى على أيوب بالصبر بقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص ١٤٤] مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٣] (١).

أقسام الصبر: وقسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام:

صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر على أقدار الله.

(١) أنظر التعريفات للجرجاني (ص ١٧٢).

فائدة: وقيل: الصبر قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية والعقلية،

وقال بعضهم: تجرع مرارة الامتناع من المشتبه إلى الوقت الذي ينبغي فيه تعاطيه، وقال الراغب الصبر الإمساك في ضيق والصبر حبس النفس عما لا يقتضيه الشرع.

فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بسبب اختلاف مواقفه فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا فقط ويضاده الجزع وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في نائبة مضجرة سمي ربح الصدر ويضاده الضجر وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً وقد سمي الله كل ذلك صبرا وسمي الصبر صبرا لأنه كالنوع له. أنظر التعاريف للمناوي (١/ ٤٤٧).

وأيهما أعظم صبراً ؟

الصبر على الطاعة و يليه الصبر عن المعصية ومن ذلك صبر يوسف عليه السلام عن فاحشة الزنا وصبر ذلك الرجل الذي دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: «إني أخاف الله» (١).

ونحن نحتاج إلى هذه الأقسام الثلاثة.

وفي قوله ﷺ: «ضياء» لأن هذه الأشياء التي يصبر عليها الشخص هي بمثابة ما يوجب للإنسان حرارة. ذلك لو دعي الإنسان مثلاً إلى فاحشة الزنا كيف يكون ذلك؟ أو قام مثلاً إلى طاعة ثم منته نفسه أن يدع هذه الطاعة كيف يكون عنده من الإحترق في قلبه ومن المكابدة حتى أن الله ﷻ يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت ٦٩].

فكان الصبر بمثابة الضياء الذي يستضيء به هذا الإنسان مع ما فيه من شدة اللذع والإحترق.

ثم قال ﷺ: «والقرآن حجة» القرآن مأخوذ من القرأ بمعنى الجمع والكتابة.

وفي الإصطلاح أو في الشرع: هو كلام الله ﷻ الذي نزل به جبريل على قلب محمد ﷺ وهو كلام الله ﷻ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت ٤٢].

وهو المعجزة الكبرى التي جاء بها نبينا محمد ﷺ وهو كلام الله ﷻ منزل ليس بمخلوق. خلافاً للجهمية والمعتزلة والأشاعرة، على أن مذهب الجهمية والمعتزلة

(١) البخاري (٦٢٩، ١٣٥٧، ٦١١٤، ٦٤٢١) ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أهون من مذهب الأشاعرة فإن الأشاعرة نفوه تمامًا أما الجهمية فيقولون: هو كلام الله لكن مخلوق مثل خلق السماء والأرض.... إلخ.

ولكن معتقد أهل السنة أنه كلام الله ﷻ وأمره والله ﷻ قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف ٥٤].

ففرق الله ﷻ بين الخلق والأمر هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من زمن النبي ﷺ إلى أن يأذن الله برفعه من المصاحف كما قال بعض الفقهاء: من السطور ومن الصدور.

وقوله ﷻ «حجة لك أو عليك» يعني ما من دارس أو قارئ لهذا القرآن إلا كان بأحد أمرين: إما أن يكون حجة له يتذرع بها كما يأتي القرآن يوم القيامة فيقول: أي ربي أسهرته في ليله فشفعني فيه قال النبي ﷺ: «فيشفعان» (١) وإما حجة عليك.

قال الله ﷻ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان ٣٠].

يأتي هذا القرآن فيشهد عليك بأنك لم تعطه حق الإعطاء الذي أَرَادَهُ الله ﷻ من العمل الصالح ثم ضرب النبي ﷺ مثالا في ذلك كله بعد أن ذكر الصلاة والصدقة والصبر والقرآن.

قال ﷻ: «كل الناس يغدوا» أي يذهبون في بداية النهار للأعمال وما من أحد إلا وهو يعمل بل حتى الطيور من حديث ابن عمر عند الترمذي قال النبي ﷻ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا» (٢).

(١) صحيح: وقد سبق تخريجه قريبا.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٠٥، ٣٧٠، ٣٧٣) والترمذي (٢٣٤٤) وابن ماجه (٤١٦٤) والحاكم (٧٨٩٤) عن عمر، وصححه الالباني: صحيح الجامع (٥٢٥٤) وانظر: الصحيحة (٣١٠).

«كل الناس يغدوا» أي يعملون «فَبَائِعُ نَفْسِهِ» أي من الله «فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا» إما أن يكون قد أكرم هذه النفس وأعتقها من النار ومن المعاصي والذنوب

كما قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس ٩-١٠] وإما أن يكون والعياذ بالله قد أوبقها وضيعها وأحرمها من الخير فمن حفظ القرآن أو تعلمه لا يظن أن ذلك منجياً له لا

القرآن يطالبك بعمل صالح ومن آثار عائدة من خلال تلاوتك لهذا الكتاب المقدس المبارك العظيم.

ولله در من قال:

أهلاً لحفظ كلامه المختار	خزان وحي الله لم ير غيرهم
فيه من المشروع للأبرار	لكن عليهم أن يقوموا بالذي
وقيام ليل مع صيام نهار	صدق وإخلاص وحسن عبادة
وتشبهه بخلائق الأخيار	وتورع وتزهد وتعفف
وتجنب لخلائق الأشرار	وديانة وصيانة وأمانة
وإدامة للحمد والأذكار	وأداء فرض واجتناب محارم
فلك الهناء بفوز عقبى الدار	يا حامل القرآن إن تك هكذا
بحروفه وسكنت دار بوار ^(١)	ومتى أضعت حدوده لم تنتفع

هنا فوائد أحببت أن أذكرها لكم:

الفائدة الأولى: من قوله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان».

(١) أنظر: التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (ص ٤٥-٤٦).

يعبر الفقهاء بمثل هذا بأن التخلية قبل التحلية فالطهور ما يطهر به الشخص والتحلية بمثابة فعل الطاعات فإذا تطهر الشخص ذهب عنه عرقه وأوساخه ونجاسته ثم بعد ذلك يقوم إلى الطاعة فيقول العلماء: لا بد من التخلية قبل التحلية يعني إذا أراد العبد أن يتحلى بالثوب مثلاً وهذا الثوب مليء بالوسخ لا يقول عاقل: يعطر هذا الثوب أو يبخر وإنما يغسل وهكذا الكأس إن كان فيه أتربة أو أوساخ فلا بد من أن ينظف تماماً وبعد ذلك يسكب به الشاي أو القهوة أو العسل وما إلى ذلك.

الفائدة الثانية: قوله ﷺ: «الصلاة نور» يشمل الصلاة كلها الفرض والنفل لأن الحديث مطلق.

والنبي ﷺ يقول: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١).

ويقول ﷺ: «يَا بَلَّالُ أَرِحْنَا بِهَا»^(٢).

وقل لبلا العزم إن كنت صادقاً أرحنا بها إن كنت حقاً مصلياً

الفائدة الثالثة: قوله «الصدقة برهان» صدقة الفرض والنفل.

الفائدة الرابعة: قوله: «الصبر ضياء» عموم الصبر جاءت مائة وثلاث آيات من القرآن الكريم أمرت بالصبر سواء كان على الطاعة أو عن المعصية أو على أقدار الله فكله ضياء.

(١) صحيح: رواه أحمد (١٢٣١٥، ١٢٣١٦، ١٤٠٦٩) والنسائي (٣٩٣٩، ٣٩٤٠) والحاكم (٢٦٧٦) والطبراني في الأوسط (٥٧٧٢) والبيهقي في الكبرى (١٣٢٣٢) عن أنس، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٣١٢٤) وانظر: الصحيحة (٣٢٩١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٣١٣٧) وأبو داود (٤٩٨٥، ٤٩٨٦) والطبراني في الكبير (٦٢١٤) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٨٩٢) عن رجل من الصحابة.

صبرت ومن يصبر يجد غب صبره ألد وأحلى من جنى النحل في الفم

الفائدة الخامسة: في قوله ﷺ: «والقرآن حجة لك أو عليك» يشمل ذلك القراءة بجميع أنواعها سواء كانت تلاوة أو حدر وسواء كان يقرأ من أجل الأجور أو من أجل التدبر لأن بعض الصالحين كانت له ختمتان ختمة للتلاوة وختمة للتدبر.

وهناك أحاديث مطلقة مثل قوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: ﴿الْم﴾ حرف ولكن: أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» (١).

والله الموفق.



(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠) والحاكم (٢٠٤٠، ٢٠٨٠) والبيهقي في الشعب (١٩٨٣) عن ابن مسعود، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٦٤٦٩) والصحيحة (٣٣٢٧).

[٢٤]

{ تحريم الظلم }

عن أبي ذر الغفاري ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» رواه مسلم وغيره ^(٢).

(١) سبقت له ترجمة عند الحديث الثامن عشر.

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) وابن حبان (٦١٩) والبخاري في الأدب المفرد (٤٩٠) ورواه أحمد (٢١٤٠٥)،

هذا حديث عظيم في بيان حاجة العبد إلى الرب وافتقاره إليه في جميع شئونه وهو من الأحاديث التي عظم أهل العلم شأنها فقد كان أبو مسلم الخولاني «إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبته»^(١) لما فيه من العبر والعظات

وكان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول في هذا الحديث: «هو أشرف حديث لأهل الشام»^(٢).

وقد اتصل سنده شامياً من عند أبي ذر إلى الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فهذا من أحاديث أهل الشام دمشق وما جاورها من تلك البلاد.

صحابي الحديث أبو ذر الغفاري واسمه جندب بن جادة تقدم إسلامه وتأخرت هجرته وله مناقب كثيرة لو لم يكن منها إلا قول النبي ﷺ: «مَا أَقَلَّتِ الْغُبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْحَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»^(٣) وكان حريصاً على الصيام والقيام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يروى عن النبي ﷺ فيما يرويه، الرواية بمعنى النقل وعند المحدثين هي سلسلة السند التي توصل بالمتن هذا الحديث يرويه أبو ذر عن النبي يرويه النبي عن ربه ﷻ يسمى هذا الحديث حديثاً قدسياً مضافاً إلى القدس وهو الطهر مضاف إلى الله ﷻ وقد اختلفت تعريفات العلماء للحديث القدسي فبعض أهل العلم يقول: الحديث القدسي هو أن يكون معناه من الله ولفظه من رسول الله وفي هذا محذور

=

٢١٥٨) والترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجه (٤٢٥٧) بإسناد فيه شهر بن حوشب وشهر ضعيف.

(١) ذكره عنه مسلم تحت حديث (٢٥٧٧) وابن رجب في جامع العلوم (ص/٢٢٢).

(٢) أنظر: فيض القدير (٤/٤٧٦ / رقم: ٦٠٢٠) وجامع العلوم (ص/٢٢٣).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

وهو أنه على هذا الرأي يكون قد حصل موافقة للأشاعرة والماتريدية الذين يفسرون كلام الله بأنه نفساني وأن جبريل أدرك ما في نفس الله ﷻ فهذا تعريف غير صحيح وبعض أهل العلم يقول: لفظه ومعناه من الله وهذا أيضا غير صحيح فلو كان هذا صحيحا للزم أن يكون الحديث القدسي أرفع منزلة من القرآن فإن القرآن بواسطة جبريل عن رب العالمين كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَنَنْزِلُ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ [الشعراء ١٩٢ - ١٩٥].

هذا التعريف أيضا تعريف غير صحيح فما هو التعريف المختار (١)؟

خروجاً من التعسف والتكلف لا بأس أن يقول المدرس لطلابه وأن يفهم الطالب ما قاله العلماء عن أبي ذر عن رسول الله فيما يرويه عن ربه لا بأس أن نقول: الحديث القدسي ما رواه النبي ﷺ عن ربه ﷻ والخروج من الخلاف مستحب على أن هناك فرق بين القرآن والحديث القدسي فالقرآن الكريم أولا: ثبتت روايته بالتواتر القطعي الذي يفيد أن من خالف حرفاً واحداً كفر بالإجماع بخلاف الحديث القدسي فمن رد بعضه باعتبار أنه لم يصح سنده لم يكفر لأنه يقول: أنا ما صح هذا عندي لأنه يجوز أن يكون في الحديث القدسي صحيح وضعيف أما القرآن ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت ٤٢] القرآن تعبدنا الله ﷻ بتلاوته فلنا بكل حرف قرأناه حسنة والحسنة بعشر كما في الحديث (٢) أما الحديث القدسي فلسنا

(١) فائدة: قال الجرجاني الحديث القدسي: هو من حيث المعنى من عند الله تعالى ومن حيث اللفظ من رسول الله ﷺ - فهو ما أخبر الله تعالى به نبيه بإلهام أو بالمنام فأخبر ﷺ عن ذلك المعنى بعبارة نفسه فالقرآن مفضل - عليه لأن لفظه منزل أيضا. أنظر: التعريفات للجرجاني (ص ١١٣) رقم (٥٥٠) وأنظر: التعاريف للمناوي (ص ٢٧١).

(٢) صحيح: وهو حديث ابن مسعود رَوَاهُ ﷺ وقد سبق.

متعبدین بتلاوته من حیث أنه یقرأ فی الصلاة أو یترتب علیه هذا الأجر لكن لو كان فیه من الأحكام وجب علینا أن نأخذ ما قاله الله فی القرآن أو فی الحدیث القدسی أو ما رواه نبینا ﷺ فی الحدیث النبوی المعروف إذ کله تشریع من عند الله ﷻ لا یجوز لأحد أن یمزج بین أمر وآخر القرآن الکریم وقع به التحدی والإعجاز أما الحدیث القدسی لم یمحصل به التحدی.

القرآن لا یجوز أن یروی بالمعنی بل لا بد أن یروی باللفظ الذی نطق به ربنا ﷻ وعلمه جبریل لنبینا ﷺ أما الحدیث القدسی فیجوز روايته بالمعنی.

فی هذا الحدیث المبارک یتودد الله ﷻ إلى خلقه بالطف النداءات فیضیفهم ربنا ﷻ إليه فیقول: «یا عبادي» وعباده یدخل فیهم المؤمن والکافر والانس والجان والعرب والعجم والصغار والکبار کلهم من عباده «یا عبادي إني حرمت الظلم علی نفسي» حرم الظلم أي منعه علی نفسه ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف ٤٩] وكما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت ٤٦] والظلم هو وضع الشيء فی غیر موضعه فیقول سبحانه تنزه أن يضع الشيء فی غیر موضعه وإنما هي أقدار جعل ذا غنياً وجعل ذا فقيراً وذا مؤمناً وذا کافراً هذه أحكام الله ﷻ هو الذی أرادها هذه مقدوراته فلا ینبغي للعباد أن یخوضوا فی هذا وأن یمزجوا عندهم شيء من البلبلة والتساؤلات والتحیر كما قیل:

صَغِيرًا يَطْلُبُ الْكَبِيرَا وَشَيْخًا وَدَلَّوْ صَغِيرَا
وَخَالَ يَشْتَهِي عَمَلَا وَذُو عَمَلٍ بِهِ ضَجْرَا

ورب المال في تعب وفي تعب من افتقرا
أهم حاروا مع الأقدار أم هم حاروا القدرا

لا ينبغي أن يورد هذا الإشكال هنا فالله ﷻ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فهو
ﷻ عدل ويأمر بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ٩٠] فهو ﷻ حرم الظلم على
نفسه وحرمه أيضًا بين عباده

كما قال: «وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» قال نبينا ﷺ: «المسلم أخو
المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره
ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم
حرام: دمه وماله وعرضه» (١).

أقسام الظلم: الظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ظلم لا يغفره الله وظلم لا يتركه الله
وظلم يغفره.

١ - القسم الأول: الظلم الذي لا يغفره الله وهو الشرك كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ
اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾
[النساء ٤٨] وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء ١١٦] وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ
يُعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣] وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يَكْسِبُوا إِيْمَانَهُمْ بَطْلًا أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام ٨٢] فهذا الظلم الذي لا يغفره
الله ﷻ أن يدعو الإنسان غير الله أو يستغيث بغير الله أو يتوكل على غير الله أو يلتجئ

(١) صحيح: وسيأتي برقم (٣٥) من الأربعين النووية.

إلى غير الله أو يذبح لغير الله هذا إذا مات العبد وهو متلبس به لا يغفره الله ﷻ.

٢- القسم الثاني: لا يتركه وهو ظلم العباد بينهم البين فالله ﷻ يجمعهم يوم القيامة ويقتص من الظالم للمظلوم قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم ٤٢].

يجمع الله الأولين والآخرين ويقتص للمظلومين من الظلمة في ذلك اليوم يقول نبينا ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءُ، مِنْ الشَّاةِ الْقُرْنَاءُ» (١).

على مستوى البهائم يقتص من الظالم للمظلوم الشاة ذات القرون التي نطحت غيرها فأوجعتها في الدنيا يقتص منها يوم القيامة.

ويقول النبي ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيُخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وَقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟» ثم التفت النبي ﷺ إلى أصحابه فقال: «فما أرى يدع من حسناته شيئاً» (٢).

فحقوق العباد مبنية على المشاحة أما حقوق الله ﷻ مبنية على المسامحة إلا في باب التوحيد فإن فيه تنقص وتهجم للذات الإلهية فقد أخبر الله أنه لا يغفره لمن جاء ملتبساً به يوم القيامة جاء في الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي يَا

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم (١٨٩٧) وأحمد (٢٣٠٢٧) والنسائي (٣١٨٩، ٣١٩٠) وابن حبان (٤٦٣٤) واللفظ

الأخير له، عن بريدة عن أبيه ﷺ.

ابْنُ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَني غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي....»
الحديث (١).

ويقول ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» (٢).

٣. القسم الثالث: ظلم يغفره الله وهذا ما كان بين العبد وربّه أي باب من أبواب الظلم سواء ظلمت نفسك بالذنوب والمعاصي هذا من الظلم لأنك عذبت نفسك الآن لما إنسان يصلي ويصوم ويعبد الله ويذكره ويحافظ على نفسه من المعاصي والجرائم هنا يريد أن يسعد نفسه لكنه لو أحرق نفسه وزج بها في خضم المعاصي والذنوب هنا ظلم نفسه هذا يكره نفسه فهو أشقاها في الدنيا ويريد لها الشقاء في الآخرة فما كان من هذا الذي بينك وبين الرب ﷻ فإن تبت قبل الله ﷻ توبتك قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه ٨٢] وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٣] وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿[غافر ٥٣، ٥٤].

وهكذا إن أقبل العبد بهذه القاذورات يوم القيامة وكانت بينه وبين الرب ﷻ فهو تحت مشيئة الله على القول الصحيح من أقوال أهل العلم تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفرله كما قال سبحانه ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ﴾ [أي

(١) سيأتي برقم (٤٢) من الأربعين النووية.

(٢) في البخاري: وقد تقدم.

الظالمين] أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿[الإنسان ٣١] فهو لاء تحت مشيئة الله ﷻ يسترهم الله في الدنيا ولعله سبحانه أن يسترهم في ذلك اليوم العظيم حينما يأتي العبد بذنوب كأمثال الجبال ثم يكون قد ندم أو أراد الله ﷻ به خيرًا لعلم يعلمه الله ﷻ يقول ﷺ «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ»^(١) فيغفر الله ذنوبه كلها ما لم يكن مشركا به شيئا هذا هو القول الصحيح من أقوال أهل العلم.

أما أسباب الظلم فله ثلاثة أسباب:

١ - تعلق القلب بغير الله فإن تعلق القلب بغير الله خرب القلب ووقع العبد في الإشرak كما قيل:

من يتق الله يحمده في عواقبه ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
من استجار بغير الله في فزع فإن ناصره عجز وخذلان
فامسك يديك بجبل الله معتصما فإنه الركن إن خانتك أركان

فإذا العبد تعلق بغير الله وقع العبد في الشرك.

٢ - طاعة القوة الغضبية فإذا أطاع الشخص قوته الغضبية وقع الشخص في القتل وأخذ أموال الناس يتلطف بشيء من دمائهم حينما يطيع القوة الغضبية والنبي ﷺ يقول: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ...» الحديث^(٢) ويقول: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا

(١) البخاري (٢٣٠٩، ٤٤٠٨، ٥٧٢٢، ٧٠٧٦) ومسلم (٢٧٦٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: وسيأتي برقم (٣٥) من الأربعين النووية.

أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» (١).

٣- طاعة القوة الشهوانية: التي تغذي العبد وتزج به في خضم المعاصي والسيئات وكلها ضلال والموفق من وفقه الله ﷻ لأن يصبر على هذه الدنيا التي ملئت بالفتن المتلاطمة فمن ثبته الله ﷻ فهو التقي كما قيل:

ليس من يقطع طريقاً بطلاً إنما من يتقي الله البطل

ثم يقول الله ﷻ عبارات كثيرة: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم» والمراد بالضلال عدم معرفة الهداية وإلا فالناس على خير كما قال سبحانه: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم ٣٠].

وقال ﷻ مخبراً عن ربه أنه قال: «وإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ» (٢) ويقول ﷻ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» (٣).

«إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» أي اطلبوا الهداية مني والمراد بالهداية هداية التوفيق والإلهام وهداية الدلالة والإرشاد وقد كان النبي ﷺ يقول في صلاة الليل: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥) وأحمد (١٧٥١٩) والنسائي في الكبرى (٨٠٧٠) وابن حبان (٦٥٣) والطيالسي

(١٠٧٩) والطبراني في الأوسط (٢٩٣٣) عن عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري (١٢٩٢، ١٣١٩، ٤٤٩٧، ٦٢٢٦) ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(١).

وكان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»^(٢) وكان يسأل الله تعالى السداد في الأمر.

ثم قال: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ» على مستوى الطعام اطلب من ربك أن يطعمك قل: اللهم أطعمني يا رب كان بعض السلف الصالحين «يسأل ربه ملح طعامه وعلف دابته» والنبى ﷺ يقول: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ»^(٣) وفي حديث آخر: «لِيسْأَلِ أَحَدَكُمْ رَبَّهُ حَتَّى شَسَعَ نَعْلَهُ»^(٤) ولا بأس أن تقرض أو تذهب هنا وهناك أو تعمل لكن قبل ذلك اطلبها من الله الذي يمتلكها والذي خزائنه مלאى كما قال ﷺ: ﴿وَلَا يَمُنُّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] ويقول ﷺ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى ٢٧].

ويقول النبى ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَتْ لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةُ سَحَاءٍ» أي كثيرة العطاء «اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(٥) فخزائن الملك هي بيده ﷺ.

(١) مسلم (٧٧٠) وأحمد (٢٥٢٦٦) وأبو داود (٧٦٧) والترمذي (٣٤٢٠) والنسائي (١٦٢٥) وابن ماجه (١٣٥٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه مسلم (٢٧٢١) وأحمد (٣٦٩٢) ومواضع، والترمذي (٣٤٨٩) وابن ماجه (٣٨٣٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: وقد سبق برقم (١٩) من الأربعين النووية.

(٤) ضعيف: وقد تقدم.

(٥) البخاري (٤٤٠٧، ٥٠٣٧، ٦٩٧٦، ٦٩٨٣، ٧٠٥٧) ومسلم (٩٩٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ» اطلب كسوتك من الله ﷻ.

«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» أي اطلب المغفرة من الله والمراد بالمغفرة الستر والتجاوز اطلب من ربك أن يغفر هذا الذنب وأن يتجاوز عنه قال نبينا ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١).

ويقول النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٢).

ويقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٣).

«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي» فمهما عمل العباد من الطاعات فليس فيه نفع لله ﷻ ومهما عملوا من المعاصي والجرائم والسيئات فلن يلحقوا أذى به ﷻ وإن كان ﷻ قد قال: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ

(١) حسن: رواه أحمد (١٣٠٧٢) والترمذي (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١) والحاكم (٧٦١٧) والدارمي (٢٧٢٧) وأبو يعلى (٢٩٢٢) والبيهقي في الشعب (٧١٢٧) عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٤٥١٥) والمشكاة (٢٣٤١) وصحيح الترغيب والترهيب (٣١٣٩).

(٢) البخاري (١٠٩٤، ٥٩٦٢، ٧٠٥٦) ومسلم (٧٥٨) وأحمد (٩٤٢٦) والترمذي (٤٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٩) وأحمد (١٩٥٤٧، ١٩٦٣٥) والطيالسي (٤٩٠) والبيهقي في الكبرى (١٦٢٨١) عن أبي موسى رضي الله عنه.

وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(١) فهذا أذى لا يستفاد منه إيقاع شيء من ذلك على الذات الإلهية وإنما يتأذى فقط من حيث اللفظ حينما يسمع اللفظ الذي كان الواجب على العبد أن يحمده الله وأن يشكره وأن يتوب إليه فالله ﷻ يقول: «لن تبلغوا ضري» فمهما عملتم من الإشراف من الجرائم فليس في ذلك أي ضرر على الله ﷻ «ولن تبلغوا نفعي فتفنعوني» مهما عملوا من الطاعات ومن الخير ليس في ذلك نفع لله ﷻ فالله ﷻ غني عن العالمين خلق العباد لحكمة عظيمة لا من أجل أن يتكثر بهم من قلة أو يتعزز بهم من ضعف وذلة لا هو سبحانه رب العالمين

وكما قال الطحاوي رحمه الله: «ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق.

وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائه.

ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقدارا وضرب لهم آجالا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن»^(٢) وإنما أراد الله سبحانه ابتلاء الناس واختبارهم.

(١) البخاري (٤٥٤٩، ٥٨٢٧، ٥٨٢٩، ٧٠٥٣) ومسلم (٢٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أنظر: الطحاوية (ص ١٧).

«يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا» ما نفعه شيء. «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

لا يؤثر شيء مهما أعطى حوائج العباد وقضاها لهم لا يؤثر مما عند الله ﷻ شيئاً فهذه الدنيا بأسرها التي أعطاه الله ﷻ للمسلم والكافر يقول عنها ﷺ: «مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ» (١) ويقول ﷺ: ﴿وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى ٤] فهذه الدنيا دار ممر ليست بدار استقرار.

إن الله عبداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي سكننا
جعلوها لجةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سفناً (٢)

ثم قال: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِإِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» فالله ﷻ يعطي هذه الحقوق ويقضي على نفسه بأن يعطي العباد

فيقول: استغفروني أغفر لكم استطعموني أطعمكم اسألوني كذا أعطيك كذا

(١) في مسلم (٢٨٥٨) عن المستورد ﷺ وقد سبق.

(٢) أنظر: الصلة (١/١٨٧) وشرح الحكم العطائية (١/١٥٠).

وكذا على أن العباد ليس لهم هذا على أنه ﷺ هو الخالق وهو الرازق وهو المعطي كما قيل:

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

فالله ﷻ لا ينقص عبده حسنة واحدة ولا يزيد عليه سيئة ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء ٤٧].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه ١١٢].

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ أي جورًا ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي نقصان فالله ﷻ عدل فحمل النتيجة على العبد قال: «فمن وجد خيرا فليحمد الله» الله الذي وفقه «ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

كما في الحديث الآخر: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا»^(١).

فالسعيد من نظر إلى ما أوجبه الله تعالى عليه فقام به وانشغل به فليس لنا جميعاً منذ أن ولدتنا أمهاتنا إلى أن ندخل قبورنا إلا أن نعانق الطاعة معانقة صحيحة سليمة سواء كنت صغيراً أو شاباً أو كبيراً ذكرًا أو أنثى وجب عليك أن تعلم أنك في يوم من الأيام ستفاجأ بأعمالك هذه كلها ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر ٤٧].

(١) في مسلم: وقد سبق برقم (٢٣) من الأربعين النووية.

و قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة ٧-٨] وقد كان بعض السلف يحاسبون أنفسهم أيما محاسبة حتى لا تقصر هذه النفوس مع الله فتلوم نفسها

وكان مسروق وقد ضرب به المثل في العبادة مسروق بن الأجدع أبو عائشة رضي الله عنه.

قال أبو إسحاق: «حج مسروق فما نام إلا ساجداً على وجهه»^(١) دليل على كثرة العبادة فكان يجهد نفسه حضراً وسفراً رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كأنه يتصارع مع نفسه كما قيل:

ألا يا نفس ويحك ساعديني بسعي منك في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي بطيب العيش في تلك العالِي

فبعض الناس نفسه والعياذ بالله تقوده إلى الحرام تقوده إلى الزنا إلى اللواط إلى الفجور..... إلخ.

وهو يتبع نفسه مثل الذين يتبعون المسيح الدجال يعرفون أنه كافر ومع ذلك فهم بعده وهذا حال من يتابع من يقوده إلى الهاوية ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّيْلَ﴾^(٦٧) رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿[الأحزاب ٦٧-٦٨].

هذه النفس التي تقودك وتعبث بك عليك أن تحزمها وكما قال بعض السلف: أبكيته عند كل شهوة أرادتها فأنا أتركها في سياق الموت عسى الله ﷻ أن يغفر لي. فنفوسنا تحتاج إلى رعاية وإلى رقابة وإلى محافظة.

قال الله ﷻ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس ٩-١٠] والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وسلم

(١) أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٧٩) وتهذيب الكمال (٢٧/٤٥٥) وتاريخ بغداد (١٣/٢٣٤).

[٢٥]

{ فضل الله تعالى وسعة رحمته }

عن أبي ذر رضي الله عنه ^(١) أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ: ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» رواه مسلم ^(٢).

صحابي الحديث هو أبو ذر واسمه جندب بن جنادة فضائله ومناقبه كثيرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

قال: وعن أبي ذر رضي الله عنه أيضاً وأيضاً مصدر أض يئض وأيضاً وأض بمعنى رجع أض يؤوض أيضاً مفعول مطلق وهو ما جاء ثالثاً في تصريف الفعل أن ناساً

(١) سبقت ترجمته عند حديث (١٨).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٦) وأحمد (٢١٥١١، ٢١٥٢٠) وأبو داود (٥٢٤٣) وابن حبان (٨٣٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٢٧) والطبراني في الأوسط (٢٩٩) وغيرهم، وقد جاء الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٨٠٧) ومسلم (٥٩٥) وجاء عن جماعة من الصحابة منهم: علي وأبو الدرداء وابن عمرو بن العاص وابن عباس رضي الله عنهم.

المراد بذلك ناس رجال ولا يستبعد أن يكون أيضا نساء من أصحاب رسول الله المراد بذلك فقراء المهاجرين مما يعلم من دلالة النص هؤلاء فقراء معدمون من أصحاب رسول الله ﷺ وبعضهم من أهل الصفة ومن المهاجرين الأول كما قال ربنا سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر ٨].

من أصحاب رسول الله والصحابي كل من لقي النبي ﷺ مسلماً ومؤمناً به ومات على ذلك وإن تخللته ردة على القول الصحيح من أقوال أهل العلم. قالوا للنبي ﷺ وهو في حياتهم: يا رسول الله ذهب أهل الدثور والمراد بالدثور الأموال الكثيرة التي تغطي صاحبها من الفقر والفاقة ومنه قوله ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر ١] والتدثر هو التغطية باللحاف أو ما يسمى الآن بطراحة أو بطانية أو شرشف وما إلى ذلك.

«ذهب أهل الدثور بالأجور» أي بالثواب ولا يريدون بذلك الحسد فإن الحسد محرم وفيه إساءة أدب مع الله ﷻ فإنه هو الذي قسم الأرزاق ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْحِرًا وَيَرْحِمَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف ٣٢] ما أرادوا بذلك الحسد وما أرادوا بذلك الإعتراض وإنما الغبطة غبطوا إخوانهم مثلما ترى شخصاً محاضراً مدرساً خطيباً واعظاً عالماً قائماً ليل تالياً للقرآن يتصدق على الفقراء والأرامل فيحز ذلك في نفسك لو أنا أكون بهذا المستوى تتمنى بقاء نعمة ذلك الشخص لكن ليش ما يكون لك أنت مثل ذلك حتى تقوم بتلك الأعمال الشريفة التي يقوم بها.

«يصلون كما نصلي» حصل الإشتراك بين الفقراء والأغنياء في الصلاة

«ويصومون كما نصوم» يعني إن كانوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم هم لهم مزية وشرف علينا يقدمونه لينالون به الأجر والشرف عند الله ﷻ وليس عندنا شيء.

والصلاة لغة: بمعنى الدعاء وفي الشرع: هي أقوال وأفعال مبتدأة بالتكبير مختتمة بالتسليم.

وهي الركن الثاني من أركان الإسلام وفوائدها كثيرة وشهيرة.

وأما الصوم في اللغة: فهو بمعنى الإمساك ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ [مريم ٢٦] ومنه قول النابغة الجعدي:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحث العجاج وأخرى تعلقك اللجما

وفي الشرع: إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة، أو هو الإمساك عن الأكل والشرب وسائر المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بنية التعبد لله تعالى.

والصوم ركن من أركان الإسلام قال ﷺ: «وأن تصوم رمضان»^(١) والله ﷻ يقول: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة ١٨٥].

ثم قالوا: يا رسول الله «ويتصدقون بفضول أموالهم»، الصدقة هي إيصال الخير

(١) قطعة من حديث جبريل المشهور وقد مضى برقم (٢). من الأربعين النووية.

إلى الغير فلذا كان الله ﷻ يتصدق على عباده كما قال نبينا ﷺ في صلاة السفر قال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»^(١) وهكذا إخوة يوسف يقولون له: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْفُتُورَ وَجِئْنَا بِضَلَعٍ مِّنْ جِلْدٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف ٨٨].

فالصدقة بمعنى جلب الخير أو النفع إلى غيرك من المسلمين فقال لهم النبي ﷺ: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة» حينما تقول سبحان الله لك بذلك صدقة سواء من أذكار الصلاة أو من أذكار الصباح والمساء أو من أذكار النوم أو تسبيح في وقت آخر فلك بذلك صدقة «وبكل تكبيرة صدقة» الله أكبر أنت تتحصل على كل تكبيرة تقولها صدقة «وكل تهليلة صدقة» لما تهلل لا إله إلا الله.

ثم قال نبينا ﷺ على الرواية الثانية: «وأمر بمعروف صدقة» بمجرد ما تأمر بالمعروف يكون لك ذلك صدقة والأمر بالمعروف فريضة قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً فإن تعين عليك الأمر بالمعروف ما وجد غيرك في البلد واجب في حقك فإن وجد غيرك فهو من باب الإستحباب.

والمعروف: هو ما علم خيره وحسنه عن طريق الشريعة كأن تأمر بمكارم الأخلاق بإقامة الصلاة بإيتاء الزكاة.... إلخ هذا من المعروف تعارف الناس عليه وأمر الشرع به.

والله ﷻ يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

(١) رواه مسلم (٦٨٦) وأحمد (١٧٤، ٢٤٤) وأبو داود (١١٩٩) والترمذي (٣٠٣٤) والنسائي (١٤٣٣)

وابن ماجه (١٠٦٥) وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران ١١٠].

ويقول ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان»^(١) ومن شعب الإيمان الأمر بالمعروف.

وأما النهي عن المنكر: فهو أن تنهى عن شيء معلوم بخبثه أو بسوئه علم ذلك تنهى عن الكذب عن الربا عن الزنا عن الفواحش عن التبرج عن أي شيء كان فيه عيب وفيه قبح إما عن طريق الشرع أو عن طريق الفطر السليمة والنبي ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٢) ولكن يجب فيمن أراد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون عنده علم بكيفية تغيير هذا المنكر وأن يكون عنده علم أن هذا منكر في حد ذاته فلو أن شخصا مثلاً رأى من يأكل في نهار رمضان وهو لا يعرفه فلماذا لا يسأله؟ ربما كان مسافراً وهكذا ربما رأيت من المنكر فأردت إزالته فأدى ذلك إلى أن خلف منكراً أشنع منه لذا يقول النبي ﷺ لعائشة:

«يَا عَائِشَةُ، لَوْ لَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهَدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ»^(٣) فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة لو لم يكن إلا

(١) في الصحيحين وقد سبق مراراً.

(٢) في مسلم: وسياقي برقم (٣٤) من الأربعين النووية.

(٣) البخاري (١٢٦، ١٥٠٩، ٦٨١٦) ومواضع، ومسلم (١٣٣٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الإخلاص والمتابعة لرسول الله

ﷺ أما ما علمت نكارتة فهو منكر لا شك في ذلك لكن كيف يغير هذا المنكر؟ يعني أنت لو رأيت أناسًا جالسين يشربون الخمر أو يتفرجون على القنوات الفضائية الإباحية هل لك أن تقوم بضرب هؤلاء الخمارين أو تقوم بتكسير هذا الجهاز الذي يث مثل هذا العهر والسقطة هل لك ذلك؟

إن كنت حاكم البلاد فنعم لأنك تستطيع تفعل ذلك قال عمر رضي الله عنه: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»^(١) فأنت عندك القوة تستطيع أن تغير هذا لكن إذا كنت مواطن من المواطنين فرد من الأفراد فما تستطيع فماذا عليك؟

حسبك أن تنصح وأن تبغض هذا المنكر أن تتركه وأن تبغضه وأن تنصح إن استطعت فإن الله ﷻ يقول: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿[الأعلى ٩-١٢] فـ «إن» هنا بمعنى حيث أي في المكان الذي تنفع فيه الذكرى.

ذكروا في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله أنه مر على قوم من التتر يشربون الخمر هو وصاحب له فقال له صاحبه: لم لا تنهاهم؟ فقال: إن شربهم للخمر إثمهم وشربهم محصور عليهم لكن لو نهيتهم لحملهم ذلك إلى أن يذهبوا إلى بيوت المسلمين فيخربون ويفسدون ويزنون ويسرقون.... إلخ وهذا من فقه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله تعالى فلا بد أن يكون عند الشخص فقه لهذا الأمر رأيت على إنسان مثلاً خاتم من ذهب لبس الخاتم الذهبي للرجال محرم لا شك في ذلك قال سبحانه:

(١) أنظر: الدر المنثور (٥/٣٢٩) وفتح القدير (٣/٣٦٣) وفقه الواقع (ص ٢٩).

﴿أَوْ مَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف ١٨] فالحلية هو من شأن النساء ويقول نبينا ﷺ حينما أخذ قطعة من ذهب وقطعة من حرير: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِإِنَاثِهِمْ» (١) فرأيت من يلبس هذا الخاتم أيش الظن؟ تقطع يده أو أصبعه أو توبخه لا وإنما تقول: يا أخي النبي ﷺ حرم هذا وهذا فيه أضرار مجرد نصيحة «الدين النصيحة...» الحديث (٢) فلا بد من معرفة دقيقة بالأمر الذي ستأمر به المعروف أو النهي عن المنكر وكذلك بحال الذي هو متلبس بهذا المنكر الذي ستقوم بتغييره لذا لما أراد النبي ﷺ أن يغير المنكر الذي في اليمن أي منكر أعظم من الشرك؟ ومن ترك الصلاة ومن عدم الزكاة فقال لمعاذ بن جبل: «إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله....» الحديث (٣).

وقال ﷺ لأبي موسى ومعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» (٤) وكان إذا بعث الجند قال: «اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا ولا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً» (٥) يعطي النبي ﷺ تعليمات لأصحابه حينما يخرجون غزاة في سبيل الله ثم

(١) صحيح: رواه أحمد (٧٥٠) وأبو داود (٤٠٥٧) والنسائي (٥١٤٤) وابن ماجه (٣٥٩٥) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء من حديث أبي موسى عند أحمد (١٩٥٣٣) بسند منقطع وهو صحيح بشواهده قاله شعيب، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٥٩٧)، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٢٧٤) والصحيحه (١٨٦٥).

(٢) في مسلم: وقد سبق.

(٣) صحيح: وقد سبق مراراً.

(٤) رواه البخاري (٢٨٧٣، ٤٠٨٦ - ٤٠٨٨، ٥٧٧٣، ٦٧٥١) ومسلم (١٧٣٣، ٢٠٠١) عن سعيد بن

أبي بردة عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) صحيح: وقد سبق.

قال ﷺ: «وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» البضع هو بمعنى البعض من الشيء وعكست إلى بضع ليعبر بذلك عن شيء أو بعض الشيء من جسد الإنسان لما لا يصلح التصريح به يعني بذلك الذكر أو الفرج فهو من شريف الألفاظ قال:

«وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» أراد بذلك إما الآلة وإما ما يخرج من الشهوة مثل قول الله سبحانه: ﴿أَوْجَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ﴾ [جزء من آية ٤٣ من سورة النساء، وآية ٦ من سورة المائدة].

أراد بذلك التبرز والتبول لكنه جاء بلفظ غير صريح جاء بلفظ الغائط والغائط في اللغة: هو المطمئن الواسع من الأرض^(١) حتى يستتر به الشخص إذا قضى حاجته فيقول ﷺ: «وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ» هذا على حسن النية فالنية لها شأن عظيم شخص تحصن وتعنف وترك الحرام وجاء إلى الحلال فاستحب الحلال وارتاح به واطمأن نفسه وانشرح صدره بالحلال فله بذلك صدقة حينما أعف نفسه وأعف كذلك زوجته فإن لها أيضًا شهوة فهو مأجور من هذه الوجهة ثم يستدل النبي ﷺ بمفهوم المخالفة وقد سأله الصحابة: «أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟» قال: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ».

أي ذنب وهذا ما يسميه العلماء بقياس العكس فدل ذلك على أنه مأجور.

وقد ذكر الزركشي رحمته الله في البحر المحيط من الأدلة على قياس العكس قال:

(١) أنظر: التعاريف للمناوي (ص ٥٣٣).

ويدل عليه أن الله تعالى دل على التوحيد بالعكس فقال سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء ٢٢] ودل على أن القرآن من عنده بالعكس فقال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢] (١).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هذا النوع من القياس وكذلك أيضا قياس الطرد جمعهم في موطن واحد وهذا بين يدي معالم أصول الفقه للجزيري فيقول هنا: وينقسم القياس إلى: قياس عكسي وقياس طردي فقياس الطرد ما اقتضى إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه وقياس العكس: هو ما اقتضى نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الأصل فيه ومثال هذين القسمين يوضحهما ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بقوله صفحة مائتين وتسعة وثلاثين من مجموع الفتاوى الجزء التاسع قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وما أمر الله به من الإعتبار في كتابه يتناول قياس الطرد وقياس العكس فإنه لما أهلك المكذبين للرسول بتكذيبهم كان من الإعتبار أن يعلم أن من فعل مثل ما فعلوا أصابهم مثل ما أصابهم فيتقي تكذيب الرسول حذار من العقوبة وهذا قياس الطرد ويعلم أن من لم يكذب الرسول لا يصيبه ذلك وهذا قياس العكس (٢).

وهذا ما استدل به كثير من أهل العلم بهذا الحديث في هذا وفي غيره في كتب الأصول يستدلون بهذه اللفظة على قياس العكس حينما قال الصحابة: «أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟» قال: «أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه وزر».

ففي هذا الحديث عدة فوائد منها:

١ - حرص أصحاب النبي ﷺ على الخير.

(١) أنظر: البحر المحيط: كتاب القياس: أقسام القياس الخفي: النوع الثالث قياس العكس.

(٢) معلم أصول الفقه للجزيري (١٨٨).

٢- المسارعة إلى فعل الخيرات.

٣- استواء الفقير والغني في الأعمال البدنية مثل الصلاة والصيام.... إلخ فإن فقراء الصحابة لما طبقوا هذا الحديث علم بذلك إخوانهم من الأنصار فعملوا مثل عملهم فجاءوا إلى النبي ﷺ يشتكون قالوا: سمع بذلك إخواننا من الأنصار ففعلوا مثل ما فعلنا فابتسم النبي ﷺ وقال: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(١).

٤- كذلك في الحديث إثبات قياس العكس الذي استدل به كثير من الفقهاء والأصوليين في كتبهم استنادا إلى كتاب الله وإلى سنة النبي ﷺ ومنها هذا فإنهم ذكروه بغزارة في كتبهم.

والله أعلم.



(١) رواه مسلم (٥٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢٦]

{ فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم وإعانتهم }

عن أبي هريرة ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» رواه البخاري ومسلم ^(٢).

المراد بالسلامى هي المفاصل مفاصل الإنسان وقيل: عظامه والمعنى لا يختلف وقد ورد في صحيح مسلم أنها ثلاثمائة وستين مفصلاً ^(٣) وهكذا في الطب الحديث والقديم أنها كذلك فحصل الإتفاق فيكون لكل أسبوع ألفين وخمسمائة وعشرون صدقة فلهذا يقول نبينا ﷺ: «عليه صدقة» وعليه اسم فعل أمر بمعنى يلزمه أن يتصدق على أعضائه وأجزاء بدنه وأمر الصدقة أمر هين جدا كان النبي ﷺ إذا قام من نومه قال:

(١) سبق ترجمته عند الحديث (٩).

(٢) البخاري (٢٥٦٠، ٢٧٣٤، ٣٨٢٧) ومسلم (١٠٠٧) وأحمد (٨١٦٨، ٨٣٣٦، ٨٥٩٣) عن أبي

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سيأتي ذكر الحديث بتمامه بعد خمسة أسطر.

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١) وفي رواية: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذَنَ لِي بِذِكْرِهِ»^(٢). فهذه التسيبحات والتهليلات هي صدقة والحديث له روايات هذا من حديث أبي هريرة في الصحيحين.

وجاء في صحيح مسلم من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمَدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ السَّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ رَحَّزَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ» قَالَ أَبُو تَوْبَةَ: وَرَبَّمَا قَالَ: «يُمْسِي»^(٣).

وهذا الحديث يفسر الحديث السابق. وجاء في صحيح مسلم فيما يختصر هذا العمل كله اختصارا والحديث في مسلم من رواية أبي الأسود الديلي ويقال: الدؤلي ويقال: الدالي عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «صَبَحُ عَلَى كُلِّ سَلَامَةٍ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ

(١) البخاري ومسلم: رواه البخاري (٥٩٥٣، ٥٩٥٥، ٥٩٦٥، ٦٩٥٩) وأحمد (٢٣٣١٩) وأبو داود (٥٠٤٩) والترمذي (٣٤١٧) والنسائي في الكبرى (١٠٦٩٢) وابن ماجه (٣٨٨٠) عن حذيفة رضي الله عنه، ورواه البخاري (٥٩٦٦، ٦٩٦٠) وأحمد (٢١٤٠٤) عن أبي ذر رضي الله عنه، ورواه مسلم (٢٧١١) وأحمد (١٨٦٢٦) والنسائي في الكبرى (١٠٦٠٨) عن البراء رضي الله عنه.

(٢) حسن: الترمذي (٣٤٠١) والنسائي في الكبرى (١٠٧٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني: صحيح الترمذي (٢٧٠٧) وصحيح الجامع (٧١٦).

(٣) رواه مسلم (١٠٠٧).

يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»^(١) فهذا إرشاد نبوي يبين فيه النبي ﷺ ويختصر هذا الأمر على من أراد أن يطبق ما أخبر به النبي ﷺ ليؤدي زكاة وصدقة هذه النعم التي هو يتغذى بها فالله ﷻ أعطاك العين تنظر والأذن تسمع والرجل تمشي واليد تبطش واللسان تتكلم والأسنان.... إلخ.

من أجل أن تقوم في هذه الحياة لتنظر ما أوجب الله عليك فهذه في حد ذاتها نعم كما قال سبحانه: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات ٢١] وقال سبحانه: ﴿وَأَتَذَكَّرُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم ٣٤] كم من نعمة تتقلب بها صباحاً ومساءً فأنت مطالب أن تذكر الله اذكر الله ﷻ كما هو حال شأن المؤمنين ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ دُخْلِ النَّارِ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران ١٩٢] ثم يقول ﷺ: «كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة» فيه استحباب الصلح بين الناس صدقة ولو لم يكن إلا بين رجل وأهله قال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء ١٢٨].

تصلح بين طالبين متخاصمين بين أخوين متشاجرين بين جارين متنافرين ما شاء الله كم لك من الأجر صدقة وهل يدخل في ذلك قضايا الحكومات المسائل القضائية بعضهم يقول: يشمل على أن ذلك حكما وليس صلحا لأن الحكم ما كان

(١) رواه مسلم (٧٢٠) وأحمد (٢١٥١٣) وأبو داود (١٢٨٥)، ٥٢٤٣ عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يتقصى الحقائق وأن يصدر الحكم في صالح من أدلى بالشهود والوثائق فهذا يحكم له حكماً شرعياً أما من حيث الصلح فالصلح يكون فيه شيء من الإجحاف إما لطرف أو للطرفين والنبى ﷺ يقول: «الْصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا صُلْحًا حَرَّمَ حَلَالًا، أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا» (١).

قصة الزبير بن العوام في شراج الحرة كان النبى ﷺ قد أصلح صلحاً بينهم فقال: «أَسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ» قال: حكمت له أن كان ابن عمك قال: «أَسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَحْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ» (٢) فحكم له الحكم الشرعي بالقضاء فهناك حكم وهناك صلح فالصلح يكون فيه شيء من المسامحة بين الخصمين لكن باستطاعة هذا القاضي أن ينوي النية الصالحة فيبت بالقضية وإن كانت حكماً فيكون مأجوراً إن شاء الله.

ثم قال: «وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ» الدابة هنا مطلقة ما يدب على وجه الأرض يدخل في ذلك الجمل السيارة القطار.... إلخ «فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةً» رأيت شخصاً يريد مساعدة من أجل أن تحمل معه أشياء أو ما رضى سيارته تشتغل فتذهب تدف معه السيارة وإن كانت تريد إصلاحها أصلحتها لك بذلك صدقة «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» سواء كانت لله كأن تقول سبحان الله الحمد لله.... إلخ هذه كلها كلمات طيبة «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» هذا ذكر الله لك بذلك صدقة جاء

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٧٧٠) وأبو داود (٣٥٩٤) والحاكم (٢٣٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، والترمذي

(١٣٥٢) وابن ماجه (٢٣٥٣) عن عمر بن عوف رضي الله عنه، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٣٨٦٢).

(٢) البخاري (٢٢٣١، ٢٢٣٢، ٢٢٣٣، ٢٥٦١، ٤٣٠٩) ومسلم (٢٣٥٧) عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه.

في الترمذي أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» (١) ويقول ﷺ: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ» (٢) أو كانت كلمة مع أخيك المسلم قال ﷺ: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ» [البقرة ٨٣] وقال الله ﷻ: «وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا» [الإسراء ٥٣] إخوانك المؤمنين قل لهم الكلام الحسن حتى تكون من ذوي الأخلاق الحسنة.

بني إن البر شيء هين وجه طليق ولسان لين

كلام طيب قل كلمة طيبة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً بل قال بعض العلماء من أهل التفسير: إن رأيت كلمة حسنة انظر إلى أحسن منها يقال: إن أحد الناس رأى في المنام أن أهل بيته ماتوا كلهم صغيرهم وكبيرهم فذهب إلى أحد المؤولين له فأول له الرؤيا فقال له: ستموت أنت ومن معك من الأهل فحزن واغتاظ لذلك ثم ذهب إلى شخص آخر وقال له: إن فلاناً فسر لي رؤيا كذا وكذا فقال: ما رأيت؟ قال: كذا وكذا فقال له: يموت أهلك وتكون أنت من آخرهم موتاً فقبلها منه بل في بعض الأحيان ربما كانت العبارة تخرج من شخص فتقبل ومن شخص آخر لا تقبل.

أذكر أن واحداً كان في قلبه غيظ على شخص فمر من جانبه وهم بمعزل عن التحية الإسلامية أن يقول له: السلام عليكم وكان هذا في الصباح لكن قال له: الأول

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) وابن حبان (٨٢٦) والحاكم (١٨٤٧) وأبو يعلى (٢٢٣٣) ومصنف بن أبي شيبة (٢٩٤٣٨) والبخاري (٢٤٦٨) عن جابر رضي الله عنه، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٦٤٢٩).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٥٢٥) وابن حبان (٧٤١٠) ومسنند أبي يعلى (٦١٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٥٦٤٧).

بصوت هادئ «صباح الخير» فذاك ردها بقوة وصوت مزعج مرتفع قال: «صباح الخير» أنت لكن شوف كيف مخرجها من الأول سلسلة ومخرجها من الثاني ما كانت كذلك عبارة أنت تلفظها وأنت تبسم تقع في قلب صاحبها موقعا كما قيل:

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكننا

وعبرة نفس العبارة تخرج من شخص لا تجد لها محلاً إما خرجت بعبوسة أو في وقت غير الوقت فكان الأولى أن تطلق عبارتك مع عدوك أو صديقك قريبك أو بعيدك وتريد من وراء هذه العبارة رضاء الله ﷻ في هذا الكلام فإن «مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنْعَ لِلَّهِ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(١) كما صح ذلك عن نبينا ﷺ، فأنت قل الكلام الطيب حتى تكون إن شاء الله من الطيبين. ثم قال ﷺ: «وَكُلُّ حُطُوءٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ» ويقول ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»^(٢) ويقول ﷺ: «مَنْ عَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا عَدَا أَوْ رَاحَ»^(٣) كان بعض الصالحين إذا خرج إلى المسجد يقارب الخطا من أجل أيش؟ الأجر.

(١) حسن صحيح: رواه أحمد (١٥٦٥٥، ١٥٦٧٦) وأبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامة رضي الله عنه، والترمذي (٢٥٢١) وابن حبان (٢٦٩٤) والبيهقي في الشعب (١٥) عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه وحسن الألباني: في صحيح الترغيب (٣٠٢٨) حديث معاذ وصحح حديث أبي أمامة في صحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٢) مسلم (٢٥١) ومالك في الموطأ (٣٨٤) وأحمد (٨٠٠٨) والترمذي (٥١) والنسائي (١٤٣) وابن ماجة بمعناه (٤٢٨) وصحيح ابن خزيمة (٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٦٣١) ومسلم (٦٦٩) وأحمد (١٠٦١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى جوار مسجد النبي ﷺ فماذا قال لهم النبي ﷺ: «دِيَارَكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ»^(١) وكره رسول الله ﷺ أن يجتمع كلهم جنب المسجد حتى لا تعرى المدينة، فقال: «يَا بَنِي سَلَمَةَ أَلَا تَحْتَسِبُونَ آثَارَكُمْ» فَأَقَامُوا^(٢).

استنبط الحافظ ابن حجر من هذا أن على حاكم المسلمين أن يحفظ الثغور ومداخل المدينة حتى شوف الآن مطبق تحصل حدود المنطقة أو حدود المحافظة في معسكرات وفي نقط هذا كله مستند إلى مثل هذا فالنبي ﷺ كره إجتماع الصحابة بجوار المسجد وتركهم للمدينة تعرى.

ثم قال ﷺ: «وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» أذى تراه في طريقك أزلته يقول النبي ﷺ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» الحديث^(٣) ويقول النبي ﷺ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بَغْصَنٍ نَحَاهُ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ»^(٤) هل يدخل في ذلك سد البيارة التي فتحت وما سكرت نعم من مر وغطاها وأرجع فيها التراب يدخل في ذلك لأنه لو وقع واحد فيها يتحمل الإثم من فتحها هل يدخل في ذلك رفع القراطيس.... إلخ نعم حتى وأنت على سيارتك رأيت كلبا ميت أو حجارة ومن السهل تنزل أن ترفعها إرفعها ولك في ذلك صدقة «ويجزئ من ذلك ركعتان من الضحى»^(٥).

(١) مسلم (٦٦٥) وأحمد (١٤٦٠٦) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٦٢٥، ١٧٨٨) وأحمد (١٢٠٥٢) وابن ماجه (٧٨٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) في الصحيحين: سبق مراراً.

(٤) صحيح: وقد سبق.

(٥) صحيح: هذه الزيادة أخرجه أبو داود (١٢٨٥، ٥٢٤٣) عن أبي ذر رضي الله عنه، وصححها الألباني: صحيح

الجامع (٨٠٩٦).

وقت الضحى من طلوع الشمس إلى قبل الزوال برقع ساعة وأيضا تسمى وقت الشروق وأكثرها ثمان وأقلها ركعتان.

نستفيد من هذا الحديث:

١- وجوب الصدقة على كل عضو بما ذكر في الحديث.

٢- طلوع الشمس دليل على دورانها كما قال الله ﷻ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آِلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿ [يس ٣٨-٤٠]. وقال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس «تدري أين تذهب». قلت الله ورسوله أعلم قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويؤشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٨﴾ [يس ٣٨]»^(١) فهذا دليل على دورانها وجريانها وأنها هي التي تدور وبطلوعها يكون الليل والنهار واختلاف الفصول وأن الأرض هي الأرض ثابتة لا تدور قال سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَمْدَكَ بِكُمْ وَبَشَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [لقمان ١٠]. وهناك من العلماء من يقول: أنها تدور ولكن ما جاءوا بحقيقة قطعية وكذلك نحن أيضا ليست أدلتنا قطعية هي أدلة ظنية لكن نحن نقول: لا بأس بعمل بهذا حتى تأتينا أدلة قطعية نقطع بذلك ثم هذه من المسائل التي لا يقام عليها ولا وبراء^(٢).

(١) البخاري (٣٠٢٧، ٤٥٢٤، ٤٥٢٥، ٦٩٨٨، ٦٩٩٦) ومسلم (١٥٩).

(٢) ذكر العثيمين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عشرة أدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الأرض ودوران الشمس. أنظرها -

- ٣- ثالثاً: فضيلة العدل بين الخصمين فلك في ذلك الأجر.
- ٤- رابعاً: الحث على معونة الرجل أخاه بقدر استطاعته.
- ٥- خامساً: الحث على الكلمة الطيبة.
- ٦- أخيراً: إزالة الأذى عن طريق المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



[٢٧]

{ البر حسن الخلق }

عن النواس بن سمعان^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» رواه مسلم^(٢).

وعن وابصة بن معبد رضي الله تعالى عنه قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم وقال: اسْتَفْتِ نَفْسَكَ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ» ثَلَاثًا «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ».

(١) النواس بن سمعان الكلابي ويقال الأنصاري له صحبة قال بعضهم هو بن سمعان بن خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب روى عن النبي ﷺ وعنه أبو إدريس الخولاني وجبير بن نفير الحضرمي قال بن عبد البر يقال أبوه وفد على النبي ﷺ فدعا له وتزوج أخته فلما دخلت على النبي ﷺ تعوذت منه فتركها وهي الكلابية قلت (ابن حجر) قد اختلف في اسم الكلابية على أقوال ليس هذا محل حكايتها وقال أبو حاتم الرازي وأبو أحمد العسكري أن النواس سكن الشام روى له البخاري في الأدب والباقون.

الإصابة (٤٧٨/٦) رقم (٨٨٢٨) وتهذيب الكمال (٣٧/٣) رقم (٦٤٨٦) وتهذيب التهذيب (٤٢٨/١٠) رقم (٨٦٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٣) وأحمد (١٧٦٦٨، ١٧٦٦٩، ١٧٦٧٠) والترمذي (٢٣٨٩) والحاكم (٢١٧٢) وابن حبان (٣٩٧) والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٥).

حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدرامي بإسناد حسن^(١).

في هذا الحديث المبارك يبين نبينا ﷺ معاني الخير وأقسام الخير وأنواع الخير بكلمة مختصرة لأنه ﷺ أوتي جوامع الكلم قال ﷺ «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»^(٢) فبين ﷺ أن البر هو حسن الخلق وكلمة البر كلمة جامعة لمعاني الخير قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة ٢].

فكل ما تعارف عليه الناس أنه من الخير وجب على المسلمين أن يتعاونوا عليه قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَمَا رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ»^(٣) ويقول ﷺ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (١٨٠٢٨، ١٨٠٣٠، ١٨٠٣٥) والدارمي (٢٥٣٣) والطبراني في الكبير (٤٠٣) وأبو يعلى (١٥٨٦، ١٥٨٧) وأنظر: صحيح الترغيب (١٧٣٤)، ومثله ما أخرجه أحمد (١٧٧٧٧) والطبراني في الكبير (٥٨٥) عن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٨٨١) والمشكاة (١٧٣٥) والشيخ مقبل الوادعي: الصحيح المسند (١٢٢٢).

(٢) رواه مسلم (٥٢٣) وأحمد (٩٣٢٦) والترمذي (١٥٥٣) وابن حبان (٢٣١٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حسن: رواه أحمد (٣٦٠٠) والحاكم (٤٤٦٥) والطيالسي (٢٤٦) والطبراني في الأوسط (٣٦٠٢) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني موقوفًا: شرح الطحاوية (٥٣٠) وشعيب: تحقيق المسند (٣٦٠٠).

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

[البقرة ١٧٧] هذه الآية عدت كثيرا من أنواع الخير ويبين ﷺ أنه ليس البر أن يتولى الرجل فقط بعبادة أو بطاعة شرقاً أو غرباً فليس هذا هو المقصود. قال الإمام السعدي رحمه الله عند هذه الآية من سورة البقرة رقم (١٧٧) أي ليس هذا هو البر المقصود من العباد فيكون كثرة البحث فيه من الجدال والعناء الذي ليس تحته إلا الشقاق والخلاف وهذا نظير قوله ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (١).

﴿وَلَكِنَّ الْإِبْرَءَانَ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ أي بأنه إله واحد موصوف بكل صفة كمال منزّه عن كل نقص.

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهو كل ما أخبر به الله في كتابه أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت. إلى أن قال: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة والأعمال التي هي آثار الإيمان وبرهانه ونوره والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي في إيمانهم لأن أعمالهم صدقت إيمانهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ لأنهم تركوا المحظور وفعلوا المأمور لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير تضمننا ولزوماً لأن الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات ومن قام بها كان بما سواها أقوم فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون وقد علم ما رتب الله على هذه الأمور

(١) متفق عليه: وقد سبق.

الثلاثة من الثواب الدنيوي والأخروي مما لا يمكن تفصيله في مثل هذا الموضع (١).

هذا من خلال تعديد هذه الخصال بعد أن قال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ﴾ ثم ذكر بعد ذلك ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ الآية

فيقول **رحمته**: «البر حسن الخلق» عبارة جامعة شاملة لكل أنواع البر.

وحسن الخلق على قسمين:

١ - خلق مع الله: تتخلق مع الله بحسن الخلق والخلق مع الله يكون بتلقى أحكامه القدريّة والشرعية من غير اعتراض وإنما يرضى ويسلم فلا يكون في القلب ضيق ولا حرج سواء كان أمراً قدرياً ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ [البقرة ١٥٦ - ١٥٧]

وقال **رحمته**: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى» (٢) وقال **رحمته**: «وإنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (٣).

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبتئن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

فمتى سلمت أمورك لله استرحت أيما استراحة لماذا؟ لأن القدر حتمي.

وكل شيء بالقضاء والقدر وكل مقدور فما منه مفر

(١) تفسير السعدي (ص ٨٣) الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة.

(٢) البخاري (١٢٢٤، ٥٣٣١، ٦٢٢٨، ٦٢٧٩، ٦٩٤٢، ٧٠١٠) ومسلم (٩٢٣) وأحمد (٢١٨٢٤،

٢١٨٣٧) وأبو داود (٣١٢٥) والنسائي (١٨٦٨) وابن ماجه (١٥٨٨) عن أسامة بن زيد **رحمته**.

(٣) رواه مسلم (٢٦٦٤) والنسائي في الكبرى (١٠٤٦١) وابن ماجه (٧٩) عن أبي هريرة **رحمته**.

فكن له مسلماً كي تسلماً واتبع سبيل الناسكين العلماء

فكذلك أيضاً حسن خلق مع الله في الأحكام الشرعية صلاة زكاة غرض بصر حقوق الوالدين صلاة الفجر إسباغ الوضوء على المكاره فعل المأمور ترك المحذور قال الله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[العنكبوت ٦٩].

وقال الله ﷻ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور ٥١].

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء ٦٥]. هذا حسن خلق مع الخالق ﷻ.

٢ - حسن الخلق مع المخلوقين:

أما حسن الخلق مع المخلوقين فقد ترددت هذه العبارة معنا كثيراً وأظن الكثير قد حفظوها فحسن الخلق مع المخلوق يكون بذي الندى بذل الخير قال النبي ﷺ: «كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (١).

الحديث بمجرد ما تحمل المتاع مع أخيك أو رأيت سيارته قد عطلت دفيئها

(١) في الصحيحين: وقد سبق برقم (٢٦) من الأربعين النووية.

معه إن كان عندك خبرة في الإصلاح أصلحتها تحصلت على ذلك صدقة فبذل الخير للناس خير دنيوي وخير أخروي علم التجويد علم القرآن علم الصلاة علم الوضوء ديننا ليس فيه أسرار واضح كوضوح الشمس في رابعتها.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فعن حمران مولى عثمان أنه رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه إلى المرافق ثلاث مرات ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

فكان يعلم الناس الخير، فبذل الخير للناس سواء كان خيرا دينيا أو خيرا دنيويا صدقة ومن حسن الخلق.

كف الأذى تكف عن الناس أذاك المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام...» الحديث^(٢) ويقول صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ! لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»^(٣) ثم اتجه ابن عمر راوية هذا الحديث إلى

(١) البخاري (١٥٨، ١٦٢، ١٨٣٢) ومسلم (٢٢٦) وأحمد (٤١٨) وأبوداود (١٠٦) والنسائي (١١٦، ٨٤).

(٢) رواه مسلم: وقد سبق مرارًا وسيأتي برقم (٣٥) من الأربعين النووية.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

الكعبة قال: «ما أعظم وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» (١).

ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب ٥٨] هذا من الظلم ويكون الظلم شديد إذا كان على الأقرباء وعلى إخوانك الزملاء.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وطلاقة الوجه عند اللقاء أن تكون بشوشاً قال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (٢) وقال ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (٣).

فلا تحمل الكرة الأرضية على رأسك خل الأرض على ما هي عليه وانشغل بعييك وبذنبك فإذا ما صادفت أخا مسلماً فبش في وجهه وأدخل السرور عليه وحيه بالسلام وتكون قد ربحت ثلاثين حسنة نقداً.

حسن الخلق قد يفسر بأعظم من هذا فكل ما كان من الأخلاق الحسنة وجب على المسلم أن يتبعها لا تغضب أخاك لا تمد رجلك إلى وجهه في حال الجلوس إن تكلم أصغيت إلى خطابه احترام الكبير وراحم الصغير واعرف لعالمك حقه ليكن في قلبك موطن لحب المسلمين والإستغفار لهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

(١) صحيح موقوف: وقد تقدم.

(٢) مسلم (٢٦٢٦) وأحمد (٢١٥٥٩) والترمذي (١٨٣٣) وابن حبان (٥٢٣) والبخاري في الأدب (٣٠٤) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (١٩٥٦) وابن حبان (٤٧٤، ٥٢٩) والبخاري في الأدب (٨٩١) والبيهقي في الشعب (٣٣٧٧) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٩٠٨) وانظر: الصحيحة (٥٧٢).

لَنَا وَإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر ١٠] ويقول ﷺ: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً» (١) فلو كان المسلمون مليون كان لك مليون حسنة وهكذا هذا خير كثير والله فلنوطن أنفسنا أيضا على كل شعيرة وكل خلة يحمد بها الرجل وكذلك المرأة فإن هذا من حسن الخلق.

ثم يبين ﷺ: «وَالِإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ» الإثم ضد البر «وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْه النَّاسُ» يعني ما تردد في صدرك هذا إثم وهذا خاص بأهل الاستقامة كما سيأتي موضح في حديث قبيصة بن معبد رضي الله تعالى عنه أما الفجار ربما يتبجحون ويذكرون ما جرت لهم من المعاصي ومن السيئات وربما يقول: إنه فجر بامرأة وشرب كاسات من الخمر وفعل وفعل..... إلخ يظن هذه محمودة ومنقبة وهذا والله ليس إلا من المجاهرة والنبي ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَاْفَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ» (٢).

وحديث وابصة بن معبد يوضح هذا قال: وعن وابصة بن معبد قال: أتيت النبي ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البر» وقد جاء في بعضها: أن وابصة تخطى الرقاب فقال بعضهم: إليك يا وابصة عن رسول الله قال: دعوني والله إني لأحبه فقال النبي ﷺ: «وسعوا لوابصة» فلما تقدم على النبي ﷺ قال له: «يا وابصة أخبرك ما جئت تسألني عنه أو تسألني؟» قال: بل أخبرني.

قال: «جئت تسأل عن البر؟» وفي هذا فائدة: جواز حذف همزة الإستفهام إذا دل الدليل عليها لأنه قد قال: «جئت تسأل عن البر؟» قال: نعم. فما الذي أدرى

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) البخاري (٥٧٢١) ومسلم (٢٩٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

النبي ﷺ؟ قيل: فراسة وقيل: لعله قد عرف أن وابصة سيأتي يسأل عن البر وبعض أهل العلم يقول: لا ينبغي أن نسأل عن مثل هذه الأعيان فإن رسول الله ﷺ قد يكون هذا من أمور الغيب التي نحن لا نعلمها قال وابصة: أتيت النبي ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم قال: استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس» أي ما استقرت كما في حديث المسيء صلاته في الصحيحين: «ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدَلَ قَائِمًا»^(١) أي حتى تستقر قال: «اسْتَفْتِ نَفْسَكَ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ» ثلاثاً «الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِنَّمْ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ» هذا خاص بأهل الاستقامة والدين فإنه وإن أفتاه من أفتى يجد أنه توجد أشياء تخالجه فالأولى أن يتركها لقول النبي ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»^(٢) وقوله ﷺ: «فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ»^(٣) ذكروا في ترجمة الإمام أحمد أنه حينما جاء إلى اليمن يطلب العلم كان له سطل يغسل به ملابسه فاحتاج أحمد وما كان معه فلوس - الآن ربما يترك طلب العلم ويمشي - رهن السطل - وهكذا طلبة العلم دائماً في احتياج -

قيل للفقير أين أنت مقيم قال في عمائم الفقهاء

رهن السطل عند صاحب دكان في صنعاء ثم ذهب يشتغل فذهب إلى صاحب الدكان قال: هذا فكاك السطل هات فأخرج سطلين قال: اختر أيهما لك فقال أحمد: قد أشبه علي فقال له الرجل: إنما أردت أن أختبرك خذ سطلك هذا سطلك

(١) رواه الجماعة: البخاري (٧٢٤، ٧٦٠، ٥٨٩٧، ٦٢٩٠) ومسلم (٣٩٧) وأحمد (٩٦٣٣) وأبو داود

(٨٥٦) والترمذي (٣٠٣) والنسائي (٨٨٤) وابن ماجه (١٠٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: وقد سبق برقم (١١) من الأربعين النووية.

(٣) في الصحيحين: وقد سبق برقم (٦) من الأربعين النووية.

قال: لا والله لا آخذه ورفض أن يأخذه لأن فيه شبهة^(١).

فهذا الحديث وأمثاله لمن تردد في قلبه شيء وإن كان الناس يفتونه بأنه يجوز وبأنه حلال لكن في أشياء في الصدر ما انسجمت معه فالأولى أن يترك هذا الله ﷻ فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه وربما بعض الناس يسأل عالماً أو فقيهاً وما يوضح السؤال على حقيقته يبقى أشياء إما أنه أهملها أو أراد أن يهملها أو استحيا من أن يصرح بها فيأخذ الفتوى لا لا ينبغي له ذلك لأنه كتم أشياء ما وضحها فإذا لم يوضح له ولم يستوضح منه فله أن يسأل عالماً آخر فإن هذا دينك لحملك ودمك كما قال ابن عمر رضي الله عنهما.

الدين رأس الأمر فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

وهل في اللفظة دليل على ما ذهبت إليه بعض طوائف الصوفية وهو أنه لا بد من الرجوع إلى القلب وإلى الوجد وإلى الشعور لا لا المرجع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إن كان النص واضحاً فإذا لم يكن فهنا استفت قلبك وإن أفتاك من أفتى أما هؤلاء فهم يعيدون كل شيء إلى قلوبهم يقول قائلهم: حدثني قلبي عن ربي وقال آخر وهو يعيب على السند والدليل قال:

كم بين قولي عن أبي عن جده وأبي أبي فهو الإمام الهادي
وفتي يقول روى لنا أשיخنا ما ذلك الإسناد من إسناد

وقال آخر: إن طالبوني بعلم الورق برزت إليهم بعلم الخرق والخرق الخضراء ويقولون: هذا لباس المسيح عيسى بن مريم فهم يعيشون على شيء إلى الوجد وإلى

(١) أنظر: هذه القصة في: تأريخ دمشق (٣٠١/٥) وصفة الصفوة (٣٤٧/٢، ٣٤٨) والبداية والنهاية

الشعور وإلى القلب والصحيح أن يعاد ذلك كله إلى الكتاب والسنة قال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى ١٠] وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء ٥٩]. قال النووي في رياض الصالحين: قال العلماء: «معناه: إلى الكتاب والسنة» (١).

قال أبو ذر: «تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يطير بين السماء والأرض إلا ذكر لنا منه علماً» (٢) فلا يجوز الرجوع بشيء من ذلك إلى القلب إلا لمن كان مستقيماً ملتزماً بكتاب الله وبسنة النبي ﷺ مستقيماً قلبه في هذا الرأي أما أهل المعاصي والجرائم فلا يتأثرون فعنده المنكر منكر لأن قلبه أسود يمر على الخطأ ولا يدري ولا على البدعة.... إلخ لا يبالي بخلاف طالب العلم بخلاف العالم فإنه يخشى الله ﷻ فأى شيء جديد دخل في قلبه فإنه لا يستطيع أن يجمع القلب ولا أن يساكنه فيتأثر فنهنا يتركه وينزل عليه حديث النبي ﷺ: «استفت قلبك وإن أفتاك من أفتى».

فهذا خاص بالعلماء وبالمستقيمين أما بالنسبة للعامة تراه يشرب السجاجة ويصافح النساء الأجنبية تجيء تقل له: استفت قلبك يقول لك: تمام هذا ولا في شيء فلا يجوز لهؤلاء أن يقال لهم: استفتوا قلوبكم وإنما العالم هو الذي يستفتي قلبه كنت منشراح الصدر جلس بجانبك زميل ما شعرت إلا والقلب قد بدأ يتغير إما

(١) أنظر: رياض الصالحين (ص ١٨٩) باب الأمر بالمحافظة على السنة آدابها.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٣٩٩، ٢١٤٧٧) وابن حبان (٦٥) والطيالسي (٤٧٩) عن أبي ذر رضي الله عنه، وأبو

يعلى (٥١٠٩) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه الألباني: الصحيحة (١٨٠٣).

إلى دنيا أو روائك صورة عارية أو فعل كذا وكذا من الأفاعيل فوجدت التغيير فهنا احذره فإنه إيليس ظهر بصورة إنسان أو أبا جهل بعث من قليب بدر لا تجلس معه وقل له: سلام عليكم انتهى لأنه حصل التغيير في قلبك فكان للصالحين معرفة دقيقة بهذا حتى قال بعضهم:

قلوب العارفين لها حنين إلى الرحمن رب العالمين

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر ٧٥] أي للمتفرسين.

وكان عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن معين وكثير من العلماء يقولون:

علمنا هذا أي علم الحديث كهانة عند الجهال شيء من الفراسة ومن الفطنة يميزون بين الصحيح والضعيف كما يميز الصيرفي الناقد البصير بين الدنانير والزيوف يستطيع أن يبين لأنه صاحب حرفة وصاحب مهنة وتأمل الآن مهندس في مجال السيارات يخرج لك العطل دكتور ما هو في العيون في الآذان في المخ في العصب يفهم فهما بالكمبيوتر على طول وهكذا العالم يفهم مثل هذا هذه بضاعة العلماء وبضاعة الفقهاء فلا بد أن يكون هذا الحديث إنما هو لهم: «استفت قلبك وإن أفثاك من أفتي».

وأختم ذلك بحديث النبي ﷺ: «الصدق طمأنينة والكذب رية»^(١).

لو أنك تزاول عملاً من الأعمال المباحة ما الذي تخشاه مثلاً تصلي في المسجد أو تعمل في مزرعتك تعمل في جدار بيتك ما في شيء لكن مثلاً لو أنك تشرب السيجارة تستعمل الشمة تخزن القات تنظر إلى النساء تتفرج على التلفزيون أشياء استفت قلبك هل من خرج لرعي الغنيمات أو خرج مع زوجته كمن هو متلبس

(١) صحيح: وقد سبق برقم (١١) من الأربعين النووية. وهو حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما.

بمعصية لا يمكن «إن الحلال بين وإن الحرام بين.....» الحديث (١).

بل سمعت بعض المعاصرين يقول: على مستوى القلط فإنها إن أعطيت قطعة من اللحم تأكلها أمام الرجل لماذا ؟ لأنه حلال القطعة تدرك وإن كان ذلك خلصة أخذته القطعة وهربت بعيدا سبحانه الله لماذا لا تأكله ؟

لأنه نصب واحتيال وسرقة حتى يروى أن رجلاً أتى بكيلو من اللحم فكان في امرأة عند زوجته فضيفتها بهذا الكيلو المهم أنه أكل فجاء الرجل يتغدى ما وجد شيئاً من اللحم فالمرأة كذبت على زوجها قالت له: أكلتها القطعة فالرجل غضب وأخذ القطعة وذهب بها إلى الجزار يزنها فبلغت القطعة كيلو قال: هذا الكيلو اللحم وإلا القطعة ما حصل عنده تصديق لامرأته فعلى أية حال على المؤمن أن يكون مراقباً لقلبه أشد المراقبة فمتى ما بدا التغيير عرف أن هناك خلل فعليه أن يصلحه فإن الفتن تعرض على القلوب عوداً عوداً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) هو حديث النعمان في الصحيحين: وقد سبق برقم (٦) من الأربعين النووية.

[٢٨]

{ وجوب لزوم السنة واجتناب البدع }

عن أبي نجیح العریاض بن ساریة ^(١) رَوَى اللَّهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعْيُونَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّا مَوْعِظَةٌ مَوْعِدٌ فَأَوْصَانَا قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْشُ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ^(٢).

(١) العریاض بن ساریة: السلمي یکنی أبا نجیح، کان من أهل الصفة وهو أحد البکائین الذین نزل فیهم «ولا علی الذین إذا ما أتوک لتحملهم» نزل الشام وسکن حمص روى عن النبی ﷺ ومات بالشام سنة خمس وسبعین. وقیل: بل مات فی فتنه ابن الزبیر. روى عنه من الصحابة أبو رهم وأبو أمامة. وروی عنه جماعة من تابعی أهل الشام. أنظر: تهذیب الکمال (١٩/ ٥٥٠) رقم (٣٨٩٤).

(٢) صحیح: رواه أحمد (١٧١٨٤، ١٧١٨٥) وأبو داود (٤٦٠٧) والتِّرْمِذِيُّ (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣)، (٤٢) والحاكم (٣٣٢) وابن حبان (٥) والدارمي (٩٥) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٤) رقم (٢٠١٢٥) والشعب (٧٥١٥). وصححه الألبانی فی: صحیح الجامع (٢٥٤٩) والصحيحه (٢٧٣٥) والإرواء (٢٤٥٥) والمشكاة (١٦٥).

فائدة الحديث صححه جماعة من أهل العلم. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

العرباض بن سارية صحابي جليل ينقل ما سمعه وسمعه غيره من أصحاب رسول الله بدلالة قوله: وعظنا والوعظ هو التذكير بما يلين القلوب سواء كان ترغيباً أو ترهيباً وقد كان النبي ﷺ يتخول الصحابة بالموعظة تخولاً خشية السامة كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه (١).

والله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٧﴾ [يونس ٥٧-٥٨].

والناس يحتاجون إلى الوعظ وإلى التذكير والبعض يهون من شأن الوعظ

=

وابن تيمية في: مجموع الفتاوى (٣٠٩ / ٢٠) واقتضاء الصراط المستقيم ص (٢٦٧).
وقال ابن القيم: في إعلام الموقعين (١٤٠ / ٤): «وهذا حديث حسن. إسناده لا بأس به».
وقال الهروي: «وهذا من أجود حديث أهل الشام»، وقال البراز: «حديث ثابت صحيح»، وقال البغوي: «حديث حسن»، وقال ابن عبد البر: «حديث ثابت»، وقال الحاكم: «صحيح ليس له علة» ووافقه الذهبي.
وقال أبو نعيم: «هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين».
وصححه النووي بإيراده له هنا في الأربعين. وحسنه البغوي في شرح السنة (١٠٢).
وقال ابن كثير في «تحفة الطالب» رقم: ٣٦: صححه الحاكم، وقال: ولا أعلم له علة.
وصححه أيضاً الحافظ أبو نعيم الأصبهاني والدغولي وابن حبان.
وقال شيخ الإسلام الأنصاري: هو أجود حديث في أهل الشام وأحسنه».
وقال الشيخ مقبل الوادعي: في الدلائل (ص ٤٧٦): الحديث حسن لغيره وله طرق يرتقي بها إلى الصحة.
أنظر: الإرواء (٨ / ١٥٠ / رقم ٢٤٥٥) وتشبيهه الخسيس بأهل الخميس للذهبي تحقيق مشهور حسن ص (٢٧).

(١) روى ذلك البخاري (٦٨، ٧٠، ٦٠٤٨) ومسلم (٢٨٢١) وأحمد (٣٥٨١) ومواضع والترمذي (٢٨٥٥).

وربما ينفر عنه لا سيما الذين ابتلوا بالعجب والغرور وكذا ربما بشيء من الغلو فإن رأى الناس يجتمعون إلى الواعظ قال: لا داعي لهذا والله در من قال:

أن صح أن الوعظ أصبح فضلة فالموت أرفق بالنفوس وأرحم
فلولا رياح الوعظ ما خاض زورق ولا عبرت بالمبحرين البواخر

فالوعظ إن كان منشؤه القرآن والسنة فنعما هو أما أن كان منشؤه القصص وفيها الضعيف وما لا أصل له من أجل ترغيب قلوب الناس فهذا يطرح ولا يؤبه له ولا يحتاج إليه لأن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الباقية: ٦].

فما أحوج المسلم إلى الوعظ من القرآن ومن السنة ومن حياة السلف الصالح ففيه والله غنية قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]. ورسول الله ﷺ أوتي جوامع الكلم أوتي الفصاحة والبلاغة والبيان فكما قال هذا الصحابي: وعظنا رسول الله موعظة في بعض الروايات: بليغة والبلاغة في الموعظة يكون أقرب إلى القلوب واستجذابها.

والبلاغة هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة فمن آتاه الله ﷻ بلاغة وفصاحة فليحمد الله هذا من فضل الله ورحمته بالعبد وليعلم أن هذا ابتلاء واختبار فعليه أن يطابق الكلام المقتضي للحال وإلا فقد مر النبي ﷺ ليلة أسري به على بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قال: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ حُطَبَاءُ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»

رواه أحمد من حديث أنس بن مالك وهو حديث صحيح (١).

قال: وجلت منها القلوب أي خافت وذرفت منها العيون كناية عن البكا وهذا دليل خير في العبد ذكراً كان أو أنثى إن رق قلبه وسالت دموعه هذا دليل خيرية قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال ٢].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد ١٦].

فحينما رأى الصحابة بلاغة هذه الموعظة قالوا: كأنها موعظة مودع فأوصنا والوصية لا تكون إلا بأمر هام عظيم مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء ١٣١].

وصية يريدون وصية من رسول الله ﷺ بأمر هام فتأملوا إلى وصية النبي ﷺ إلا أن بعض الناس إذا وصى لأولاده يوصيهم على المال حافظوا على المزرعة حافظوا على الحمار على البقر على البضاعة إن كان تاجر وربما يظلم في هذه الوصية البنت الفلانية لا تعطوها شيء كانت تحب زوجها هذا من الإضرار والله ﷻ يذكر عن الأنبياء فيقول ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣٢] أوصوا أبناءهم بهذا الدين

(١) صحيح: رواه أحمد (١٢٢٣٢، ١٢٨٧٩، ١٣٤٤٥، ١٣٥٣٩) وابن حبان (٥٣) والطبراني في الأوسط (٨٢٢٣) وأبو يعلى (٣٩٩٢، ٣٩٩٦) والبيهقي في الشعب (١٧٧٣) وصححه الألباني: الصحيحة (٢٩١) وصحيح الترغيب (١٢٥، ٢٣٢٧) وشعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسنود وابن حبان.

والله ﷻ أوصانا بالتقوى ونبينا ﷺ حينما طلبت منه الوصية قال: «أوصيكم بتقوى الله» وتقوى الله بمعنى مراقبته في السر والعلانية كما قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت» (١) وحسبك من التقوى إن كنت بطلا فعل المأمور وترك المحذور أتت بالواجبات واترك المحرمات قال: «أوصيكم بتقوى الله ﷻ» مراقبته في كل شيء تتقي الله ﷻ في سمعك وفي بصرك وفي قلبك وفي عقلك وفي ذكرك وفي مزاجك وفي لسانك في يدك في قدمك في غسلك من الجنابة في غسلك للجمعة وفي وضوءك في صلاتك في صيامك في بر الوالدين في حبك للفقراء والمساكين في أخوتك لإخوانك فتقوى الله كلمة عامة شاملة.

ليس من يقطع طريقا بطلا إنما من يتقي الله البطل

وقال آخر:

من يتق الله يحمده في عواقبه وكيفه شر من عزوا ومن هانوا
من استجار بغير الله في فزع فإن ناصره عجز وخذلان
فالزم يديك بحبل الله معتصما فإنه الركن إن خانتك أركان

ثم قال ﷺ: «والسمع والطاعة» هذا فيما يتعلق بطاعتك لولي الأمر وجب عليك أن تسمع وأن تطيع والطاعة بالمعروف كما قال النبي ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف» وقد أرسل سرية وأمر عليهم رجلا فحصل ما حصل بينه وبين رعيته في هذه السرية فغضب الأمير وقال: اجمعوا لي حطبا فلما جمعوا له الأحطاب قال: اشعلوها فلما أشعلوها قال: اقتحموها فأراد بعضهم أن يسمع لأنه قد قال لهم: أما قال لكم النبي ﷺ: أن تسمعوا وأن تطيعوا لي قالوا: بلى قال: فاقتحموها فأراد

(١) سبق برقم (١٨) من الأربعين النووية.

البعض وتلكأ البعض وقالوا: إنما فررنا من النار بإيماننا بالله ورسوله فأحجم وقال: إنما أردت اختباركم قال النبي ﷺ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...» ثم قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(١) فيطاع الحاكم المسلم وطاعته من طاعة الله كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء ٥٩].

وأولي الأمر هم العلماء والأمرأء فالعلماء هم القضاة والأمرأء هم المنفذون لقضاء العلماء فيطاعون من طاعة الله ﷻ وجب على المسلم أن يسمع ويطيع وقد كان ﷺ «يأخذ العهد والبيعة من أصحابه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ينازعوا الأمر أهله»^(٢).

هذه عقيدة لا بد أن تكون في قلوبنا نسمع ونطيع لولاة الأمر فإن حصل عندهم شيء من الزلل وجب علينا أن ننصح لهم فالنبي ﷺ يقول: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قال الصحابة: لمن ؟ قالوا: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٣) لا بد من النصيحة ولا محاباة في دين الله ولا مجاملة وإنما ننصح لله والنبي ﷺ يقول: «خَيْرُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ».

(١) روى ذلك البخاري (٤٠٨٥، ٦٧٢٧، ٦٨٣٠) ومسلم (١٨٤٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) روى ذلك البخاري (٦٦٤٧، ٦٧٧٤) ومسلم (١٧٠٩) وفيه (إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله في

برهان) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) سبق برقم (٧) من الأربعين النووية.

قيل يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف ؟ فقال «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولايتكم شيئا تكرهونه، فاكروهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة».

وفي لفظ: «ألا من ولي عليه وال، فرأه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يدا من طاعة»^(١) وللترمذي وحسنه قال رحمته الله «ألا أخبركم بخيار أمرائكم وشرارهم؟ خيارهم الذين تحبونهم ويحبونكم وتدعون لهم ويدعون لكم وشرار أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم»^(٢) عياذا بالله.

قال: «وإن تأمر عليكم عبد» مع أن العبد لا يتأمر ولكن هذا مثال يعني وإن بلغ إلى أن ملك حبشي مجدع الأطراف تسمع وتطيع هذا من باب ضرب المثل ضرب النبي رحمته الله مثالا لهذا المستوى قال: «من بنى مسجدا لله كمفحص قطاة، أو أصغر، بنى الله له بيتا في الجنة»^(٣) المفحص هو نقرة الطائر.

فلولا المزعجات من الليالي لما ترك القطا طيب المنام

هذا طائر يكون في الليل قال: «وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعيش منكم» أي من تطول به الحياة «فسيرى اختلافا كثيرا» كما هو الحال الآن اختلاف في العقائد في

(١) رواه مسلم (١٨٥٥) وأحمد (٢٤٠٢٧، ٢٤٠٤٥) والدارمي (٢٧٩٧) وابن حبان (٤٥٨٩) والطبراني في الكبير (١١٥) عن عوف بن مالك الأشجعي رحمته الله.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٢٦٤) وأبو يعلى (١٦١) والبخاري (٢٩٠) عن عمر رحمته الله، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٥٩٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٥٧) والطيالسي (٢٦١٧) عن ابن عباس رحمته الله، وابن ماجه (٧٣٨) وصحيح ابن خزيمة (١٢٩٢) عن جابر رحمته الله، وابن حبان (١٦١٠) والطيالسي (٤٦١) عن أبي ذر رحمته الله، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٦١٢٨، ٦١٢٩).

المناهج في الحياة السلوكية التعبدية بدع كثيرة قال النبي ﷺ: «كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ، يُغْرِبُلُ النَّاسَ فِيهِ غَرْبَلَةٌ، وَتَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ عُھُودُهُمْ، وَأَمَانَاتُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا، وَكَانُوا هَكَذَا؟» (وشبك بين أصابعه) قالوا كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك؟ قال «تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدْعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتَقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَدْرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ» رواه ابن ماجه (١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويقول النبي ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ» وفي رواية «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ» (٢).

فالاختلاف حاصل بدع عقائد جهمية معتزلة أشاعرة إسماعيلية كفار منافقون إذاعات قنوات بلاء كثير من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به أمام هذه الاختلافات المتلاطمة الأمواج قال ﷺ: «فعليكم» وعليكم هنا اسم فعل أمر بمعنى إلزموا «فعليكم بسنتي» بمعنى طريقة النبي ﷺ السنة يعني الطريقة وفي الشرع: أفعال وأقوال النبي ﷺ «فعليكم بسنتي» قال الزهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة» (٣).

(١) صحيح: رواه أحمد (٦٥٠٨، ٦٩٨٧، ٧٠٤٩، ٧٠٦٣) وأبو داود (٤٣٤٢، ٤٣٤٣) وابن ماجه (٣٩٥٧) والحاكم (٢٦٧١)، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٥٩٤، ٨٧٢٣، ٨١٨٥).

(٢) رواه مسلم (٦، ٧) وأحمد (٨٢٥٠، ٨٥٨٠) وابن حبان (٦٧٦٦) وأبو يعلى (٦٣٨٤) والحاكم (٣٥١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: سنن الدارمي (٩٦) وحلية الأولياء (٣/٣٦٩) والفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٢٣/١١)، وصححه حسين سليم أسد في سنن الدارمي (٥٨/١ رقم ٩٦).

وكان مالك يقول: «السنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» (١).

«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» الخلفاء هم الذين خلفوا النبي ﷺ في ولاية المسلمين الراشدين مأخوذ من الرشد والمهدين أي بلغوا مبلغا من الهداية لأنهم سلكوا طريقة النبي ﷺ

وكلهم من رسول الله مقتبس غرنا من البحر أو رشفنا من الدميم

أول الخلفاء أبو بكر الصديق وكانت خلافته بالنص لا كما تقول الرافضة أنه اعتدى عليها اعتداء جاء في الحديث: «أن امرأة أتت النبي ﷺ فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع إليه قالت يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تريد الموت قال: «نَ لَمْ تَجِدْنِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ» (٢).

والله ﷻ يقول: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء ٦٩]. فكانت مرتبة الصديقية بعد مرتبة النبوة تماما.

ويقول النبي ﷺ: «لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ» (٣).

أسماء المخارج من مسجد النبي ﷺ قالوا: في هذا إشارة إلى أن هذا الباب يكون لأبي بكر يخرج من بيته ليصلي بالناس وهكذا لما كبر عمر وسمع النبي ﷺ تكبيره وكان جهير الصوت «فقال رسول الله ﷺ أليس هذا صوت عمر؟ قالوا بلى.

(١) أنظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٦٢٣).

(٢) رواه البخاري (٤٥٩، ٦٧٩٤، ٦٩٢٧) ومسلم (٢٣٨٦).

(٣) البخاري (٤٥٤، ٣٤٥٤، ٣٦٩٢) ومسلم (٢٣٨٢) عن أبي سعيد، والبخاري (٤٥٥) ومواقع عن

قال: «يأبى الله جل وعز ذلك والمؤمنون مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» (١).

هو الإمام إمام في الصلاة وصاحب الولاية الكبرى ولما مات رسول الله ﷺ حصل خلاف فبعض الأنصار كانوا يقولون: نحن الوزراء وأنتم الأمراء وبعضهم يقول: منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر: سمعت النبي ﷺ يقول: «قريش ولادة هذا الأمر».

فانظروا في أمركم قال عمر: أنت إمامنا وأخذ يد أبي بكر وبايعه ثم بايعه بقية أصحاب النبي ﷺ (٢).

فأبو بكر الصديق الأكبر هو إمام المسلمين بالنص وبالمشورة وبالإجماع رغما عن أنوف الرافضة والرافضة هؤلاء أصحاب مشاكل طائفة تقول: كانت الرسالة لعلي وجبريل خان الرسالة وطائفة تقول: علي ظلم ظلمه أبو بكر فلذلك يسبون أبا بكر وعمر، وعلي بريء من طريقة الرافضة ومن طريقة الناصبة، أما عمر الفاروق فكانت ولايته بإشارة من أبي بكر وبالإجماع فقد كانوا يعلمون أنه لا أحد يتقدم على عمر بعد موت أبي بكر الصديق ﷺ لما له من السابقة في الإسلام فقد كان النبي ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر خرجت أنا وأبو بكر وعمر» (٣).

(١) البخاري (٥٣٤٢، ٦٧٩١) ومسلم (٢٣٨٧) دون ذكر صلاة عمر بالصحابة فقد رواها أحمد (٢٤١٠٧) وأبوداود (٤٦٦٠) وصححها الألباني في سنن أبي داود وشعيب في المسند برقم (٢٤١٠٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٣٩١) والصحيحة (١١٥٦) عن أبي بكر وسعد بن عبادَةَ ﷺ. وانظر: قصة استخلاف أبي بكر ﷺ البخاري (٣٤٦٧، ٦٤٤٢) والبداية والنهاية (٢٤٧/٥) والعواصم من القواصم (١/٦١) وغيرها من كتب السيرة.

(٣) البخاري (٣٤٧٤، ٣٤٨٢) ومسلم (٢٣٨٩) وأحمد (٨٩٨) والنسائي في الكبرى (٨١١٥) وابن

وأما عثمان فقد كانت مشورة بين ستة من أصحاب النبي ﷺ فكانت الإشارة إليه ثم بعد ذلك مات عثمان بعد اثني عشر عاما وحصل خلاف بين الصحابة ثم استقر الرأي على أن يكون علي بن أبي طالب هو الأمير أمير المؤمنين ثم حصل خلاف شديد بينه وبين معاوية بسبب قتلة عثمان والله يغفر لأصحاب النبي ﷺ وينتقم من المنافقين ومن المرجفين ومن البغاة والزنادقة الذين أشعلوا الحروب بين أصحاب النبي ﷺ ففي نهاية المجال يموت علي رضي الله عنه ويتأمر الحسن قرابة ستة أشهر ثم تنازل لمعاوية حقنا لدماء المسلمين وتطبيقا لما قاله النبي ﷺ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(١) وهؤلاء الصحابة الخلفاء الراشدون لهم سنة متبعة وجب علينا اتباع ما قالوه فإن ما قالوه لا يكون إلا موافقا لهدي النبي ﷺ ثم قال ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور».

هذا البناء الضخم وهذه الفرش من المحدثات لكن لا يقال: أنها من المحدثات التي حذرنا منها النبي ﷺ لأنها لم تكن في عهده ﷺ وليس كل ما لم يكن في عهده ﷺ فهو بدعة فنحن لم نكن موجودين في زمن النبي ﷺ فهل يقال: إننا بدعة لا يقال وهذا فيما يتعلق بالميكرفون والساعة والنظارة والملعقة السيارات وأشياء كثيرة جدا. فلا تكن هذه من البدع تسمى هذه بدعة لغوية بمعنى أنها ليست من الدين وإنما هي على حسب الاستخدام قال: «فإن كل بدعة ضلالة».

وكل ما أحدثت بدعة إلا أميتت بجانبها سنة والحديث رواه أبو داود والترمذي

ماجة (٩٨).

(١) البخاري (٢٥٥٧، ٣٤٣٠، ٣٥٣٦، ٦٦٩٢) وأحمد (٢٠٥١٧) وأبو داود (٤٦٦٢) والترمذي (٣٧٧٣) والنسائي (١٤١٠) والحاكم (٤٨٠٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

وابن ماجة وابن حبان وقد صحح سنده الألباني رحمته الله وهو في إرواء الغليل برقم ألفين وأربعمائة وخمسة وخمسين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



[٢٩]

{ أبواب الخير ومسالك الهدى }

وعن معاذ بن جبل ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ يَسِّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ «حتى إذا بلغ» ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «تَكْفُ عَنْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «تَكَلَّمَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ - عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ^(٢).

معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَاضِيًا وَأَمِيرًا وَمَفْتِيًا إِلَى الْيَمَنِ وَهُوَ مِنْ

(١) سبق ترجمته عند الحديث (١٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٥٩٢٤، ٢٢٠٦٩) ومواضع والترمذي (٢٦١٦) والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤) وابن ماجه (٣٩٧٣) والحاكم (٣٥٤٨) والطيالسي (٥٦٠) والبيهقي في الشعب (٢٨٠٦) وصححه الألباني بمجموع طرقه: الصحيحة (١١٢٢) وأنظر: صحيح الجامع (٥١٣٦).

أعلم الناس بالحلل والحرام كما قال النبي ﷺ: «وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» (١) قال هذا الصحابي الجليل: قلت: يا رسول الله وهذا فيه تطبيق لقول الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور ٦٣] بمعنى لا تقل: يا محمد وإنما قل: يا رسول الله يا نبي الله يا خليل الله. قال: قلت: يا رسول الله والرسول من حيث اللغة: بمعنى الإطلاق أرسل بمعنى أطلق وشرعا: هو رجل من بني آدم بعثه الله بشرع من عنده بواسطة جبريل ﷺ.

قال: قلت: «يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار».

في هذه اللفظة علو همم الصحابة وأنهم يحرصون على الجنة كل الحرص وفيه أيضا السؤال عن العمل لا عن العلم فحسب وإن كان يريد ما هو العلم الذي أعمل به فأدخل به الجنة فليس الهم هو أن يعلم لكن الهم كل الهم أن يعمل بعلم.

الآن من المسلمين من ربما يسأل هذا العالم وهذا العالم حتى تتكسد إليه المعلومات مهما كان يبحث عن الرخص وإذا رأى العلماء قد أجمعوا على شيء ربما اطرح هذه كلها جانبا وأخذ بما سول له شيطانه هو فقط لا يريد أن يسأل من أجل أن يعمل وإنما هكذا هو حريص على السؤال.

والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» (٢).

ومعنى قوله: بعمل يدخلني الجنة أي بسببه كما قال سبحانه: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿النحل: ٣٢﴾. فبسبب العمل وأيضا تفضلا وتكرما من الله ﷻ فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «سَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» وفي لفظ: «إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ» (١).

فيقول: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار وهذه أمنية كل صادق مخلص أن يكون حريصا كل الحرص على أن يدخل الجنة وأن يبعد عن النار فالجنة حفت بالمكاره والنار حفت بالشهوات قال له النبي ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ» أي والله هذا أمر عظيم جدا وأكدها النبي ﷺ بمؤكدتين باللام الموطئة للقسم وبقد التي تفيد التحقيق قال: «لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ» أنت سألت عن شيء كبير كما قال الله تعالى عن الصلاة: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة ٤٥] ثم يستدرك النبي ﷺ: «وَأِنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَنْ يَسِّرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ».

قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة ١٨٥] وقال الله ﷻ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا بَيْنَكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج ٧٨].

(١) البخاري (٥٣٤٩، ٦٠٩٨، ٦٨٠٨) ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (٦٠٩٩، ٦١٠٢) ومسلم (٢٨١٨) وعن جابر عند مسلم (٢٨١٧).

وقال عليه السلام: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ» ^(١) وقال عليه السلام: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ» ^(٢).

وقال عليه السلام: «وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا» ^(٣).

وقال عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ» ^(٤). أي فلا إفراط ولا تفريط

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فبينما عليه السلام ثبت أن هذا الشيء الذي أنت تسأل عنه كبير لا تستطيع أن تأخذه إلا

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢٣٤٥) والطبراني في الكبير (٧٨٨٣) عن أبي أمامة رضي الله عنه، والصحيحة (٢٩٢٤).

فائدة: الحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام. / النهاية في غريب الأثر (١/١٠٦٨).

والسمحة: التي لا حرج فيها ولا تضيق فيها على الناس. / عمدة القاري (١/٢٣٥).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وقد روى الإمام أحمد في مسنده عنه عليه السلام «بعثت بالحنيفية السمحة» فجمع بين كونها حنيفية وكونها سمحة [أي سهلة ميسرة] فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل وضد الأمرين: الشرك وتحريم الحلال...» / إغاثة اللهفان (١/١٥٨).

وقال في موضع آخر: «وفي المسند أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة فهي حنيفية في التوحيد وعدم الشرك سمحة في العمل وعدم الإصرار والأغلال بتحريمهم من الطيبات الحلال فيعبد سبحانه بما أحبه ويستعان على عبادته بما أحله...» / شفاء العليل (١/٣٠٣).

(٢) البخاري (٣٩) والنسائي (٥٠٣٩) وفي الكبرى (١١٧٦٥) وابن حبان (٣٥١) والبيهقي في الشعب (٣٨٨١) والكبرى (٤٥١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث: (لا يدخل أحدا الجنة عمله...) حيث سبق قريباً وهو في الصحيحين، ولكن هذا اللفظ للبخاري فقط برقم (٦٠٩٨) وليس عند مسلم.

(٤) حسن: رواه أحمد (١٣٠٧٤) عن أنس رضي الله عنه، وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٢٢٤٦) وشعيب في تحقيق المسند حديث رقم (١٣٠٧٤).

بتوفيق من الله ﷻ وقد كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا» (١) وكان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» (٢) ويقول ﷺ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ» (٣) ويقول ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ» (٤).

يسأل أن ييسر الله تعالى أمره ثم بين النبي ﷺ تلك الأسباب التي بها إن شاء الله يكون من أهل الجنة قال: «تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا» والعبادة بمعنى التذلل وفي الشرع: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة عبادة توحيد صلاة زكاة صيام حج أمر بمعروف نهي عن منكر شعب الإيمان أعمال بر... إلخ ولا تشرك في هذه العبادة أحدًا مع الله قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن ١٨] لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا فلا تشرك بعبادة ربك الأنبياء ولا الملائكة ولا المقبورين لا تشرك بهذه العبادة شيئًا وإنما اجعلها عبادة خالصة لله قال نبينا ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار» (٥).

(١) صحيح: رواه ابن حبان (٩٧٤) عن أنس رضي الله عنه، وأنظر: الصحيحة (٢٨٨٦).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٩٩٧) وأبو داود (١٥١٠) والترمذي (٣٥٥١) والنسائي في الكبرى

(١٠٤٤٣) وابن ماجه (٣٨٣٠) وابن حبان (٩٤٧) والحاكم (١٩١٠) والبخاري في الأدب (٦٦٥)

عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٣٤٨٥)

(٤) ضعيف جدًا: رواه الترمذي (٤٧٩) وابن ماجه (١٣٨٤) عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه، وأنظر:

ضعيف الجامع (٥٨٠٩) والضعيفة (٢٩٠٨) وضعيف الترغيب والترهيب (٤١٦).

(٥) رواه مسلم (٩٣) عن جابر رضي الله عنه، وللبخاري (١١٨١) ومسلم (٩٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال

رسول الله ﷺ «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ». وقلت أنا (أي ابن مسعود) «وَمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ

وشيثاً نكرة في سياق النفي تفيد العموم نسأل الله السلامة والعافية والشرك من المشاركة وفي الشرع: أن تجعل لله ندا وهو خلقك سواء في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات.

ثم قال: «وتقيم الصلاة» إقامتها أن تأتي بها كاملة معتدلة بالشروط والأركان والواجبات والمستحبات كما في حديث أبي سليمان مالك بن الحويرث في الصحيحين: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١) والصلاة بمعنى الدعاء وهي مشتقة من الملازمة وفي الشرع: أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير ومختمة بالتسليم وهي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي عمود هذا الدين فمن أقامها حفظه الله ومن ضيعها ضيعه الله ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم ٥٩] وغيا^(٢) بمعنى الخسارة وقال سبحانه: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ [الماعون ٤-٥] أي هلاك وخسارة لمن كان هذا حاله فأولا بين له التوحيد وضده الشرك ثم نقله إلى إقامة الصلاة قال: «وتؤتي الزكاة» وإيتاء الزكاة أي إخراج الزكاة والزكاة لغة بمعنى النماء وشرعا حق ثابت لله من المال بشرطين: أن يحول الحول على هذا المال وأن يبلغ النصاب فنصاب الزكاة ما كان من النقيدين أعني الذهب والفضة ربع العشر يخرج ربع العشر أما النصاب فإن كان من الذهب

بالله شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، ومثله عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً أخرجه البخاري (١١٨٠) ومسلم (٩٤) (من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة).

(١) في البخاري: وقد سبق.

(٢) فائدة: في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ قال ابن عباس: أي خسرانا وقال قتادة: شرا

وقال ابن مسعود: واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم وقال أبو عياض: واد في جهنم من قيح ودم.

أنظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٢).

فخمسة وثمانون جراما وإن كان من الفضة فستمائة جرام فتقوم هذه الكمية بالنقد ويخرج على كل مائة اثنين ونصف وهذه قاعدة مطردة تأخذ الذهب الذي معك تزنه سواء كان للزينة أو للكنز قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزُرُونَ﴾ [التوبة ٣٤-٣٥] ويقول النبي ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيتَانِ يُطَوِّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنعام ١٨٠ من آل عمران] (١).

ويقول ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنَ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» (٢) وفي سنن أبي داود والنسائي «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَبَنَتْ لَهَا فِي يَدِ ابْنَتِهَا مَسْكَتَانِ غَلِيظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: «أَتُؤَدِينَ زَكَاتَ هَذَا» قَالَتْ لَا قَالَ: «أَيَسُرُّكَ أَنْ يُسَوَّرَكَ اللَّهُ بِسُورَاتَيْنِ مِنْ نَارٍ؟» قَالَ فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ هُمَا لِلَّهِ

(١) البخاري (١٣٣٨، ٤٢٨٩، ٤٣٨٢، ٦٥٥٧) وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٩٨٧) وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولرسوله ﷺ^(١) وهكذا ما يتعلق بالعروض التجارية لكن نصابها هو نصاب الفضة فإذا بلغ من المال ثلاثة عشر ألفا بالريال اليمني^(٢) وحال عليها الحول وجب إخراج الزكاة منه على هذا المال وإلا كان آثما وأما بقية الأصناف فهي التمر والشعير والذرة والبر والزبيب فهذه نصابها أن تبلغ خمسة أوسق لقول النبي ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ»^(٣) والوسق ستون صاعا والصاع أربعة أمداد بكف الرجل المتوسط والآن معروف عند الناس بالقدح فإذا بلغت ثمانية عشر قدحا صنعانيا يخرج منها إن كانت من ماء السماء ففيه العشر وإن كان من الآلات والمضخات والنواضح ففيها نصف العشر والله ﷻ يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام ١٤١] ويشترط للصلاة والزكاة وسائر العبادات الإخلاص قال الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة ٥].

ويشترط في ذلك متابعة الرسول ﷺ وإلا فلا يقبل هذا العمل مهما كان ولا بد أيضا من الخوف والرجاء والمحبة فلا بد من إخلاص واتباع ومحبة وخوف ورجاء

(١) حسن: رواه أبو داود (١٥٦٣) والنسائي (٢٤٧٩، ٢٤٨٠) والبيهقي في الكبرى (٧٣٤٠) والدارقطني

(٧) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحسنه الألباني: صحيح الترغيب (٧٦٨).

(٢) هذا يختلف باختلاف الجرام من الفضة فإن قيمته تزيد وتنقص لاضطراب الأسعار ولمعرفة مقدار هذا النصاب: يضرب سعر الجرام الحالي بنصاب الفضة فالناتج: هو نصاب العروض التجارية. مثال: لو كان الجرام بـ (٥٠) ريال فإنه يضرب بنصاب الفضة وهو (٦٠٠) جرام، فيكون ٦٠٠ × ٥٠ = ٣٠٠٠٠ وهكذا بارتفاع وانخفاض قيمة الجرام الفضي.

(٣) البخاري (١٣٤٠، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٩٠، ١٤١٣) ومسلم (٩٧٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء ٩٠].

قال: «وتصوم رمضان» والصوم ركن من أركان الإسلام شهر في السنة والصيام في اللغة: بمعنى الإمساك وفي الشرع: إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة بنية التعبد لله ﷻ من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس ولا بد أن يصوم المرء كما صام النبي ﷺ وفرض الصيام في العام الثاني من الهجرة فقد صام النبي ﷺ تسعة أعوام.

قال: «وتحج البيت» والحج بمعنى القصد من حيث اللغة وفي الاصطلاح: قصد البيت الحرام لتأدية الحج والعمرة أو الحج بشرائط معروفة يقول النبي ﷺ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^(١).

فهو الركن الخامس من أركان هذا الدين قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٩٦ - ٩٧] والإستطاعة فسرت بأمن الطريق ووجود الثراء فمن وجد المال الكافي له لفريضة الحج فلا يحل له أن يقيم بين ظهراي أهله والمسلمون يؤدون مناسك الحج والعمرة وهذا من تيسير الله ﷻ للناس إذ أنه في العمر مرة واحدة قال سراقه بن مالك لما سمع النبي ﷺ يعدد أركان الإسلام فقال: يا رسول الله أرأيت متعتنا هذه ألعاننا هذا أم للأبد؟ فقال رسول الله ﷺ «بل هي للأبد»^(٢) بمعنى العمرة واجبة على الشخص في

(١) رواه مسلم (٣١٠) وأحمد (١٤٤٥٩) وأبو داود (١٩٧٠) والنسائي (٣٠٦٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٧٨٧) والنسائي (٢٨٠٥) وابن ماجه (٢٩٨٠) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

العمر مرة. وخطب رسول ﷺ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ»^(١) فالشرع فيه الرحمة الرحمة بالناس والحرص على الخير وبقاؤه فيكون في العمر مرة واحدة فلو أنك تنفلت كنت مأجورا قال النبي ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرُفْثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٢) ثم يستطرد النبي ﷺ بعد أن أجاب على هذا فقال: «أَلَا أدلك على أبواب الخير؟» في هذا جود وحرص النبي ﷺ على السائل وعلى غيره واستنبط العلماء منه ذكاء المفتي في أن يجيب السائل بأكثر مما سأل إذ أنه كان يكفي أن يقول بأركان الإسلام لكن زاد بين له فمن سألك فأجبت به بأكثر مما طلب منك يكون هذا من الحرص ومن الأجوبة المحمودة لدى علمائنا.

قال: «أَلَا أدلك على أبواب الخير؟» أي على مسائل الخير وكلمة أبواب تستعمل في الباب الذي يفتح للدخل والخارج ومنه سمي أبواب العلم باب وهو لغة لما يدخل ويخرج منه وفي اصطلاح العلماء: اسم لجملية علمية مختصة من الكتاب. مثلا رياض الصالحين ثم باب الصلاة العبادة.... إلخ.

قال: «أَلَا أدلك على أبواب الخير؟ قال: بلى قال: الصوم جنة» ومعنى جنة أي وقاية والصوم جنة كجنة أحدكم من القتال الترس الذي يأخذه الفارس أو أي شيء

وروى البخاري (١٦٩٣) ومسلم (١٢١٦) نحوه، وصححه الألباني: صحيح أبي داود (١٥٧١) وأنظر: حجة النبي ﷺ للألباني (ص ١٤ وما بعدها).

(١) رواه مسلم (١٣٣٧) وأحمد (١٠٦١٥) والنسائي (٢٦١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٤٤٩، ١٧٢٣، ١٧٢٤) ومسلم (١٣٥٠) وأحمد (٧١٣٦) والترمذي (٨١١) والنسائي (٢٦٢٧) وابن ماجه (٢٨٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يبقى الآن في تروس حتى الرصاص فالصوم جنة أي وقاية قال الفقهاء: وقاية من الأمراض لأنه بالصيام تنزل الفضلات المترسبة بالجسم فيخرج طوال العام وجنة أيضا من النار لحديث قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له أو لا مثل له»^(١).

وقال ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٢).

وقاية أيضا من الوقوع في الشهوات المحرقة لحديث ابن مسعود في الصحيحين: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»^(٣).

أي وقاية فوجه النبي ﷺ الغريزة الجنسية والشهوة البشرية إلى الصوم فالصوم يضعف الشهوة وربما هاجت في بداية الأمر لكنها تسكن بعد فترة إذا كان الصائم صادقا في صيامه وهل إذا صام الصائم فارتكب بعض المعاصي يبطل صومه؟

على قولين: فالقول الأول إن كان قد ارتكب معصية لها تعلق بالصيام بطل صومه وإلا فلا يعني لو أكل أو شرب أو جامع بطل صومه أما إذا جاء بغيبة أو نسيمة أو نظر إلى المحرمات هذا قول الجمهور وهو الصواب أنه يبطل الصوم بالمعاصي المطلقة لقول نبينا ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(٤) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «وقول الله تعالى:

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢١٩٤) والنسائي (٢٢٢٠) وابن حبان (٣٤٢٥) والحاكم (١٥٣٣) وصحيح

ابن خزيمة (١٨٩٣)، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٠٤٤) والصحيحة (١٥٣٧)، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٢٦٨٥) ومسلم (١١٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) البخاري (١٨٠٦، ٤٧٧٨، ٤٧٧٩) ومسلم (١٤٠٠).

(٤) البخاري (١٨٠٤، ٥٧١٠) وأحمد (٩٨٣٨، ١٠٥٦٩) وأبو داود (٢٣٦٢) والترمذي (٧٠٧) وابن

ماجة (٦٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشَرْبَهُ مِنْ أَجْلِي» (١).

وحديث النبي ﷺ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ، وَالْعَطَشُ» (٢) فالصوم جنة فمن صام وما استفادت جوارحه ولا استفاد قلبه فإن في صومه دخنا فعليه أن يراجع وأن يعيد النظر.

أعد نظريا عبد قيس لعلماء

لا بد من إعادة النظر والحساب في هذا الباب قال: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ» الصدقة هاهنا مطلقة سواء كانت صدقة التطوع التي هي مطلق الصدقات ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿[الإنسان ٨-٩].

وقال ﷺ «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِمِثْلِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» (٣) فمطلق الصدقات ذكرت هاهنا هذه الصدقة المطلقة التي يؤجر عليها العبد كما قال نبينا ﷺ في الحديث السابق قبل سطرين أو يراودها الزكوات لأنها أيضا يطلق عليها صدقات والدليل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة ١٠٣].

(١) البخاري (١٧٩٥، ١٨٠٥، ٥٥٨٣، ٧٠٥٤، ٧١٠٠) ومسلم (١١٥١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٨٨٤٣) والحاكم (٥٧١) والبيهقي في الشعب (٣٦٤٢) والكبرى (٨٠٩٧) والترمذي وابن حبان (٣٤٨١) وأبو يعلى (٦٥٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني (٣٤١٣) عن ابن عمر وصححه الألباني: صحيح الجامع (٣٤٩٠).

(٣) البخاري (١٣٤٤، ٦٩٩٣) ومسلم (١٠١٤) وأحمد (٨٣٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقول ربنا سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

المراد بالصدقات هاهنا الزكوات ومن السنة قول نبينا ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ دَوْدٍ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ» (١) فالمراد بالصدقة هاهنا الزكاة المفروضة والصدقة مأخوذة من الصدق. والنبى ﷺ يقول في حديث أبي مالك الأشعري: «والصدقة برهان» (٢) قالوا: البرهان هو الشعاع الذي يكون في الشمس أي الدليل ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة ١١١] أي هاتوا أدلتكم فالصدقة هذه تبرهن على صدق صاحبها إذ أنه لم يخل بل إنه من الأجودين.

يجود بالنفس إن ظن البخل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

والصدقة لها شأن رفيع حتى أن الآية لما نزلت في شأن الصدقة ذهب بعض الصحابة يحامل يعني يتحمل في الأسواق القراطيس والأكياس من أجل أن يتصدق لماذا؟

لأن النبى ﷺ يقول: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ» (٣)

(١) في الصحيحين: وقد تقدم قريباً

(٢) في مسلم: وقد تقدم برقم (٢٣) من الأربعين النووية.

(٣) صحيح: ورواه أحمد (١٧٣٧١) والحاكم (١٥١٧) وابن خزيمة (٢٤٣١) وابن حبان (٣٣١٠)

وأبو يعلى (١٧٦٦) والطبراني في الكبير (٧٧١، ٧٨٨) والبيهقي في الشعب (٣٣٤٧) والكبرى

(٧٥٤٠)، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٥١٠) وتخريج مشكلة الفقر (١١٨) عن عقبة بن

عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم «رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» (١) في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

فلها شأن رفيع ولقد كان النبي ﷺ يتصدق مما آتاه الله حتى قال القائل:

ما قال إلا في تشهده لولا التشهد لكانت لاؤه نعم

بمعنى أنه كان لا يرد سائلا والله ﷻ يقول: ﴿قَالَمَا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى ١٠] وقد ذكروا أن السائل على قسمين سائل معنوي وسائل حسي فمن سألك علما لا تنهره ومن سألك تربية لا تنهره ومن سألك أمرا حسيا من حطام الدنيا فلا تنهره أيضا ولكن كما قال الله: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦٣].

ثم قال ﷺ: «وصلاة الرجل في جوف الليل» يعني وسط الليل أو آخر الليل لأن الجوف ما كان في الداخل والله ﷻ مدح ذلك فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ ءَازِلِينَ مَا ءَنَاهُمْ رَبُّهُمْ رَيْبُهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۖ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات ١٥-١٨]. وقال النبي ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ» (٢) دعاء

(١) البخاري (٦٢٩، ١٣٥٧، ٦١١٤، ٦٤٢١) ومسلم (١٠٣١/٩١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٧٤٠٤، ٩٦٢٥) وأبو داود (١٣٠٨، ١٤٥٠) والنسائي (٦١٠) وابن ماجه

(١٣٣٦) وابن حبان (٢٥٦٧) والحاكم (١١٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح

الجامع (٣٤٩٤).

بالرحمة ثم تلا النبي ﷺ: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة ١٦ - ١٧].

التجافي: هو الابتعاد قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» (١).

فالمجافاة بمعنى المباعدة جافيته أي ابتعدت عنه فيقول: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ أي ترك جنوبهم هذه المضاجع لا تريدها كما قال عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حق نبينا ﷺ:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالمشركين المضاجع (٢)

جفاني فلان تركني أيش هذا الجفا؟ أيش هذا الترك والبعد؟

ويقول النبي ﷺ: «مَنْ بَدَا جَفَا» (٣) أي من سكن في البادية يصاب بالجفا

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٤٣) والبيهقي في الشعب (٢٦٨٥) والكبرى (١٦٤٣٥) وابن أبي الشيبه في مصنفه (٢١٩٢٢) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢١٩٩) والمشكاة (٤٩٧٢).

(٢) البخاري (١١٠٤، ٥٧٩٩) وأحمد (١٥٧٧٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٨٦٤٢) وأبو يعلى (١٦٥٤) عن البراء، والطبراني (٥٥٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٦١٢٣، ٦١٢٤)،

والحديث قد جاء بلفظ: (من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن) عن ابن عباس رواه أحمد (٣٣٦٢) وأبو داود (٢٨٥٩) والترمذي (٢٢٥٦) والنسائي (٤٣٠٩) وصححه =

ويقول النبي ﷺ: «الْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْإِبِلِ وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ» (١)
يعني الإبل عندها قلوب قاسية:

تبكي علينا ولا نبكي على أحد فنحن أغلظ أكبادا من الإبل

فلو نظرت إلى الشاة تجددها قد نظرت إلى أسفل وانطلقت بتواضع وسكينة
ولو نظرت إلى الجمل تجده ينظر إلى بعيد وربما مر فوق المئين من الناس دعسًا
وركلًا ولا يشعر بذلك.

ثم تلا النبي ﷺ آية من القرآن وهو الذي جاء بالقرآن لماذا ؟ استدلالا وتأكيذا
لأن الاستدلال بالقرآن حجة قاطعة قال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة ١٦-١٧].

وتأمل إلى اللفظ فلا تعلم نفس أي نفس غني فقير أسود أبيض عربي عجمي
إذا كانت هذه أوصافه هذه الأوصاف أتوا بها هذه أبواب الخير «الصوم جنة والصدقة
تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل» هذه أبواب الخير
لو لم يكن حظك من العلم إلا هذا أنك تصوم وتتصدق مما آتاك الله ولو اشتغلت
بسبعمائة ريال فصرفت على أهلك خمسمائة وجعلت لمصاريفك الخاصة مائة
وأنفقت طول الشهر مائة ريال تكفي ولو ما عندك إلا عشرة ريال تتصدق بها لكن
يشترط الإخلاص وعدم معرفة الناس بذلك وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله
يوم لا ظل إلا ظله «...ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق

=

الألباني: صحيح الجامع (٦٢٩٢) وصحيح أبي داود (٢٤٨٦).

(١) البخاري (٤١٢٧) ومسلم (٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يمينه» الحديث (١) لا يكون كحال رجل أراد أن يتصدق فقال: اللهم ارزقني النية الصالحة يا جماعة الخير أسأل الله أن يرزقنا الإخلاص انظروا أنا أشتي أعطي هذا المسكين عشرة ريال هذا قد فضح نفسه ولكن الإخلاص أن تكون أشد كتماناً لحسناتك من مساوئك وهذه مرتبة الصديقية التي ما يرتفع إليها إلا أفذاذ الرجال ثم قال النبي ﷺ: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قال: قلت: بلى قال: رأس الأمر الإسلام» وسمي الرأس كذلك لأنه أعلى الشيء ومن ذلك رأس الجبل والإسلام لغة: بمعنى الاستسلام وشرعاً: هو الإنقياد لله بالتوحيد والطاعة وترك البدع والمعاصي.

«وعموده الصلاة» العمود مأخوذ من أعمدة البيت وأعمدة المسجد والخيمة لولا هذه الأعمدة لسقط هذا البناء فعمود هذا الأمر الصلاة «وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» والجهاد مأخوذ من الجهد وفي الشرع: مقاتلة أعداء الإسلام بشروط. ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله» أي ألا أخبرك بما تحوز به على هذه الخصال التي ذكرت من بداية الحديث قال بلى قال: «فأخذ بلسانه وقال: كف عنك هذا» أخرج النبي ﷺ لسانه هكذا وقال: «كف عليك هذا».

قال معاذ بن جبل متعجباً: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ» ومعنى ثكلتك أي فقدتك أمك وهذه عبارة تطلقها العرب ولا تريد المعنى مثل عقراء حلقاء أي عقرها الله وحلقها الله مثل هذه ثكلتك أمك وشلت يمينك فهم لا يريدون بها وقوع الشيء وإنما هي عبارات تجري على ألسنتهم قال: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم

(١) في الصحيحين: وقد تقدم قريباً.

إلا حصائد ألسنتهم» الحديث رواه الترمذي وهو كذلك في النسائي وابن ماجه وحسنه الألباني كما في إرواء الغليل فقد جعل النبي ﷺ حفظ اللسان ملكا لهذه الأعمال كلها.

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن **ثرثارة في كل ناد تخطب**
واحفظ لسانك واحترز من لفظه **فالمرء يسلم باللسان ويعطب**

ويقول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»^(١) ومعنى يصمت أي يسكت ويقول ﷺ بل يقول الله ﷻ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة ٨٣] وقال الله سبحانه: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق ١٨]. وسئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «لَغْمٌ وَالفَرْجُ»^(٢). وقال النبي ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وفرجيه أضمن له الجنة». والله در من قال:

إن كان يعجبك السكوت فإنه **قد كان يعجب قلبك الأخيارا**
ولئن ندمت على السكوت مرة **فلقد ندمت على الكلام مرارا**
إن السكوت سلامة ولربما **زرع الكلام عداوة وضرارا**

والكلام الطيب منشؤه من القلب الطيب وربما خرجت بعض العبارات العائرة فعلى الإنسان أن يستدركها وأن يتوب من من قيلت فيه فالمؤمنون نصحة ويعذر

(١) في الصحيحين: وقد تقدم.

(٢) حسن: رواه أحمد (٧٨٩٤، ٩٠٨٥، ٩٦٩٤) والترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) وابن حبان

(٤٧٦) والحاكم (٧٩١٩) والبخاري في الأدب (٢٨٩، ٢٩٤) وحسنه الألباني: الصحيحة (٩٧٧) عن

أبي هريرة.

بعضهم بعضا ويغفر بعضهم لبعض ولا ينبغي للشخص أن يأخذ من هذه الكلمة فيؤلف منها كتابا ويحمل عليها أشياء.

يقول ابن القيم رحمه الله: فإياك أن تهمل قصد المتكلم ونيته وعرفه فتجنى عليه وعلى الشريعة وتنسب إليها ما هي بريئة منه وتلزم الحالف والمقر الناذر والعاقدا ما لم يلزمه الله ورسوله به ففقيه النفس يقول ما أردت ونصف الفقيه يقول ما قلت ^(١)

فالفقيه يقول: ماذا أردت بكلامك من أجل أن يفهمه ويوجهه توجيها صحيحا وأما الحاقدا الحاسد الذي يبحث عن العثرات وحاله كحال الذباب لا يقع إلا على مواقع القيق أو الكلاب أو النسور لا يقعون إلا على مواطن الجيف فهذا يريد الكلمة يحملها ما شاء ورحم الله من قال:

وعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدي المساوي
الحديث فيه فوائد كثيرة جدا منها:

١ - حرص الصحابة على الجنة مأخوذ من قوله: أخبرني بما يدخلني الجنة ويباعدني عن النار.

٢ - علو الهمة للصحابة لأن الهمم على قسمين: همم عالية وهمم دنيئة
له همم لا تنتهى لحصولها وهمته الصغرى أجل من الدهر
فهناك كما قال أبو علي أحمد بن خضرويه قال: «القلوب جواله فقلوب تحوم حول العرش وقلوب تحوم حول الحش» ^(٢).

(١) إعلام الموقعين (٣/ ٥٣-٥٤).

(٢) سبق هذا الأثر مع ترجمة قائله.

فهناك همم عالية تعيش في عليين وهناك همم تعيش بجانب براميل القمامة وفي سفاسف الأمور صاحب الهمة دائما ينظر إلى العلو دائما ماذا استفاد ماذا حقق ماذا فعل ماذا قدم للإسلام وأما الثانية: فهو أيش قال فلان عن فلان وراح إلى الثاني وقال: فلان يقول فيك كذا ويتابع من الأخبار أشبه مايكون بحال المنافقين يحاول أن يمشي من عند هذا إلى عند هذا يفسد ويواصل هذا بهذا ويريد أن تحصل مجزرة بين الأخوة لماذا؟ لأنه يحمل همة دنيئة عيادا بالله.

٣- ثالثا: إثبات الجنة والنار وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة.

٤- رابعا: أن العمل الصالح يدخل الجنة ويباعد عن النار وقد حرص الصحابة على ذلك وكانوا يحرصون على العمل لا على العلم وحده.

٥- خامسا: سؤال معاذ هذا سؤال عظيم إذ أنه يجمع سعادة المرء في الدنيا والآخرة.

٦- سادسا: فضل النبي ﷺ في التعليم إذ أجاب السائل بأكثر مما سأل وهذه طريقة النبي ﷺ وطريقة أصحابه وطريقة المتبعين له.

وكلهم من رسول الله مقتبس غرنا من البحر أو رشفنا من الديم

فقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يسأل عن سؤال فيجود من فيضان العلم والحكمة والمعرفة ما يعجز عنه العلماء وهذا فضل من الله.

٧- سابعا: فضل الصيام والصلاة وحفظ اللسان والصدقة.

٨- ثامنا: المعاصي تبطل الصيام وقد تقدم هذا قول الجمهور.

٩ - التاسع: الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار.

١٠ - العاشر الحث من النبي ﷺ على قيام الليل وعلى حفظ المرء لسانه ما

استطاع إلى ذلك سبيلا.

والله الموفق.



[٣٠]

{ حدود الله تعالى وحرماته }

عن أبي ثعلبة الخشبي ^(١) جرثوم ^(٢) بن ناشر رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَفَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَتَرَكَ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْهُ لَكُمْ فَاقْبَلُوهَا وَلَا تَبْخَثُوا عَنْهَا» حديث حسن رواه الدارقطني ^(٣) وغيره.

^(١) أبو ثعلبة الخشبي: صحابي جليل شهد بيعة الرضوان وغزا حنيناً وكان ممن نزل الشام بدار يا غربي دمشق إلى جهة القبلة وقيل ببلاط قرية شرقي دمشق فالله أعلم وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة والأشهر منها جرثوم بن ناشر وكان ممن يجالس كعب الأحبار وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيتفكر ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله ﷻ وكان يقول: إني لأرجو أن لا يخنقني الله عند الموت كما أراكم تختنقون فينما هو ليلة يصلي من الليل إذ قبضت روحه وهو ساجد قال أبو عبيدة ومحمد بن سعيد وخليفة وغير واحد.

كانت وفاته سنة خمس وسبعين وقال غيرهم كانت وفاته في أول إمرة معاوية فالله أعلم. البداية والنهاية (١١/٩).

^(٢) الجرثوم: جرثوم الشيء بالضم أصله، وقيل هو التراب المجتمع بأصول الشجر، وجرثومة العرب: أصلهم ومُجْتَمَعُهُم القاموس (ص ١٤٠٥) وتاج العروس (١/٢٧٤٣) وكتاب العين (٦/٢٠٧).

^(٣) ضعيف: رواه الدارقطني (٤٢) والبيهقي في الكبرى (١٩٥٠٩) والطبراني في الكبير (٥٨٩) والحاكم (٧١١٤) وغيرهم من طريق مكحول عن أبي ثعلبة ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة، فبهذه العلة أعله الشيخ مقبل الوداعي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في تعليقه على المستدرک برقم (٧١٩٤) والألباني في غاية المرام (٤).

وعن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر هنا فائدة ذكرها معالي الشيخ الوزير وزير الأوقاف قال: جرثوم وجرثومة معناها الأصل الذي يرجع إليه فجرثوم يعني كلمة وإسم له دلالة اللغوية في اللغة يعني هو أصل لغيره والجرثومة هي الأصل وليست هي كلمة ذم وإنما هي في اللغة ما يدل على أنه أصل لغيره.

هذا صحابي جليل من أصحاب نبينا ﷺ يقول قال رسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَفَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَتَرَكَ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْهُ لَكُمْ فَاقْبَلُوهَا وَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا» قال: هذا حديث حسن رواه الدارقطني وغيره.

ويغني عن هذا الحديث حديث أبي الدرداء مرفوعاً «ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن نسياً ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾» رواه الدارقطني (١٢) والحاكم (٣٤١٩) والبيهقي (١٩٥٠٨) والطبراني في مسند الشاميين (٢١٠٢) والبزار في كشف الأستار (١٢٣). وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال البزار: إسناده صالح. وقال الهيثمي في المجمع (٧٩٤): إسناده حسن ورجاله موثقون.

وحسنه الألباني: الصحيحة (٢٢٥٦) وغاية المرام (٢).

ويشهد للحديث أبي الدرداء ما رواه الترمذي (١٧٢٦) وابن ماجه (٣٣٦٧) والحاكم (٧١١٥) وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٣١٩٥) عن سلمان الفارسي مرفوعاً (الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه).

ويشهد له أيضاً الحديث الموقوف عن ابن عباس الذي رواه أبو داود (٣٨٠٠) وصححه الألباني: غاية المرام (٣٤) وهو قوله: «كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله تعالى نبيه ﷺ وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلا ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِي إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ إلى آخر الآية.

الدارقطني: هو الإمام الكبير أبو الحسن علي بن عمر بن مهدي إمام من أئمة الهدى (١).

هذا الحديث ضعيف لعلتين اثنتين:

الأولى: أن مكحول لم يسمع من أبي ثعلبة.

الثانية: أن الحفاظ اختلفوا في رفعه ووقفه هاهنا كلام أحبيت أن أنقله لكم وهو كلام قوي للإمام الحافظ ابن رجب رحمته الله وابن رجب هو من تلامذة الإمام ابن القيم رحمة الله عليهم جميعا يقول في كتابه جامع العلوم والحكم (٢) بعد أن ذكر حديث أبي ثعلبة الخشني قال: هذا الحديث من رواية مكحول عن أبي ثعلبة الخشني وله علتان: أحدهما أن مكحولا لم يصح له السماع من أبي ثعلبة كذلك قال: أبو مسهر الدمشقي وأبو نعيم الحافظ وغيرهم.

الثانية: أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة ورواه بعضهم عن مكحول من قوله لكن قال الدارقطني: الأ شبه بالصواب المرفوع قال: وهو أشهر قال: وقد حسن الشيخ رحمته الله هذا الحديث (يعني النووي) وكذلك حسنه قبله أبو بكر السمعاني في

(١) الدارقطني الحافظ: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن البغدادي الحافظ الإمام المشهور صاحب التصانيف رحل في الكهولة إلى الشام ومصر.. كان مولده سنة ست وثلاثين ومائة ووفاته سنة خمس وثمانين وثلاث مائة.

قال الحاكم: صار الدارقطني أواحد أهل عصره في الحفظ والفهم والورع وإماماً في القراء والنحوين وأشهد أنه لم يخلف على أديم الأرض مثله وإليه انتهى علم الأثر والمعرفة بعلم الحديث والرجال مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد والاضطلاع في علوم سوى علم الحديث. تاريخ دمشق (٩٦/٤٣) والبداية والنهاية (٣١٧/١١) الوافي في الوفيات (مادة العين بعدها لام) بتصرف يسير.

(٢) أنظر: جامع العلوم والحكم (ص ٢٧٦).

أما عليه قال: وقد روى معنى هذا الحديث مرفوعا من وجوه آخر خرج به البزار في مسنده والحاكم من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ... إلخ.

هذا الحديث القول الصحيح فيه أنه ضعيف حتى أن الشيخ الألباني رحمه الله تعالى يضعفه لكن يغني عنه حديث رواه الحاكم أبو عبد الله من حديث أبي الدرداء واسمه عويمر بن زيد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَافِيَةٌ، فَاقْبَلُوا مِنْ اللَّهِ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيًّا» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] (١).

هذا الحديث حسنه وصححه كثير من العلماء وحسنه الشيخ الألباني كما في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ﷺ (١٤) حديث رقم (٢). إذن هذا الحديث حديث أبي ثعلبة ضعيف لكن يغني عنه حديث أبي الدرداء قال نبينا ﷺ: «مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ...» الحديث أما قوله ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ» فالفرض لغة بمعنى القطع واصطلاحاً: هو بمعنى الواجب فالواجب يقال عنه فرض وواجب وفريضة وحتم وهل الواجب والفرض بمعنى واحد أو بينما فرق؟ القول الصحيح أنهما بمعنى واحد هذا فرض وهذا واجب بمعنى واحد.

هذه فائدة ذكرها الشيخ العثيمين قال: فإن قال قائل: هل الفرض والواجب بمعنى واحد أو الفرض غير الواجب فالجواب: أما من حيث التأثيم بترك ذلك فهو بمعنى واحد وأما من حيث الوصف هل هذا فرض أو واجب فقد اختلف العلماء رحمهم الله في هذا فقال بعضهم: الفرض ما كان دليله قطعياً والواجب ما كان دليله ظنياً وقال آخرون: الفرض ما ثبت في القرآن والواجب ما ثبت في السنة وكلا القولين ضعيف

(١) حسن: وقد سبق تخريجه تحت حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه.

والصواب أن الفرض والواجب بمعنى واحد ولكن إذا تأكد صار فريضة وإن كان دون ذلك فهو واجب هذا هو القول الراجح في المسألة فالفرض إذا عرفناه بمعنى الواجب فيكون حكمه في الشرع ما أمر الله به على وجه الإلزام كالصلوات الخمس: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وأما حكمه فهو ما يثاب فاعله امتثالاً ويستحق العقاب تاركه وقوله: «فرائض» جمع فريضة.

وقوله ﷺ: «فلا تضيعوها» أي فلا تهملوها «وحد حدودا فلا تعتدوها» الحد بمعنى المنع حد بمعنى منع ومنه الحدود التي هي معالم الأرض منارات الأرض كما قال النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ» ^(١) هي العلامات والحدود وأما الحد في الشرع فهي الواجبات والمحرمات قال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال في آية أخرى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

ثم قال: «وحرّم أشياء فلا تنتهكوها» حرم بمعنى منع التحريم بمعنى المنع وبمعنى الحظر.

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكموا أن أغضب

(١) رواه مسلم (١٩٧٨) وأحمد (٨٥٥) وموضع والنسائي (٤٤٢٢) وأبو يعلى (٦٠٢) والبخاري (٤٩١) والبيهقي (١١٣١٧) عن أبي طالب (رضي الله عنه).

وشرعا: ما نهى الله عنه على وجه الإلزام بالترك كعقوق الوالدين قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَهْزُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء ٢٣].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» (١).

وأما حكم الحرام فهو ما يثاب تاركه امتثالا ويستحق العقاب فاعله لا بد من الامتثال أنت صحيح تركت الحرام لكن هل كان الترك لله أم كان لغير الله هذا لا بد منه ثم قال: «وسكت عن أشياء» هنا إثبات صفة السكوت لله بهذا الحديث وكذا حديث أبي الدرداء وقد وقع الإجماع على ذلك فيوصف الله ﷻ بالسكوت فإن النبي ﷺ هو الذي وصفه بذلك وهو أعلم الناس بربه. ثم قال: «رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُلُوكَ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة].

وجاء في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ، فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ» (٢) وكان السؤال مكروهاً فيما لا يفيد فقد: سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها فلما أكبر عليه غضب ثم قال للناس: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا» فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْبُكَاءِ، وَأَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ:

(١) في الصحيحين: وقد سبق.

(٢) في الصحيحين: وقد سبق.

«سَلُونِي»، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ، فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُدَافَةُ» ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي» فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَسَكَتَ» (١).

فرسول الله ﷺ كره لنا كثرة السؤال فهناك أشياء عفا الله ﷻ عنها فلا ينبغي لنا أن نكثر عنها من السؤال يذكر بعض الفقهاء في هذا الباب الشعر الذي في جسد الإنسان ذكرًا أو أنثى فهناك من الشعر ما هو محرم أخذه كشعر اللحية نهى النبي ﷺ فقال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٢) وقال ﷺ: «أَعْفُوا اللَّحَى وَحَفُوا الشَّوَارِبَ» (٣).

وقال النبي ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ» (٤).

محرم على العبد أن يحلق لحيته ومن الشعر ما يجب حلقه كحلق العانة ونتف الإبط فهي من الفطرة التي بعث نبينا ﷺ كما قال ﷺ: «خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَنَتْفُ الْإِبْطِ» (٥).

(١) البخاري (٩٢، ٩٣، ١٥١) ومواضع ومسلم (٢٣٥٩، ٢٣٦٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وأبو داود (٤٠٣١) والبيهقي في الشعب (١١٩٩) عن ابن عمر والطبراني في الأوسط (٨٣٢٧) عن حذيفة، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٨٣١)، (٦١٤٩).

(٣) البخاري (٥٥٥٤) ومسلم (٥٢/٢٥٩) وأحمد (٤٦٥٤) وأبو داود (٤١٩٩) والترمذي (٢٧٦٣) والنسائي (١٥) عن ابن عمر وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد (٧١٣٢) وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٤٣٩٢).

(٤) البخاري (٥٥٥٣) ومسلم (٥٤/٢٥٩) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٥) رواه الجماعة: البخاري (٥٥٥٠، ٥٥٥٢، ٥٩٣٩) ومسلم (٤٩/٢٥٧) وأحمد (٧١٣٩) وأبو داود (٤١٩٨) والترمذي (٢٧٥٦) والنسائي (١٠) وابن ماجه (٢٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهناك شعر في البدن في الصدر وفي الظهر وفي الرقبة وفي الساعدين وفي الفخذين وفي الساقين وفي الرجلين شعيرات كثيرة جداً هذه مما سكت عنه الشرع فلا ينبغي للشخص أن يسأل عن ذلك فإن السؤال عن مثل هذا ربما يوقع في الحرج ولا ينبغي للشخص أن يكون كثير السؤال بل ينبغي أن يكون سؤاله لأمر شرعي قد وقع أو يخشى أن يقع فيه وأن يكون حرص المسلم العمل كما كان حال أصحاب النبي ﷺ يقول بعضهم: «يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ»» (١).

وآخر يقول: «يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار» (٢).

فكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يطلبون الفتوى من أجل العمل لا من أجل المعرفة فقط ولا من أجل الجدل هذا فيما يتعلق بهذا الحديث المبارك الذي ذكره الإمام النووي وإن كان حديثاً ضعيفاً لكن كما قلت لكم: يغني عنه حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه وأرضاه.



(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) القائل هو معاذ وقد سبق الحديث برقم (٢٩) من الأربعين النووية

[٣١]

{ الزهد الحقيقي وثمراته }

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس فقال: «ارْزُقْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَارْزُقْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» قال: حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة ^(٢).

الحديث له طرق وخلاصة ذلك أنه صحيح أفاد ذلك العراقي والألباني وغيرهما.

يروى هذا الصحابي الجليل أن رجلاً أتى النبي ﷺ ولا حاجة إلى معرفة هذا الجاني فهو من أصحاب النبي ﷺ ولا يهمنا معرفته إذ أنه لا يتعلق به حكم شرعي

^(١) سهل بن سعد الساعدي: صحابي مدني جليل توفي رسول الله ﷺ وله من العمر خمس عشرة سنة وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ليذلهم كيلا يسمع الناس من رأيهم قال الواقدي توفي سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة قال محمد بن سعد ليس في هذا خلاف وقد قال البخاري وغيره توفي سنة ثمان وثمانين لله أعلم.

نقلا من البداية والنهاية (٨٣/٩)، وانظر: الجرح والتعديل (١٩٨/٤).

^(٢) صحيح بشواهد: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) والحاكم (٧٨٧٣) والبيهقي في الشعب (١٠٥٢٣) والطبراني في الكبير (٥٩٧٢) ومسنند الشهاب (٦٤٣) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٩٢٢) والصحيحة (٩٤٤).

فهو رجل من الرجال ومن الصحابة الأوفياء لهذا الدين سأل النبي ﷺ عن أمرين عظيمين وهذا فيه دلالة علو همة هذا الرجل وأمثاله أما الأمر الأول فيسأله عن أسباب محبة الله له وكما قال بعض السلف: ليس الشأن أن تحب الله وإنما الشأن كل الشأن أن يحبك الله ﷻ، فيقول: «دلني على عمل إذا عملته أحبني الله»، هذا الأمر الأول والأمر الثاني: محبة الناس له ولا بأس في هذا فقد طلب أبو هريرة من النبي ﷺ أن يدعو له أن يحبه الناس فكان أبو هريرة محبوباً بدعوة النبي ﷺ^(١) وقد دعا النبي ﷺ للحسن بن علي قال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحبه من أحبه»^(٢).

فكان أبو هريرة يقول: وأنا أحب الحسن حتى يحبني الله ﷻ وفي هذا إثبات صفة المحبة لله ﷻ وهي محبة حقيقية لا كما يقول أهل التأويل إن المراد بذلك إرادة الثواب فهناك آيات تثبت

هذا قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة ٢٢٢] وقال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف ٤] في هذا إثبات المحبة وهي محبة حقيقية يحب الله من شاء من مخلوقاته فيقول له النبي ﷺ جواباً على سؤاله: «ازهد في الدنيا يحبك الله» هذا رد على الفقرة الأولى لما قال: أخبرني بعمل إذا عملته أحبني الله، فيقول: «ازهد في الدنيا» يعني من أسباب محبة الله لك أن تزهد في الدنيا «وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» أنت تسأل عن الشيء الذي إذا

(١) رواه مسلم (٢٤٩١) وأحمد (٨٢٤٢) وابن حبان (٧١٥٤) والحاكم (٤٢٤٠) والطبراني في الكبير (٧٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (٣٥٣٩) ومسلم (٢٤٢٢) عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والبخاري (٥٥٤٥) ومسلم (٢٤٢١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عملته أحبك الناس أيضًا، فإذا كان الأمر كذلك فازهد فيما عند الناس من أجل ماذا؟ من أجل أن يحبك الناس والزهد في الدنيا بمعنى الرغبة عنها والمراد بالدنيا هي هذه الدار التي نحن فيها وعكس الدنيا الآخرة وأما السماء فعكسها الأرض فالمراد بالدنيا الحياة وليس كما يقول بعض الناس: الدنيا ويعني بذلك الأرض والسماء هذه أرض والتي فوقنا سماء ولكن الحياة التي تنتهي وزوالها دنيا وسميت دنيا لأمرين اثنين: إما من الدنو فهي دنيئة بالنسبة للآخرة وإما لأنها من حيث الزمن أي أنها قليلة كما قال ﷺ: ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ [جزء من آية ١٩٧ آل عمران وآية ١١٧ من النحل].

والنبي ﷺ يقول: «وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - . أي موضع العصا - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١) هذا مجرد المنديل وقال ﷺ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢) ويقول ﷺ: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا»^(٣) يعني خير من قطعة الحرير التي أهديت للنبي ﷺ فجعل الصحابة يتداولونها ويعجبون من حسننها ولينها فقال ﷺ: هذا الحديث. المنديل التي يمتخط ويتنظف بها سعد خير من حرير الدنيا وأما الزهد في الدنيا فالمراد بذلك ترك ما لا ينفع في الآخرة كما أن الورع ترك ما يخشى ضرره إما في الدنيا وإما في الآخرة وقد اختلفت عبارات العلماء في تحديد الزهد فبعضهم يقول: الزهد هو ترك الحرام وبعضهم قال: هو ترك فضول

(١) البخاري (٢٦٤١، ٢٧٣٥، ٣٠٧٨، ٦٠٥٢) ومسلم (١٨٨١) عن سهل بن سعد رضي الله عنه ورواه البخاري (٢٦٣٩، ٢٦٤٣) ومسلم (١٨٨٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٧٢٥) وأحمد (٢٦٣٢٩) والترمذي (٤١٦) والنسائي (١٧٥٩) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) البخاري (٣٠٧٧، ٣٥٩١، ٥٤٩٨، ٦٢٦٤) ومسلم (٢٤٦٨) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

العيش والذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله هو أجمع التعاريف: ترك ما لا ينفع في الآخرة^(١) فالشيء الذي لا ينفع في الآخرة لا بد أن تزهد فيه فيدخل في ذلك فضول المباحات ويدخل في ذلك المحرمات بشكل عام وهذه الدنيا حقيقة هي دار الإبتلاء والاختبار فلا يمكن أن يقر قرار امرئ فيها أبداً فما صفا كدرها حتى للأنبياء ولكن أفراح وبعدين أحزان كما قيل:

فيوم علينا ويوم لنا فيوم نساء ويوم نسر

هذا على مستوى الأثرياء والرؤساء والملوك والخلفاء ليس فقط على مستوى الفقراء فالفقراء ربما كانوا لهم شغل واحد وهو الفقر والفقر ليس عيباً لعل الله ﷻ قد ارتضاه لا امرئ فليرض بما قسمه الله ﷻ قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى ٢٧] وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَقْسِمُوا رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنُحْضِرَنَّ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيَّةً وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف ٣٢] ويقول النبي ﷺ: «أَرْضٌ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ»^(٢).

والزاهد لا يعرف من خلال شكله فربما يكون شكله شيء ولكن يحمل قلباً آخر لا ينطبق على هذه الشخصية حتى إنه سئل الإمام أحمد هل التاجر يكون زاهداً فقال: نعم سليمان بن داود أوتي الدنيا بأسرها وذو القرنين بلغ مشارق الأرض

(١) أنظر: مجموع الفتاوى (٢١/١٠) ومدارج السالكين (١٠/٢) وقال ابن القيم: وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد وأجمعها.

(٢) حسن: رواه أحمد (٨٠٨١) والترمذي (٢٣٠٥) والطبراني في الأوسط (٧٠٥٤) وأبو يعلى (٦٢٤٠) والبيهقي في الشعب (٩٥٤٣) وحسنه الألباني: صحيح الجامع (١٠٠) والصحيحة (٩٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومغاربها وهؤلاء من الزهاد ومحمد ﷺ زاهد وله تسع أبيات وتسع نساء، قال بعضهم: قدم الإمام الشافعي فقومنا أثاثه فبلغ ثلاثة ألف درهم ثم قدم بعد أيام الإمام شعبة فقومنا أثاثه وما عليه فبلغ ثلاثة عشر درهماً وإن جلده قد اسود من كثرة العبادة من يعرف الآن شعبة من العلماء الكبار لكن الشافعي كان له قدح معلا المسألة مسألة قلوب.

يذكر الشيخ العثيمين هنا قال: وليس الزاهد أن لا يلبس الثياب الجميلة ولا يركب السيارات الفخمة ولا أنه يتقشف ويأكل الخبز بلا إدام وما أشبه ذلك ولكن يتمتع بما أنعم الله عليه لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وإذا تمتع بالملاذ على هذا الوجه صار نافعا له في الآخرة ولهذا لا تغتر بتقشف الرجل ولبسه رديء الثياب فرب حية تحت القش ولكن عليك بعمله وأحواله.

وهنا يذكر معالي الشيخ صالح وزير الأوقاف كلاماً عزيز المعنى فأحببت أن أقرأه على مسامعكم حتى تستفيدوا قال ﷺ عند قول النبي ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله...» الحديث قال:

الوصية جمعت الزهد، الزهد في الدنيا هو الأمر القليل الذي لا يأبه له وكذلك زهد في الشيء يعني إذا جعله شيئاً قليلاً لا يأبه به وسعر زهيد إذا كان قليلاً ﴿وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَأَنُوفِيهِ مِنَ الزَّهْدَيْنِ﴾ [يوسف ٢٠] قال: إذا كان قليل ليس مما يلتفت إليه وهكذا قال: فالزهد في الدنيا أن تكون الدنيا في القلب غير مرفوع بها الرأس قد يعطيك الله ﷻ الدنيا لكن لا تجعلها أنت في قلبك اجعلها في لسانك لا تجعلها فوق رأسك اجعلها تحت قدميك يعني لا تأخذ الدنيا هذه إليك إن جاءت فرحت وإن ذهبت حزنت عليها وإنما قال الله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا

تَفَرَّحُوا بِمَاءِ اتِّكُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ [الحديد ٢٣] قال: الزهد في الدنيا هو أن لا تستوحش بذهابها ولا تفرح بإقبالها ثم قال الشيخ:

واختلفت عبارات العلماء كثيرا في تفسير الزهد ففسره طائفة بأن الزهد هو أن تكون فيما في يد الله أوثق مما في يدك قال: يعني أن يصح اليقين بأن ما عند الله ﷻ أوثق مما في يديك هذا تفسير روي عن بعض الصحابة وروي مرفوعاً ^(١) أيضا عن النبي ﷺ لكن الصحيح أنه موقوف.

قال أبو إدريس الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا في إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله» ^(٢) وهذا يعني أن ما عند الله ﷻ في الدنيا مما أوعده به عباده وما أوعده به في الآخرة يكون الثقة به أعظم مما تمارسه في الدنيا وهذا بناء على قلب سليم يقينه بربه وعظم يقينه بربه وعظم يقينه بوعدته ووعيده وعظم توكله على الله ﷻ وهذا حقيقة الزهد أن تكون مما في أيدي الله أوثق مما في يدك وفي شنتك وفي جيبيك.

قال: وأيضا فسر الزهد بأنه الإعراض عن الحرام والإكتفاء بالحلال وهذا طريقة من قال: إن كل مقتصد من عباد الله زاهد لأن المقتصد هو الذي قام بالواجبات وترك المحرمات قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر ٣٢] فقال بعضهم: الظالم هو الذي ترك الواجبات وأتى المحرمات والمقتصد

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٢٣٤٠) وابن ماجه (٤١٠٠) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه الطبراني في الأوسط (٧٩٥٤) عن أبي الدرداء مرفوعا وانظر: ضعيف الجامع (٣١٩٤).

(٢) أنظر: الزهد للإمام أحمد بن حنبل (ص ١٨).

هو الذي اقتصد على فعل الطاعات وترك المحرمات والسابق بالخيرات هو الذي ترك المحرمات والمشبهوات والمكروهات وقام بالواجبات والمستحبات هذا التفسير الثاني قال: إن كل من ابتعد عن الحرام وأقبل على الحلال واقتصر عليه فإنه زاهد وهذا عندهم زهد في المحرم فيصح الوصف بأنه زاهد إذا زهد في المحرم وفي هذا نوع من الزهد وليس هو الزهد في التصوف والشرعية ومنهم من فسر الزهد بعامة بأنه ترك الدنيا والإقبال على الآخرة والتعبد فالزاهد هو الذي ترك الدنيا وأقبل على الآخرة وهذا أيضا من التعاريف المعروفة لكنه ليس بصحيح يعني رأى واحد ينাম على الرصيف بكرتونة قال: أشهد لله أنك زاهد يقوم الشيخ هذا ليس بصحيح ربما ذلك الذي على الرصيف يحمل قلب أفعى.

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها عند التقلب في أنيابها العطب

ورب شخص يسكن في الفلل وعنده من الثراء والخير يعني الأول من أهل النار والثاني من أهل الجنة لماذا لأن الأول خربان الثاني يحمل قلبًا صحيحًا لكنه ليس بصحيح يعني أن الزهد بتفسير العوام هو الذي لا يمتلك شيء لا سيارة ولا بيت ولا امرأة ولا ولا ولا وياليت الناس يوافقون على هذا بل يريدوك هكذا لا تمتلك شيئًا فإذا قلت له: الألباني بن باز كذا كذا يصطدم بهذا الكلام لأنه يريد ناس يكونوا مرتبين على رقبته وهو عنده السيارة وعنده التليفون وعنده كذا وكذا يعني حلال له حرام على غيره قال: لكنه ليس بصحيح لأن الصحابة رضوان الله عليهم هم سادة الزهاد لم يتركوا الدنيا فلم يستعملوها في المباحات بل عملوا بما يحب الله ﷻ ويرضى وأخذوا نصيحتهم من الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

أَلْمُفْسِدِينَ ﴿[القصص ٧٧]﴾ وأيضًا فسر الزهد بتفسيرات كثيرة متعددة نصل إلى آخرها اسمع ما هو آخرها وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو أصح ما قيل في الزهد لصحة اجتماعه مع ما جاء في الأحاديث وكذلك ما دلت عليه الآيات وما كان عليه حال الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم قال: «الزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة»^(١) فمن كان تغلبه الرغبة في الدنيا وأنه لا يعمل العمل إلا إذا كان نافعاً له في الآخرة وإن لم يكن نافعاً له في الآخرة فإنه يتركه فهذا هو الزهد فعلى هذا يكون الزاهد غنيا ويكون مشغولاً ببعض المباحات إذا كان اشتغاله بها مما ينفع بالآخرة ولهذا قال ﷺ: «رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً فَسَاعَةً»^(٢) فمن استعان بشيء من اللهو المباح على قوته في الحق فهذا لا يخرج عن وصف الزهادة والمراد باللهو المباح: هو أن يجلس مع أهله مع أولاده مع أحبائه كان الصحابة يجتمعون عند النبي ﷺ يخوضون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم ﷺ، والله في بعض المجالس تحصل بعض هؤلاء الذين عندهم غلو تخشى أنك تقول كذا وكذا أو تتبسم زيادة أعوذ بالله صدق النبي ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(٣) وتجد بعضهم ينكر مثل هذا وعنده والله مصائب نسأل الله السلامة قال: وهذا حاصله أن إقباله على الآخرة فقط فلا يتأثر بمدح الناس ولا بدمهم ولا بشنائهم ولا بتركهم الثناء وإنما هو يعمل ما ينفعه في الآخرة ويترك الإشتغالات بكل المباحات لأنه لا يستقيم مع ترك الرغبة في الدنيا وكل المباحات لا تنفع في الآخرة وإنما بعض المباحات ولهذا ذهب قائل هذا القول وهو الشيخ تقي

(١) قد سبق قريباً.

(٢) ضعيف: مسند الشهاب القضاعي (٦٧٢)، وضعفه الألباني: ضعيف الجامع (٣١٤٠) والضعيفة

(٣٦٤٩) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٦٧٠) وأحمد (٣٦٥٥) وأبو داود (٤٦٠٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

الدين ابن تيمية رحمته الله ألا إن الإشتغال بفضول المباحات والإكثار منها لا يجوز أنه كلما أقبل عليه مباح أخذه دون مأربة قال: هذا لا يجوز وهو من اختيارات شيخ الإسلام يعني وإن كان يقول: الزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة أيضا لا ينبغي أن يسترسل الشخص مع المباحات كلها فإنه في ذلك عرضة تعرض دينك وعرضك إلى ما لا تحمد عقباه الكرة مثلا قد يقال لكن لو استرسل معها خلاص تنسى واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرًا وَافًيًا﴾ [طه: ١٣١] قال: والاستدلال ظاهر حيث نهى الله النبي صلى الله عليه وسلم والنهي لأمرته على وجه التبعية أن يمد المرء عينيه إلى ما متع به الخلق من زهرة الحياة الدنيا فإنه يفوته الزهد في الدنيا لأنه لا بد أن يحصل بالقلب نوع تعلق بالدنيا وهذا خلاف الزهادة فتحصل من ذلك أن الزهد ليس معناه الفقر وليس معناه ترك المال وإنما الزهد حقيقة بالقلب بتعلقه في الآخرة ثم قال الشيخ هنا:

وزيادته ونقصه واحد لإقباله على الآخرة وإنما حصل هذا بيده فيستعمله فيما ينفعه في الآخرة وهذا من الأمر العظيم الذي فات إدراكه على كثير من الناس في هذه الأمة فظنوا أن الزهادة الإعراض عن المال والإعراض عما يحصل للمرء به نفع في الآخرة وسئل الحسن أو غيره من الزاهد؟ قال: هو الذي إذا رأى غيره ظن أنه خير منه حتى يكون الزهد في الثناء كما قال الأندلسي وهو يوصي ابنه:

والزهد عند أولي النهى زهدان زهد عن الدنيا وزهد في الثناء

طوبى لمن أمسى له الزهدان

وذكر ابن الجوزي في تلييس إبليس على الصوفية قال: يكون عنده مال فيذهب يحرقه زوجة يطلقها ويبقى في المسجد على سؤال الناس وكان عنده مال إما أنفقه

كاملاً وبعضهم يستدل بقصة أبي بكر حينما خرج من أمواله وذكر ابن الجوزي في صيد الخاطر فيقول: أنا أخرج كما خرج أبو بكر قال ابن الجوزي: وهذا ناتج عن فهم سقيم فإن الأصل في أبي بكر أنه كان تاجر ويعرف كيف يضارب ويكسب المال ويربح فإنه وإن خرج من ماله كان من السهل عليه إعادته. الآن رجل تاجر كبير حصل له شيء عنده معاريف عنده كذا يستطيع بفضل الله ﷻ بخلاف المعدم الذي ما قد عرف يوماً أنه من التجار الكبار ولا الصغار فمن الصعب بمكان أن يدخل في المال وفي الثراء بهذه السرعة والسهولة قال: وهذا من أعظم المعاني التي اخترعها الحسن البصري يفسر الزهد بتفسير غريب يعني بالتواضع قال: هو الذي إذا رأى غيره ظن أنه أفضل منه قال: وهذا من عظيم المعاني التي اخترعها الحسن ﷺ حيث قال: إن الزاهد هو الذي يفضل غيره عليه من منا يفعل هذا يا إخوان أخوك أحسن منك تلاوة، لا والله هذا أحسن مني صوتاً وهذا أحسن مني خطابة وهذا أحسن مني في كذا وكذا هذا من الإنصاف «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا» (١) وأيضاً أجر كبير رفعة قال النبي ﷺ: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» (٢) قال: هو الذي يفضل غيره عليه إذا رأى أحداً من المسلمين ظن أنه خير منه عند الله ﷻ وهذا يعني أنه غير متعلق بالدنيا مزدر لنفسه في جنب الله ﷻ غير مترفع عن الخلق وهذا إنما يحصل لمن من الله عليه فعمر قلبه بالرغبة في الآخرة وبالبعد عن التعلق بالدنيا والكلام على تأريخ الزهد كثير قال: إذا تقرر هذا فنرجع إلى قوله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله...» الحديث ازهد في الدنيا معناه أن تكون الدنيا قليلة

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥) وأبو داود (٣٨٩٥) وابن ماجه (٤١٧٩، ٤٢١٤) والبخاري في الأدب (٤٢٨) عن

عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) في مسلم: وقد سبق.

حقيرة في قلبك يعني مهما أعطيت تنظر بعين الإحتقار والآخرة تنظرها بعين الإعظام والإجلال والإكبار

قال ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبغه هذه - وأشار يحيى بالسبابة - في اليم فليُنظر بم يرجع»^(١).

قال: فلا ترفع بها رأسك يعني أنه إذا تصرف لا يتصرف للدنيا إذا فعل لا يفعل للدنيا وإنما يكون لله ﻋَﻠَﻴْﻪِ فينقلب حامده وذامه من الناس سواء رضي عنه الناس أو لم يرضوا عنه فإنه يعامل ربه ﻋَﻠَﻴْﻪِ بما أمر به من التصرفات والأعمال فإذا زهدت في الدنيا أحبك الله يعني ليكن تعلقك بالآخرة وأخرج الدنيا من قلبك أو قللها من قلبك لأن ازهد معناه قلل وإذا كان كذلك حصل لك محبة الله لأنه إذا اجتمع في القلب الرغبة في الآخرة فإنه يكون مع الإقبال على الله ﻋَﻠَﻴْﻪِ والإبتعاد عن دار الغرور ثم ذكر تعليقه حول يحبك الله وقد تقدم أما فيما يتعلق بقوله ﷺ: «وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».

فهذا أمر مجرب فإن الناس مجبولون على من يعطيهم لأن الإنسان عبد الإحسان فإذا لم تعط الناس صار عندهم شيء من الإنقباض فإذا أنت طلبت كانوا لك كارهين وكنت أنت لهم ذليلاً لماذا؟ لأن النبي ﷺ يقول: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»^(٢) فلا ينبغي للشخص أن يعرض نفسه في قليل ولا في كثير لأن

(١) في مسلم: وقد سبق.

(٢) متفق عليه: البخاري (١٣٦١، ١٤٠٣، ٢٥٩٩، ٢٩٧٤، ٦٠٦٧) ومسلم (١٠٣٤، ١٠٣٥) عن حكيم بن حزام، ورواه البخاري (٥٠٤٠) ومسلم (١٠٤٢) عن أبي هريرة، ورواه البخاري (١٣٦٢) ومسلم (١٠٣٣) عن ابن عمر، ورواه مسلم (١٠٣٦) عن أبي أمامة رضي الله عنهم أجمعين.

النبي ﷺ يقول: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ»^(١) فالدنيا حلوة وخضرة.

أيضاً فذكر هنا أمثلة في قوله: «وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».

قال: فيه الحث والترغيب في الزهد فيما عند الناس لأن النبي ﷺ جعله سبب لمحبة الناس لك وهذا يشمل أن لا تسأل الناس شيئاً وأن لا تتطلع وتعرض بأنك تريد كذا: المثل الأول: أن ترى مع شخص من الناس ما يعجبك من قلم أو ساعة وقد يكون غير ذلك فتحاول معه وتتصل تلفون من أول كنت تنزل عنده وهو ينظر إلى علمك وينظر إليك بعين الإعظام والإجلال والإكبار فتبدأ تطلب منه شيئاً فربما كان الشيء المطلوب كثيراً فيبدأ يكرهك وقد جاءنا مرة بعض الزوار وكان بعض الزوار وكان يأتيهم اتصال أنا فهمت المغزى من ذلك الإتصال على أنه كانوا يدعون لمحاضرة فكان يتصل يقول له صاحبه: من يقول له فلان أنا أعرف فلان هذا فيقول كذا دعنا منه مثل الذي يقول: أيش يريد هذا؟

هذا الجرجاني رحمه الله:

يقولون لي فيك انقباض وإنما	وأوا رجلا عن موضع الذل أحجما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم	ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا	محياه بالأطماع حتى تجهما

ولو ترى مع أخيك عشرين قلم لا تقول له: هات قلم أو تروح وبعدين ترجع تتصل له: هات قلم أو ساعة أو كتاب ولكن ادع وبارك رأيت شيئاً أسأل الله يا أخي أن

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢) والترمذي (٢١٩١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يبارك لك الملك يقول: ولك مثله وبعدين يعطيك الله ﷻ من خزائنه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر ٢١] فاسأل ربك من خزائنه فإن الله ﷻ يحب أن يسأل ويغضب إذا لم يسأل قال: مثال ذلك: أن ترى مع الناس ما يعجبك من قلم أو ساعة تقول: يا فلان هذه ساعة طيبة طيب من الذي طلب منك شهادة بأنها طيبة أو ليست طيبة ألا تهديها لي فأن الهدية تذهب السخيمة وتزيد تعظه «تهادوا تحابوا»^(١) وأتى بالمواعظ من أجل أن يأخذ الساعة لكن وهذا أيضا إن كان ذكيا قال: وأنت أهدي علي ساعتك ويأتي له بالنصوص أقول: إن سؤال الناس ما عندهم لا شك أنه من أسباب إزالة المحبة والمودة لأن الناس يستثقلون ويستهجنون الرجل ويستدلونه واليد العليا خير من اليد السفلى ومثال الثاني: أن تعرض بأنك تريده كأن تقول: ما شاء الله هذا القلم الذي معك ممتاز ليتني أحصل على مثله وهذا كأنك تقول له: أعطني إياه قال: فمثل هذا عليك أن تردعه إذا طلب منك مثل ذلك وقل له: ابحث عنه في السوق لأنني لا أحب أن الناس تدنو أنفسهم إلى هذا الحد دع نفسك عزيزة لا تستذل.

قال: **ولكن هنا مسألة:** إذا علمت أن صاحبك لو سأله لسره ذلك فهل تسأله؟

الجواب: نعم فقد: دخل رسول الله ﷺ وبرمة على النار فقرب إليه خبز وأدم من آدم البيت فقال: «أَلَمْ أَرِ الْبُرْمَةَ»، فَقِيلَ: لَحْمٌ تُصَدَّقُ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ، وَأَنْتَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، قَالَ: «هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ، وَلَنَا هَدِيَّةٌ»^(٢).

(١) حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤) والبيهقي في الشعب (٨٩٧٦) والكبرى (١١٧٢٦) وأبو يعلى (٦١٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الألباني: في الإرواء (١٦٠١) وانظر: صحيح الجامع (٣٠٠٤).

(٢) البخاري (٤٨٠٩، ٤٩٧٥، ٥١١٤) ومسلم (١٥٠٤) عن عائشة رضي الله عنها.

لأننا نعلم علم اليقين أن بريرة رضي الله عنها سوف تسر فإذا علمت أن سؤالك يسر صاحبك فلا حرج والله الموفق. صاحبك هذا أعزب وأنت معك أربع نسوان هل يسره أن تقول له: طلق واحدة من شأن أتزوجها أنا؟ ما يسره هذا أو رأيت مع صاحبك أنه يمتلك أرصدة فتقول: والله يا بو الرجال طول الله عمرك أنا أحتاج منك مليون ريال ما يسر بهذا رأيت مع صاحبك قلمين أنيقين قلت له: والله يا أخي القلم هذا طيب ما شاء الله بس أيش رأيك تقسمه على اثنين واحد لي وواحد لك ما يسر بهذا ولكن هناك أشياء على مستوى اللحمة أنت رجل لك فضل انظر النبي ﷺ من هو وبريرة أيش هي كانت أمة ويطلب منها سيد الأولين والآخرين فيطلب منها قليل مرق أو قليل لحمة وهذا على مصطلح بعض الناس ليس زهد على أن النبي ﷺ سيد الزاهدين قدم له الأكل بدون لحم قال: «ألم أر البرمة؟».

النبي ﷺ عاب على أولئك الذين قالوا بعضهم: أنا لا آكل اللحم وقال ذاك: أنا لا أتزوج النساء وقال ذاك: أنا أقوم فلا أنام وأنا أصوم فلا أفطر فقال النبي ﷺ: فقال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أَصْلِي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» ^(١).

فأنت رجل عظيم في مجتمعك مررت إلى جانب دار أخيك الصغير الذي أصغر منك سنا وعلما وجاها فدفت الباب فلان موجود قالوا: نعم موجود وأيش يصلح؟

قالوا: يتغدى قلت: يا أخي وين الغداء نشتي تتغدى فهو على طول ينشرح المسألة مسألة غداء معادش يروح يتكلف غداء الحاصل خبز ولبن مطيط عصيد أيش

(١) البخاري (٤٧٧٦) واللفظ له ومسلم (١٤٠١) عن أنس رضي الله عنه.

ما كان أو رأيت معه بعض الهدايا في البيت قلت: يا أخي الله المستعان هنا لا بد أن تكون ذكيا أنت تعلم أنه ينشرح إذا طلبت هذا منه لكن شخص أنت تعرف أنه ينزعج لا سيما إذا كان المطلب كبير فلا ينبغي، لا سيما الشخص الذي عنده أب أو أخ وهم ليسوا راضون عنه لطلب العلم مثلا فربما كذا وربما في بعض الأحيان يكون الشخص غير محسن للتصرفات أنا أعرف واحد كان ينكر على أبيه لأن أغلب مدخل المال عن طريق القات فكان ينكر ويشد على والده أن هذا المال مشبوه وأنه إلى الحرام أقرب الرسائل والكلام وبعد فترة يطلب من أبيه. هذه زلة خطيرة وأنت كذلك تعرف أن فلان يعمل في كذا أو تعرف أنك إذا طلبت منه شيئا يتأثر لا والله اتركه ولو حتى عن طريق الإقتراض فاستغني بالله يغنيك من فضله قال النبي ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ» (١).

وأيضا قول النبي ﷺ: «(أَلَا تَبَايَعُونَ رَسُولَ اللَّهِ) فَبَسَطْنَا أُيُودِنَا، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ، فَعَلَامَ تَبَايَعُكَ؟ فَقَالَ: «أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُوا الصَّلَاةَ الْحَمْسَ، وَتَسْمَعُوا وَتُطِيعُوا، وَأَسَرَّ كَلِمَةً خُفِيَةً، وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفَرِ، يَسْقُطُ سَوْطُهُ، فَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا، يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ» (٢).

وقال ﷺ: «وَأَجْمَعَ الْإِيَّاسَ مِمَّا فِي أُيُودِي النَّاسِ» (٣).

(١) البخاري (١٤٠٠، ٦١٠٥) ومسلم (١٠٥٣) وأحمد (١١١٠٦، ١١٩٠٨) أبو داود (١٦٤٤)

والترمذي (٢٠٣٤) والنسائي (٢٥٨٨) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (١٠٤٣) وأحمد (٢٤٠٣٩) وأبو داود (١٦٤٢) والنسائي (٤٦٠) وابن ماجه (٢٨٦٧)

عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٣٥٤٥) وابن ماجه (٤١٧١) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٧٤٢)

والصحيحة (٤٠١) عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الفضيل بن عياض: «لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً لأعطاك مولاك كل ما تريد»^(١).

قال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقممت إلى جنبه فجعل يوصيني بدينه ويقول يا بني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاي. قال فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت يا أبت من مولاك؟ قال الله قال فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه فقتل الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يدع ديناراً ولا درهما إلا أرضين منها الغابة وإحدى عشرة داراً بالمدينة ودارين بالبصرة وداراً بالكوفة وداراً بمصر قال إنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة.

قال عبد الله بن الزبير فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف قال وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف ثم قام فقال من كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة فأتاه عبد الله بن جعفر وكان له على الزبير أربعمائة ألف فقال لعبد الله إن شئتم تركتها لكم قال عبد الله لا قال فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم.

فقال عبد الله لا قال فاقطعوا لي قطعة فقال عبد الله لك من ها هنا إلى ها هنا قال فباع منها فقضى دينه فأوفاه وبقي منها أربعة أسهم ونصف فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة فقال له معاوية كم قومت الغابة؟ قال كل سهم مائة ألف فكم بقي قال أربعة أسهم ونصف قال المنذر بن الزبير قد أخذت سهماً بمائة ألف قال عمرو بن عثمان قد أخذت سهماً بمائة ألف وقال ابن

(١) أنظر: جامع العلوم والحكم (ص/ ١٩٧).

زمعة قد أخذت سهما بمائة ألف فقال معاوية كم بقي ؟ فقال سهم ونصف قال أخذته بخمسين ومائة ألف قال وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه.

قال بنو الزبير اقسم بيننا ميراثنا قال لا والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه قال فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال فكان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف» (١).



(١) البخاري (٢٩٦١) والبيهقي في الكبرى (١٢٤٦٢) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

[٣٢]

{ لا ضرر ولا ضرار }

وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ^(١) رَوَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» قال: حديث حسن ^(٢) «هذا حكم النووي على الحديث» رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما سندا. ورواه مالك في الموطأ مرسلا ^(٣) عن

(١) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري مشهور بكنيته كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم وفقهائهم استصغر بأحد واستشهد أبوه بها وغزا بعد ذلك مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة كان أول مشاهدته الخندق روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة وعن جماعة من الصحابة وحدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة. قال الواقدي مات سنة أربع وسبعين وقيل: أربع وستين وقيل: مات سنة ثلاث وستين وقيل: مات سنة خمس وستين. الإصابة (٨٠ / ٣) رقم (٣١٩٨) وتهذيب الكمال (١٠ / ٢٩٤) رقم (٢٢٢٤) والبداية والنهاية (٣ / ٩).

(٢) صحيح بمجموع طرقه: ولكن لم يخرج ابن ماجه عن أبي سعيد، وإنما أخرجه من حديث ابن عباس (٢٣٤١) ومن حديث عبادة بن الصامت (٢٣٤٠) وعنهما أخرجه أحمد برقم (٢٨٦٧، ٢٢٨٣٠). وحديث أبي سعيد هذا أخرجه الدارقطني برقم (٢٨٨) والحاكم برقم (٢٣٤٥) والبيهقي في الكبرى (١١١٦٦).

وأنظر: صحيح الجامع (٧٥١٧) والصحيحة (٢٥٠) والإرواء (٨٩٦) وغاية المرام (٢٥٤) وغيرها. (٣) الموطأ برقم (١٤٢٩).

فائدة: قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قال أبو عمرو بن الصلاح هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه وقد تقبله جماهير أهل العلم واحتجوا به وقول أبي داود إنه =

عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي ﷺ فأسقط أبا سعيد وله طرق يقوي بعضها بعضها.

الحديث ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة وبالجمله هو حديث صحيح وهو قاعدة عامة من قواعد الشريعة الإسلامية لا ضرر ولا ضرار والضرر يزال لكن هنا كلام كثير وطيب أيضًا بحث مائع للشيخ المحقق ابن رجب الحنبلي رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى أحببت أن أقرأه على مسامعكم من أجل أن تعم الفائدة:

قال ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم^(١): حديث أبي سعيد لم يخرج به ابن ماجه وإنما خرج به الدارقطني والحاكم والبيهقي من رواية عثمان بن محمد بن أبيه بن ربيعة قال: حدثنا الدراوردي عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ، مَنْ ضَارَّ ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ» قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم.

وقال البيهقي: تفرد به عثمان وقال: عن الدراوردي وخرجه مالك في الموطأ عن عمرو بن يحيى عن أبيه مرسلًا قال ابن عبد البر: لم يختلف عن مالك في إرسال هذا الحديث قال: ولا يسند من وجه صحيح ثم خرج به من رواية عبد الملك بن معاذ التميمي عن الدراوردي موصولًا والدراوردي كان الإمام أحمد يضعف ما حدث به من حفظه ولا يعبأ وشك في تقديم قول مالك على قوله وقال خالد بن سعيد

من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف والله أعلم./ أنظر: جامع العلوم والحكم (ص ٤١١).

وقال العلائي: للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به.

أنظر: فيض القدير (٦/ ٤٣١ رقم ٩٨٩٩).

(١) أنظر: جامع العلوم والحكم (ص/ ٣٠٢).

الأندلسي الحافظ: لم يصح حديث: «لا ضرر ولا ضرار» مسندًا وأما ابن ماجة فخرجه من رواية فضيل بن سليمان قال حدثنا موسى بن عقبة قال حدثنا إسحاق بن يحيى بن الوليد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قضى «أن لا ضرر ولا ضرار» قال: وهذا من جملة صحيفة تروى بهذا الإسناد وهي منقطعة مأخوذة من كتاب قاله ابن المديني وأبو زرعة وغيرهما وإسحاق بن يحيى قيل هو ابن طلحة وهو ضعيف لم يسمع من عبادة قاله أبو زرعة وابن أبي حاتم والدارقطني في موضع وقيل: أنه إسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة ولم يسمع أيضًا من عبادة قال الدارقطني أيضًا وذكره ابن عدي في كتاب الضعفاء قال: عامة أحاديثه غير محفوظة وقيل إن موسى بن عقبة لم يسمع منه وإنما روى هذه الأحاديث عن أبي عباس الأسدي عنه وأبو عباس لا يعرف قال: وخرجه ابن ماجة أيضًا من وجه آخر من رواية جابر الجعفي عن عكرمة عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» قال: وجابر الجعفي ضعفه الأكثرون وخرجه الدارقطني من رواية إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة وإبراهيم ضعفه جماعة ورواية داود عن عكرمة مناكير وخرج الدارقطني من حديث الواقدي حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أبي الرجال عن عمرو عن عائشة عن النبي ﷺ به والواقدي متروك شيخ مختلف في تضعيفه خرجه الطبراني من وجهين ضعيفين أيضًا عن القاسم عن عائشة قال: وخرج الطبراني أيضًا من رواية محمد بن مسلمة عن أبي إسحاق نسأل الله السلامة والعافية محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر عن النبي ﷺ به وهذا إسناد مقارب وهو غريب لكن خرجه أبو داود في المراسيل من رواية عبد الرحمن بن مقراء عن إسحاق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع وهو أصح وخرجه الدارقطني من رواية أبي بكر بن عباس قال: أراه

عن ابن عطاء عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال وذكره وفيه: «ولو أن يضع خشبة على حائطه»^(١) قال: وهذا الإسناد فيه شك وابن عطاء هو يعقوب وهو ضعيف قال: وروى كثير بن عبد الله بن عمر بن عاصم المزني عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار» وقال ابن عبد البر: إسناده غير صحيح ثم قال ابن رجب قلت: كثير هذا يصحح حديثه الترمذي ويقول البخاري في بعض أحاديثه هو أصح حديث في الباب وهذه العبارة لا يفهم منها التصحيح وصحح حديثه أو حسن حديثه إبراهيم بن منذر الحزامي وقال: هو خير مراسيل بن المسيب وكذلك حسنه ابن أبي عاصم وترك أحاديثه آخرون منهم الإمام أحمد وغيره فهذا ما حضرنا من ذكر طرق أحاديث هذا الباب. وقد ذكر الشيخ النووي أن بعض طرقه مقوى ببعض وهو كما قال وقد قال البيهقي في بعض أحاديث كثير بن عبد الله المزني إن انضمت إلى غيرها من الأسانيد التي فيها ضعف قويت.

قال الشافعي في المرسل: إنه إذا أسند من وجه آخر وأرسله من يأخذ العلم من غير من يأخذ عنه المرسل الأول فإنه يقبل. **قال الجوزجاني:** إذا كان الحديث المسند من رجل غير مقنع لا يقنع بروايته وشدّ أركانه المراسيل بالطرق المقبولة عند ذوي الاختيار استعمل واكتفى به وهذا إذا لم يعارض بالمسند الذي هو أقوى منه. قال: وقد استدلل الإمام أحمد بهذا الحديث قال: قال النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» وقال ابن عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه وقد قبله جماهير أهل العلم واحتجوا به وقول أبي داود أنه من

(١) صحيح بمجموع طرقه: رواه الدارقطني برقم (٨٦): الإرواء (٨٩٦) وأنظر: حديث رقم (٣٢) من الأربعين.

الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف والله أعلم. هذا ما ذكره ابن رجب رحمته الله وكما تقدم أن الألباني رحمته الله تعالى ذكر طرقه مصححا إياه وهكذا شعيب الأرناؤوط ^(١) وهو قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام المطردة.

قوله رحمته الله: «لا ضرر ولا ضرار» هذا الحديث أصل عظيم ويدخل في أبواب الفقه إن لم تقل كلها فجلها فهو يدخل في باب المعاملات لا يجوز الضرر في باب الوصية وفي الموارث وفي النكاح وفي باب الرضاع يدخل في أبواب الإسلام كلها لأنه قاعدة من قواعد الشرع المبارك.

وقوله رحمته الله: «لا ضرر» أي لا مضرة والفرق بين الضرر والضرر أن الضرر يحصل بدون قصد تضرر جارك بتسرب ماء إلى بيته من بيتك دون علمك ودون شعورك قال: أنا أتأذى من هذا أما المضارة ما كان يقصد ذهب جار فاشترى ماطور كهربائي أو هذه الآلة التي يصنعون بها البلك فقال: يريد يفتح مصنع بلك بجانب بيته ويشغل في الليل وفي هذا إزعاج على الجيران هذه مضارة لأنها بقصد. والضرر يحصل على البدن ويحصل على المال ويكون أيضًا على الأولاد ومن تأمل هذا الحديث علم تلك القواعد أو القواعد الخمس الكلية التي بعث الله تعالى الرسل وأنزل الكتب من أجل تحقيقها وثبوتها وهي:

حفظ الدين والمال والنفس والنسل والعقل هذه الضرورات الخمس هذا الحديث يدخل أيضًا في باب العقيدة لا تضر مسلمًا في عقيدته وفي منهجه فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣].

(١) أنظر: تحقيق صحيح ابن حبان برقم (٤٠) لشعيب الأرناؤوط.

إذا كان الضرر مرفوض ويجب رفعه على من ضرك بمائة ريال بخمسة ريال وبأقل من ذلك فما بالك إذا كان الضرر بالدين الذي هو رأس المال الذي هو حياتك وكما قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «يا ابن آدم دينك دينك فإنه هو لحمك ودمك إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك» (١).

فالضرر منتف شرعاً الضرر يزال لا ضرر لا يجوز لك أن تسبب ضرراً على أخيك المسلم وإن رأيت ضرراً حاصلًا منك وجب عليك قطعه ومنعه ومعالجته الله ﷻ أراد ذلك ورسوله ﷺ كذلك أيضًا نأخذ بعض الآيات التي ذكرت هذا الباب يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَذَكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٣١] هذا ضرر يحصل للمرأة ﴿فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ كان العرب قبل الإسلام في الجاهلية كان أحدهم يريد إلحاق الضرر بالمرأة فيطلقها حتى إذا انقضت عدتها راجعها ثم يطلقها فإذا ما انقضت عدتها راجعها ثم يطلقها فيراجعها وهكذا فأنزل الله الآية السابقة.

ويقول سبحانه: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ

(١) أنظر: حلية الأولياء (٢/ ١٤٥) ومواضع أخرى، وروي مرفوعاً عن ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه الخطيب في الكفاية (ص ١٢١) وضعفه الألباني: الضعيفة (١١٢٦).

تَسْتَرْضِعُونَ أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿البقرة ٢٣٣﴾.

فلا يجوز إلحاق الضرر بالمرأة باعتبار أنها كرهت الرجل وكرهها فالله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة ٢٣٧] فبعضهم يذهب يأخذ الابن قسراً وجبراً من أمه باعتبار أن هناك آل فلان تخاصموا أمام الحكام فيلحقون الضرر بالأم وبالرضيع أيضاً هذا ضرر حرسه الله ﷻ في هذا الباب، وهكذا في باب المواريث قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ نَصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ...﴾ إلى أن قال ﴿... مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء ١٢].

لا يجوز الإضرار في الوارث بأن تأخذ التركة متعللين بتعليلات لا تمت إلى الدين بصلة من باب إسقاط بعض الورثة لا سيما القُصْر وهكذا أيضاً لا يجوز الإضرار بحق اليتيم فإن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتِهِمْ طُلُمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء ١٠].

وهكذا في باب المعاملات هناك من يلحق الضرر بالمسلمين يذهب فيعطيه قطعة الأرض ثم بعد ذلك يقول له: إن أنتجت هذه قبل هذه فهي لي فصاحب المال مخير فنتج إحدى القطعتين فيأتي المالك فيأخذها وربما الأخرى لم تنتج والذي قام عليها ونماها ورعاها ورباها.... إلخ إنما هو هذا المستأجر على أنه كان الأولى أن يقول له: أنا شريكك بالنصف باتفاق أو ليكن شيء يتفقون عليه من الحصيلة العامة إما أنه يحدد استغلالاً لضعف هذا وفقره لا يجوز وهكذا من المسلمين من إذا حضرته المنية قال: البنت الفلانية لا ترث أسقطوا البنات فيلحقون الضرر بالبنات

ربما تطلق فتعيش فقيرة أو مرمية في أحضان رجل لا يريد لها وربما يكتتها أن إختوها ظلمة ظلموها.... إلخ فتعيش في شر عيشة والذي ألحق فيها الضرر هو أبوها وهكذا أحياناً بعض الآباء الذين يظلمون أولادهم الذكور يذهبوا يحتالوا على الذكور فيوصي لابن أبن هو ما يريد يعطي ابن الابن لكن فقط معه مخرج لأنه ما يجوز له يوصي لابن لأنه وارث

والنبي ﷺ يقول: «لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»^(١) لكن يوصي لابن الابن بالثلث لأنه معهم في ذلك دليل «لُثْلُ الثُّلُثُ كَثِيرٌ»^(٢).

وهو ما يريد إلا الابن أو زوجة الابن فتحدث ربما مقاتلة بسبب أنهم خالفوا أصلاً من أصول الشريعة وهو هذا الحديث وهؤلاء أضروا فحينما أضروا هم تضرروا أيضاً لأنه بالمقابل بقية الورثة لم يحترموا ما قام به الأب بل ربما بعضهم قدح فيه وسب أباه وربما فعل أشياء كثيرة في حق إخوته ويكون المسبب في ذلك كله هو الأب فهذا الحديث المبارك يجب أن يفهم على وجهه وأن يفهم الناس معنى الحديث «لا ضرر ولا ضرار» لا تلحق ضرراً بنفسك ولا بغيرك حتى بنفسك أيضاً لا تلحق بها الضرر لأن الله ﷻ حرم ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢٣٤٨) وأبو داود (٢٨٧٠، ٣٥٦٥) وابن ماجه (٢٧١٣) عن أبي أمامة

ورواه النسائي (٣٦٤١) عن عمرو بن خارجة رضي الله عنه.

وقد جاء عن جماعة كثيرة من الصحابة منهم: عبد الله بن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم رضي الله عنهم.

وأنظر: الإرواء (٦/ ٨٧-٨٨) رقم (١٦٥٥)، وصحيح الجامع (١٧٢٠، ١٧٨٨، ١٧٨٩، ١٧٥٧٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٦، ١٢٣٣، ٢٥٩١، ٢٥٩٢، ٢٥٩٣، ٥٠٣٩، ٣٧٢١، ٤١٤٧، ٥٠٣٩،

٥٣٣٥، ٥٣٤٤، ٦٠١٢، ٦٣٥٢) ومسلم (١٦٢٨) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

يَبْتَلِيكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَجَرَّةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿النساء ٢٩﴾.

وهذا الحديث يدخل أيضًا فيمن أضر بعقله فشرب الخمر مثلاً أو أضر بقلبه فأفسده بالأغاني والمزامير وأيضًا فيمن أفسد عقله وتصوره بالنظر إلى ما يسخط الله ﷻ وأيضًا فيمن كان له علم فأضر بعلمه في أن أهان نفسه وأهان قداسة علمه الذي يحمله فهو داخل تحت الحديث وهكذا فيمن أكل كثيرًا حتى حصل له عسر هضم تكلف الأكل كثيرًا فأفسد عليه معدته فيكون قد خالف الحديث نسأل الله أن يفقهنا في ديننا وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

وبعبارة وجيزة أن هذا الحديث أصل يدخل في جميع أبواب الدين والعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.



[٣٣]

{ البينة على الدعي واليمين على من أنكر }

عن ابن عباس ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بَدْعَوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالُ أَمْوَالِ قَوْمٍ دِمَاءَهُمْ، وَلَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ» حديث حسن ^(٢) رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين ^(٣).

(لا يعطى) المعطي هو من له حق الإعطاء كالقاضي والمصلح بين الناس. (دعواهم) أي بادعائهم الأشياء من دماء وأموال وحقوق آخرين. (لادعى) هذا

(١) سبقت ترجمته عند الحديث (١٩).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (٢٠٩٨٦) وهو حديث صحيح لا حسن، وقد صححه الألباني: في الإرواء (١٩٣٨).

(٣) البخاري (٤٢٧٧) ومسلم (١٧١١).

قال النووي في شرح مسلم (٣/١٢): وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع فيه أنه لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه بل يحتاج إلى بينة أو تصديق المدعى عليه فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك وقد بين ﷺ الحكمة في كونه لا يعطى بمجرد دعواه لأنه لو كان أعطى بمجرد دعواه لادعى قوم دماء قوم وأموالهم.

وقال ابن دقيق العيد في شرح الأربعين (ص ٨٤): وهذا الحديث أصل من أصول الأحكام وأعظم مرجع عند التنازع والخصام ويقتضي أن لا يحكم لأحد بدعواه.

وقال: أجمع العلماء على استحلاف المدعى عليه في الأموال واختلفوا في غير ذلك.

قال ابن المنذر في الإجماع (ص ٧٥): أجمع أهل العلم على أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه.

جواب لو. قوله (لادعى رجال أموال قوم) أي رجال لا يخافون الله تعالى، أما من يخاف الله فلن يدعي ما ليس له من مال أو دم أو حقوق.

(ودمائهم) بأن يقول هذا قتل أبي مثلاً، (ولكن البينة) ما يبين به الحق ويظهره من الدلائل والقرائن.

هذا الحديث أصل عظيم في القضاء وقاعدة عظيمة ينتفع بها القاضي وينتفع بها المصلح بين الناس.

قال البسام: مفردات الحديث.

البينة: بان الأمر فهو بين من بان الشيء، أي ظهر، فهي العلامة الواضحة. وشرعاً: اسم لما يبين الحق ويظهره.

اليمين: تطلق لغة على القوة ومنه اليمين لليد. وشرعاً: تأكيد المحلوف عليه بذكر معظم على وجه مخصوص، وسميت يميناً لأن الحالف يعطي يمينه ويضرب بها على يمين صاحبه.

ما يؤخذ من الحديث:

١- يبين النبي ﷺ في هذا الحديث على أن من ادعى على أحد دعوة فإن عليه الإثبات والبينة على دعواه فإن لم يكن لديه بينة فعلى المدعى عليه اليمين لنفي ما ادعى عليه به من حق

٢- ثم ذكر ﷺ الحكمة في كون البينة على المدعي واليمين على من أنكر وهي لو أنه أعطي كل من ادعى دعوة ما ادعاه لادعى كل من لا يراقب الله تعالى على الأبرياء دماً وأموالاً يبهتونها بها لكن الحكيم العليم جعل حداً وحكماً لتخف وطأة

الشر ويقل الظلم والفساد.

قال ابن دقيق العيد: الحديث يدل على أنه لا يجوز الحكم إلا بالقانون الشرعي الذي رتب وإن غلب على الظن صدق المدعي.

٣- أن اليمين على المدعى عليه وأن البينة على المدعي كما في رواية البيهقي، وذلك أن اليمين تكون في الجانب القوي من المترافعين وجانب المدعى عليه بلا بينة من المدعي هو القوي. لأن الأصل براءة ذمته فاكفني منه باليمين.

قال ابن القيم: الذي جاءت به الشريعة أن اليمين تشرع من جهة أقوى المتداعيين فأى الخصمين ترجح جانبه جعلت اليمين من جهته وهذا مذهب جمهور العلماء كأهل المدينة وفقهاء المحدثين كأحمد والشافعي ومالك وغيرهم

٤- البينة عند كثير من أهل العلم هي الشهود والأيمان والنكول. وهي عند المحققين إسم لكل ما أبان الحق وأظهره من الشهود وقرائن الحال ووصف المدعي في نحو اللقطة

قال ابن رجب: كل عين لم يدعها صاحب اليد فمن جاءها فوصفها بأوصافها الخفية فهي له، فإن نازعه أحد ما في يده فهي لصاحب اليد بيمينه ما لم يأت المدعي ببينة أقوى من اليد.

قال ابن القيم: البينة في كلام الله تعالى وكلام رسوله الكريم ﷺ وكلام الصحابة: اسم لما يبين الحق فهي أعم من البينة في اصطلاح الفقهاء حيث خصوها بالشاهد أو الشاهد واليمين ولا حجر في الإصطلاح ما لم يتضمن حجر كلام الله وكلام رسوله ﷺ فيقع في ذلك الغلط في فهم النصوص وحملها على غير مراد المتكلم منها.

٥ - حديث الباب قاعدة عظمى من قواعد القضاء فعليها يدور غالب الأحكام.

٦ - هذا حديث عظيم القدر فهو أصل من أصول القضاء والأحكام فإن القضاء بين الناس إنما يكون عند التنازع، هذا يدعي على هذا حقا من الحقوق والآخر ينكره ويتبرأ منه.

٧ - من عينا أو دينا أو حقا على غيره وأنكر المدعى عليه الدعوة فالأصل مع المنكر لأن الأصل براءة الذمة فإن أتى المدعي ببينة تثبت ذلك الحق ثبت له به وإن لم يأت ببينة فليس له على المدعى على إلا اليمين على نفي دعواه.

٨ - الحديث يدل على مذهب جمهور العلماء ومنهم الشافعية والحنابلة على أن اليمين متوجهة على المدعى عليه سواء كان بينه وبين المدعي اختلاط أم لا. أما مذهب المالكية وأهل المدينة ومنهم الفقهاء السبعة فإن اليمين لا تتوجه إلا على من بينه وبين المدعي خلطة لئلا يبتذل السفهاء أهل الفضل بتحليفهم.

٩ - أما من كان عليه دين أو حق ثابت بذمته وطولب به فادعى أن ذمته برئت بوفاء أو إسقاط أو صلح أو غير ذلك فالأصل أن ما في ذمته باق فإن لم يأت ببينة على الوفاء والبراءة فإن له على صاحب الحق اليمين على أن حقه لا يزال باقيا بذمته لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان.

١٠ - ومثل ذلك دعوى العيوب ودعوى الشروط والآجال والوثائق الأصل عدمها وعدم الالتزام بها ومن ادعاها فعليه البينة فإن لم يكن بينة فعلى منكرها اليمين.

١١ - هذا الحديث أصل المرافعات والمنهج الذي رسمته هذه القاعدة في إنهاء الدعوى هو سبيل فصل في منع الدعاوي الباطلة وإثبات الحقوق الصحيحة.

١٢ - قال المحققون من العلماء: إن الشريعة جعلت اليمين في أقوى جانب من المدعي أو المدعى عليه، والله اعلم. قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

١٣ - قال ابن رجب في شرح الأربعين: معنى قوله البينة على المدعي: يعني أنه يستحق بها ما ادعى لأنها واجبة يؤخذ بها ومعنى قوله اليمين على المدعى عليه: أي يبرأ بها لأنه واجبة عليه يؤخذ بها على كل حال.

١٤ - وقال رحمه الله المدعي إذا أقام شاهدا فإنه قد قوي جانبه فإذا حلف معه قضى له.

١٥ - وقال البينة: كل ما بين صحة دعوى المدعي وشهد بصدقه فاللوث مع أقسامه بينة والشاهد مع اليمين بينة.

١٦ - وقال قوله (لو يعطى الناس بدعواهم....) يدل على أن مدعي الدم والمال لا بد له من بينة تدل على ما ادعى ويدخل في عموم ذلك: أن من ادعى عليه رجل أنه قتل مورثه وليس معه إلا قول المقتول عند موته جرحني فلان أنه لا يكفي بذلك ولا يكون بمجرد لوثا وهذا قول الجمهور، خلافا للمالكية، فإنهم جعلوه لوثا يقسم معه الأولياء ويُستحق الدم.

١٧ - قال: قوله: (واليمين على المدعى عليه) يدل على أن كل من دعي عليه دعوى فأنكر، فإن عليه اليمين، وهذا قول أكثر الفقهاء. وقال مالك: إنما تجب على المنكر إذا كان بين المتداعيين نوع مخالطة خوفا من أن يتبدل السفهاء على الرؤساء بطلب أيمانهم. قال شيخ الإسلام: كنا عند نائب السلطنة وأنا إلى جانبه فادعى بعض

الحاضرين أن لهم قبلي وديعة وسأل إجلاسي معه وإحلافي فقلت لقاضي المالكية وكان حاضرا: أتسوغ هذه الدعوة وتسمع؟ فقال: لا. فقلت فما مذهبك في مثل ذلك؟ فقال: تعزيز المدعي، قلت فاحكم بمذهبك، فأقيم المدعي وأخرج.

١٨- قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمته الله: (البينة على المدعي واليمين على المنكر)، يا له من كلام ما أبلغه وأجمعه لجميع الوقائع والجزئيات بين الناس في جميع الحقوق فهو أصل تنطبق عليه جميع المشكلات. فيدخل في هذا أمور:

الأول: من ادعى حقا على غيره وأنكر المدعى عليه.

الثاني: من ثبت عليه حق ثم ادعى البراءة منه، وأنكر صاحب الحق.

الثالث: من ثبتت يده على شيء وادعى آخر أنه له، وأنكر صاحب اليد.

الرابع: إذا أتنفا على عقد وادعى أحدهما أنه مختل لفقد شرط ونحوه، وأنكر الآخر فالقول قول مدعي السلامة. الخامس: من ادعى شرطا أو عيبا أو أجلا ونحو ذلك وأنكر الآخر فالقول قول المنكر. إلى غير ذلك من الأمور التي تدخل تحت هذه القاعدة^(١).



(١) أنظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٧/ ٢١٢) حديث رقم (١٢٢٣).

[٣٤]

{ النهي عن المنكر من الإيمان }

عن أبي سعيد الخدري ^(١) رَوَى اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»
رواه مسلم ^(٢).

أما أبو سعيد فهو سعد بن مالك بن سنان الخدري الخزرجي الأنصاري رَوَى اللَّهُ عَنْهُ من الصحابة الأجلاء الذين شهدوا غزوات النبي ﷺ كلها إلا ما استصغر فيها حاله كحال جابر وعبد الله بن عمر وما شابهه.

هذا الصحابي الجليل يروي عن النبي ﷺ هذا الحديث العظيم الذي هو قاعدة

(١) سبقت ترجمته عند الحديث (٣٢).

(٢) رواه مسلم (٤٩) وأحمد (١١٠٨٨) ومواضع وأبو داود (١١٤٠، ٤٣٤٠) والترمذي (٢١٧٢) والنسائي (٥٠٠٨، ٥٠٠٩) وابن ماجة (١٢٧٥، ٤٠١٣) عن أبي سعيد الخدري رَوَى اللَّهُ عَنْهُ. فائدة: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وأما قوله ﷺ «فليغيره» فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين. أنظر: شرح صحيح مسلم (٢٢/٢).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: هذا الحديث أصل في صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً. أنظر: شرح مسلم (٢٥/٢).

وقال الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: واعلم أن هذا الحديث يصلح أن يكون نصف الشريعة لأن أعمال الشريعة إما معروف يجب الأمر به أو منكر يجب النهي عنه فهو نصف بهذا الاعتبار. أنظر: التعيين (ص ٢٩٢).

عظيمة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله ﷺ: «من» هذه تسمى عند علماء النحو اسم شرط جازم يجزم فعلين الأول فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه فجملة «رأى» فعل الشرط وجملة الجواب فليغيره وقوله ﷺ: «من» هي من الألفاظ العامة تفيد العموم «من رأى» سواء كان عالمًا أو جاهلاً عريبًا أعجميًا شريطة أن يكون من المسلمين.

وقوله: «منكرًا» تعريف المنكر: هو ما نهى الله أو رسوله عنه لأنه ينكر على فاعله أن يفعله بأشد عبارات الإنكار اتق الله خاف الله حرام لا يجوز... إلخ فلو رأيت رجلًا يأكل خبزًا أو يشرب شاهيًا ما تستطيع أن تنكر عليه إلا إن كان في نهار رمضان فلحرمة الشهر تنكر عليه وهو جاء بابًا من أبواب المنكرات ولا بد أيضًا أن يكون هذا المنكر منكرًا يتفق الجميع على إنكاره لأن الذي أنكرت عليه وهو يشرب في رمضان أو يأكل في رمضان ربما كان مسافرًا ربما كان مريضًا كذلك إذا أنكرت المنكر على صاحبه وكان الذي تنكره أنت من المسائل التي يسوغ فيها الخلاف كأن صلى بعد أن أكل لحم جزور هذه مسألة خلافية والذي ترجح لدينا حديث جابر لما سأل النبي ﷺ أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم»^(١) وبعض الفقهاء يذهب إلى أن هذا منسوخ ويستدل بحديث جابر الآخر: «كَانَ آخِرُ الْأَمْرَيْنِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكَ الْوُضُوءَ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ»^(٢)، وهكذا فيما يتعلق بالأذان الأول يوم

(١) رواه مسلم (٣٦٠) وأحمد (٢٠٨٣٠) وابن ماجه (٤٩٥) عن جابر رضي الله عنه ورواه أحمد (١٨٧٢٥) وأبو داود (١٨٤) والترمذي (٨١) وابن ماجه (٤٩٤) عن البراء رضي الله عنه.

وهو في صحيح الجامع برقم (٣٠٠٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٩٢) والنسائي (١٨٥) وابن خزيمة (٤٣) وابن حبان (١١٣٤) والبيهقي (٦٩٨) والطبراني في الأوسط (٤٦٦٣) وصححه الألباني: صحيح أبي داود (١٧٧) وشعيب في

الجمعة مسائل فيها خلاف وهكذا ستر المصلي إذا صلى لغير ستره وهو يرى في ذلك الإستحباب وأنت ترى الوجوب وإن أنكرت واحتج عليك بالقول الآخر فاحترم رأيه لكن قول النبي ﷺ:

«من رأى منكم منكراً» أي متفق على أنه منكر عند الجميع قال: «فليغيره بيده» هذه المرحلة الأولى يغير المنكر باليد يشترط في ذلك أن يكون قادراً على تغييره بيده وفي قوله: «من رأى» هذا يقول عنه العلماء أنه أسلوب من أساليب التمثيل وليس على وجه العموم فقد يكون هذا المنكر من الشيء الذي لا يرى وإنما يسمع مجرد سماعاً كأن تسمع رجلاً أجنبياً يتحدث إلى أجنبية حديثاً مسموعاً بيناً إنكره أو سمعت أغاني ومعارف وملاهي هذا أيضاً منكر فأنت لم تره ولكن سمعت فالسمع ينزل أيضاً منزلة الرؤية لكن يشترط في ذلك التحقق والتأكد فقوله ﷺ: «فليغيره بيده» فيما إذا كان مقدوراً على تغيير ذلك باليد قال: «فمن لم يستطع فبلسانه» بمعنى أنه يأمر وينهى ويدعو إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة حدود استطاعته ولا بد أن يكون متأكداً أن هذا منكر وأن هذا الدليل يحكم بأن هذا من المنكرات كأن ترى مثلاً رجلاً لا يصلي الناس يصلون في المسجد وهو مخزن خارج المسجد هذا منكر بل من أشد أنواع المنكرات ما المانع لا هو حارس درب ولا عليه حيض ولا نفساء ولا مريض ولا شيء بل ولو كان مريضاً تجب عليه الصلاة فهنا تنكر ولكن بالموعظة الحسنة.

«فإن لم تستطع» فأخر مرحلة أن تنكر ذلك بقلبك بأن تكره هذا المنكر وتبغضه من قلبك ولا يجوز لك أن تجالس هؤلاء أهل المنكرات لأن الله ﷻ نهى عن

مخالطة أهل المنكر إلا إن كانت المخالطة فيها إصلاح للجالس بجانبهم من الدعاة إلى الله ويتعدى نفعه إلى الآخرين والله ﷻ يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء ١٤٠].

والله ﷻ يقول: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [الأعلى ١٢].

ويقول ﷺ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام ٦٨].

وذكر الشيخ العثيمين في بعض أشرطته أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مر على قوم من التتر يشربون الخمر فقال له بعض أصحابه: ألا تنههم؟ فقال: فإني إن نهيتهم حملهم ذلك إلى أن يذهبوا إلى بيوت المسلمين فيغتصبوا ويسرقوا ويعيشوا في الأرض فسادًا ولكن شرب الخمر محصور عليهم فهذا أمر من الأهمية بمكان أن يكون العبد يدرك أن هذا منكر وكيف يستطيع أن يغيره وأن لا يحدث هذا المنكر منكرًا أفضع منه وإنما يحاول بقدر استطاعته وإن كان لا يستطيع أن يستعين بمن كان أكثر منه علمًا من أجل تغيير المنكر هذا وهذه الشعيرة العظيمة تكاد أن تكون قد اندرست أو اندرس بعض معالمها عند الكثير من المسلمين والله ﷻ أمر بها سواء كنا طلاب علم أو غير ذلك شريطة أن تكون من أمة محمد ﷺ فقد كلفك الله بهذه الرسالة العظيمة وهذه الشعيرة العظيمة التي هي من شعب الإيمان قال ربنا ﷻ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

ويقول ربنا سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران ١١٠].

ولعن الله بني إسرائيل حينما لم يقوموا بهذا الواجب قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ٧٨ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة ٧٨-٧٩].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف ١٦٥].

وجاء في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ» ^(١).

(١) رواه مسلم (٥٠) وأحمد (٤٣٧٩) وابن حبان (٦١٩٣) والبيهقي في الشعب (٧٥٦٠) والكبرى (١٩٩٦٥) والطبراني في الكبير (٩٧٨٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وجاء من حديث أبي الوليد عبادة بن الصامت في الصحيحين قال: بايعنا رسول الله ﷺ على «السمع والطاعة في العسر واليسر...» الحديث^(١) وجاء في البخاري من حديث النعمان بن بشير قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»^(٢). في صحيح مسلم من حديث أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية (رضي الله عنها): «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنَكِّرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءًا» (وفي لفظ: ومن كره فقد برىء) «وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قالوا أفلا نقاتلهم؟ قال: «لَا، مَا صَلَّوْا»^(٣).

وسوف يأتي التفصيل في كيفية الأمر على ولي الأمر ومن حديث أم حكيم زينب بنت جحش (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ». وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ»^(٤) والمراد به الفسوق والفجور وفي الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد أن

(١) في الصحيحين: وقد سبق.

(٢) البخاري (٢٣٦١، ٢٥٤٠) وأحمد (١٨٣٨٧) وموضع الترمذي (٢١٧٣)

(٣) رواه مسلم (١٨٥٤) وأحمد (٢٦٥٧١) وأبو داود (٤٧٦٠) والترمذي (٢٢٦٥).

(٤) البخاري (٣١٦٨، ٣٤٠٣، ٦٦٥٠، ٦٧١٦) ومسلم (٢٨٨٠) وأحمد (٢٦٥٧١) والترمذي (٢١٨٧)

والنسائي في الكبرى (١١٣١١) وابن ماجه (٣٩٥٣) وغيرهم.

النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ». فقالوا يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١) يعني وأنت في طريقك تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتغض بصرك وتكف الأذى عن الغير وطرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة ربما كنت في طريق فسألك سائل: هل مرّ فلان أو رجع فلان؟ أين بيت فلان؟ مر رجل أعمى فتهديه في طريقه رأيت صبياً من صبيان حارتك أو منطقتك أو من عامة المسلمين يمشي لا يدري إلى أين يتجه صغير تعيده إلى أمه وإلا فلا تجلس على قارعة الطريق وفي ممر الناس وهكذا أيضاً لو مرّ رجل أو امرأة لا تدقق النظر.

بعض الناس ربما يدقق النظر فيدرك ما في معدة المار أو المارة وهذا غلط إن مرت امرأة فلا تستقبلها بعينيك ولا تلاحقها بعينيك إن استقبلتها فتنت نفسك ترى الثديين والبطن والفخذين هذا فتنة وإن ولت ربما نظرت إلى عجيزتها والشيطان يزين ولكن غض بصرك تشعر براحة وعزة يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور ٣٠].

الله ﷻ أعلم مني ومنك ومن البشر كلها لكن الله ﷻ يدلنا على ما فيه الخير لنا ولقلوبنا ولفروجنا ولجوارحنا ولذرياتنا وذلك إن أمرنا بغض البصر وهكذا إن مر رجل أو طفل أو كذا عنده قرطاس فيه ما فيه لا تدقق النظر.

قال ابن العثيمين بعضهم قال فيما مضى: كان إذا مر شخص وعنده كيس فيه لحم دققوا حتى إنهم يتحدثون في القرية أن آل فلان عندهم اليوم لحم وما إلى ذلك

(١) البخاري (٢٣٣٣، ٥٨٧٥) ومسلم (٢١٢١، ٢١٦١) وغيرهما.

ولكن غض بصرک عن کل شیء واستعذ بالله ﷻ وفي صحيح مسلم من حدیث ابن عباس أن رسول الله ﷺ «رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال «يَعْمُدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ» فقیل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به قال لا والله لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ» (١).

والشاهد أن رسول الله قد غير المنكر بنفسه وهكذا في قصة الفضل بن عباس لما كان ينظر إلى المرأة الخثعمية لوى النبي ﷺ عنقه بيده (٢) فغير النبي ﷺ المنكر بيده وهكذا بعض الناس ربما يقول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقولوا عنه فضولي وربما يستدل بقول زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمغنم

ويقول: هذه مشاكل والله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وهذا ليس فيه دليل إطلاقاً فواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة مثل فريضة الصوم والصلاة وبقية الشعائر الدينية جاء في سنن أبي داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أبو بكر: يا أيها الناس إنكم لتقرءون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ...﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَمَ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْ شَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ» (٣) والإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى له تعليق أيضاً على هذه الآية

(١) رواه مسلم (٢٠٩٠) وابن حبان (١٥) والطبراني في الكبير (١٢١٧٥) والبيهقي في الشعب (٦٣٣٤) وغيرهم.

(٢) رواه البخاري (١٤٤٢)، ١٧٥٥، ١٧٥٦، ١٣٨، ٥٨٧٤) ومسلم (١٣٣٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٩، ٣٠) وأبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨، ٣٠٥٧) وابن حبان (٣٠٤) وغيرهم.

فعند هذه الآية من سورة المائدة رقم (١٠٥) قال: يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة ١٠٥].

قال: يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ومخبراً لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس سواء كان قريباً منه أو بعيداً.

قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية يقول تعالى: إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته به من الحلال ونهيته عنه من الحرام فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به كذا روى الوالبي عنه وهكذا قال مقاتل بن حيان فقله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ نصب على الإغراء ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي فيجازي كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكناً (١).

وهكذا فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاءت بعض الوقائع التي تدل على حدة عن آحاد السلف الصالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على بعض الأمراء فبعض طلاب العلم أو غيرهم يستدل بذلك أنه لا بد من الشدة وكذلك: ﴿خُذِ الصِّتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم ١٢].

وما كان من شيخ الإسلام ابن تيمية والعز بن عبد السلام وأبي سعيد الخدري

وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٩٧٣) والصحيحة (١٥٦٤).

(١) أنظر: تفسير ابن كثير (١٤٩/٢).

وأيضًا عمارة بن ربيعة لما أنكر على بشر بن مروان قال: قبح الله هاتين اليدين والله ما زاد رسول الله على الإشارة بأصبعه^(١).

هنا كلام طيب جدًا لمعالي الوزير صالح آل الشيخ فيما يتعلق بهذا الباب قال الشيخ حفظه الله:

هذا الحديث يدخل في محبة الإنكار على الولاية والإنكار على عامة الناس ويدخل أيضًا الإنكار على مراتب الإنكار والقواعد التي تحكم ذلك وهي كثيرة أعني مباحثه وفروعه كثيرة يطول المقام بذكرها لكن أنبه على مسألة مهمة ذكرتها عدة مرات وهي أن هناك فرق بين النصيحة والإنكار في الشريعة وذلك أن الإنكار أضيق من النصيحة فهي اسم عام يشمل أشياء كثيرة كما مر معنا في حديث: «الدين النصيحة» ومنها الإنكار فالإنكار حال من أحوال النصيحة ولهذا كان مقيدًا بقيود وله ضوابطه فمن ضوابطه: أن الإنكار الأصل فيه أن يكون علنًا لقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً...» الحديث.

وهذا يشترط رؤية المنكر بعض الناس يأتي يكلمك أنه سمع يأتي وقد أُوغر صدره وقلبه على فلان ويريد أن تكون مثله تمامًا مع أنه هو ما رأى هو سمع حدثه ثقة مثلاً ويريدك أن تكون بنفس العيار الذي هو عليه على أنه هو ما رأى ولا ينبغي لك أن تحكم أنت أيضًا تأملوا في قصة المغيرة بن شعبة لما شهد ثلاثة أنه زنا وتلعثم الرابع وما استطاع أن يشهد قال: رأيت امرأة شبيهة بامرأته، وهكذا في كثير من القضايا الخمر حتى أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: لم يتحقق من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا جريمة الزنا بأربعة شهود وذلك أن الشريعة الإسلامية تحث على

(١) رواه مسلم (٨٧٤) وأحمد (١٧٢٦٣) وأبو داود (١١٠٤) والنسائي في الكبرى (١٧١٤).

الستر والرفق بالمسلم وحقوق الله ﷻ مبنية على المسامحة لكن بعضهم كره فلان فهو يريد أن يستقطه بحق أو بباطل ورحمة الله على من قال:

فلا تحكم بأول ما تراه فأول طالع فجر كذوب

قال الشيخ: وهذا يشترط رؤية المنكر وهكذا في قصة معاوية بن أبي سفيان وفد إليه ابن عباس وغيره من الصحابة وقصة يزيد بن معاوية وفد إليه علي بن الحسين فرأى مجلسه مجلس خير ودين وصلاح ويتصدق ويفعل الخير فلما وصل إلى المدينة قالوا: هو ما فعل ذلك إلا مDAHنة قال: أيداهنني أنا ما الذي يخشاه مني فشهد بما رآه من الخير المهم تجمعت أشياء عند بعض التابعين فأخذوا بها ولست بصدد الدفاع عنه فالقول الصحيح في ذلك قول شيخ الإسلام أنه قال: لا نجبه ولا نسبه، فهو رجل قد مات ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة ١٣٤، ١٤١].

والنبي ﷺ يقول: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»^(١) وهكذا أيضًا فيما يتعلق بأمر أبيه والدولة الأموية وما إلى ذلك وفيما يتعلق بولاة الأمر إلى يومنا هذا يعني بعضهم سمع أشياء من المغرضين ويريد أن يجعل الناس على وتيرة واحدة مبغضين لهذا الإمام قال الشيخ: وهنا ندخل في بحث مسألة بحثناها مرارًا وهي أن الولاية ينكر عليهم إذا فعلوا المنكر بأنفسهم ورآه من فعل أمامه ذلك الشيء وعلى هذا يحمل هدي السلف في ذلك وكل الأحاديث التي جاءت وهي كثيرة أكثر من عشرة أو اثني عشر حديثًا في هذا الباب فيها إنكار طائفة من السلف على الوالي كلها على هذا الضابط وهو أنهم أنكروا أشياء رأوها من الأمير أمامهم ولم يكن هدي

(١) البخاري (١٣٢٩، ٦١٥١) وأحمد (٢٥٥٠٩) والنسائي (١٩٣٦) عن عائشة رضي الله عنها.

السلف أن ينكروا على الوالي شيئاً أجراه في ولايته ولهذا لما حصل من عثمان بعض الاجتهادات وقيل لأسامة بن زيد: ألا تنصح لعثمان؟ ألا ترى ما فعل؟ قال: أما إنني بذلت سرّاً لا أكون فاتح باب فتنة.

قال: ففرق السلف في المنكر الذي يفعل أمام الناس كحال الأمير الذي قدم خطبتي العيد على الصلاة وكالذي أتى للناس وقد لبس ثوبين وأحوال كثيرة في هذا فرقوا ما بين حصول المنكر منه أمام الناس علناً وما بين ما يجريه في ولايته فجعلوا ما يجريه في ولايته باباً من أبواب النصيحة وما يفعله علناً يأتي هذا الحديث: «من رأى منكم منكراً...» الحديث مع الحكمة في ذلك ولذا قال رجل لابن عباس: ألا آتي الأمير فأمره وأنهاه قال: لا تفعل فإن كان مقيماً بينك وبينه قال: أرأيت إن أمرني بمعصية قال: أما إذا كان كذلك فعليك إزاء، فدل هذا على أن الأمر والنهي المتعلق بالوالي إنما يكون فيما بين المرء وبينه فيما يكون في ولايته وأما إذا كان يفعل الشيء أمام الناس فإن هذا يجب أن ينكر من رآه بحسب القدرة وبحسب القواعد التي تحكم ذلك إذا تقرر هذا فثم مسألة متصلة بهذه وهي أن قاعدة الإنكار مبنية على قاعدة أخرى ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وهي أنه لا يجوز إنكار المنكر حتى تتيقن أنه لن ينتقل المنكر عليه إلى منكر أشد منه قال شيخ الإسلام: ومن أنكر ظاناً أنه ينتقل فإنه يأثم حينما يتيقن أن إنكاره سينقل المنكر عليه إلى ما هو أفضل وهذا يعني درأ المفسدة مقدم على جلب المصلحة رأيت امرأة متبرجة في الشارع أظهرت ملامح وجهها وعينيها ويديها غض بصرك أحسن لك ولا تنصح جزاك الله خيراً يختلف الحال أنت وأهلك في معرض أو في باص أو طائفة فكان بالقرب امرأة تفهم من الحال أنها ستقبل فتقول: يا أخت ممكن أقول كلمة فإن قالت: قل. قل لها:

أنا أنصحك أن تتقي الله ﷻ في لباسك يكفي أما أنك تدخل معها في نقاش فربما ينزغ الشيطان وإن كانت أهلك موجودة رأيت رجلاً لابساً للذهب تستأذنه هل يمكن يا أخي أن أتكلم معك بكلمة لكن تأتي وقد فعل هذا تأتي تمسك الذهب وتقلد أنك بمنزلة رسول الله فهو إمام المسلمين ورسول رب العالمين أرسله الله داعياً إلى الجنة ومحذراً من النار فأنت لست بمنزلة ولا بمنزلة أمير من الأمراء الذي كما قال ابن الوردي فيهم:

واحذر السلطان واحذر بطشه لا تخالف من إذا قال فعل

الأمير أمير كما يقال: إن أحمى رأسه سقطت كوفيته لكن أنت ما بينك وبين الناس سلطان ولا سجن بينك وبينهم قال الله قال رسوله فبعضهم يأتي يمسك الخاتم الذهب في يد الرجل ويقول: حرام وربما يمسك الكرفطة ويشدها في رقبته ويقول له: اتق الله أسحبك بهذه ربما يقوم يضارب وربما يخرج مسدس ويقتلك يقول لك: أهتني أو تأتي إلى من حلق لحيته وتستعزئ إما أن تقول: ركبة عجوز أو تقول: أيش النعومة ربما هو يتأثر ولكن نتعلم أسلوب النصيحة رأيت من ابتلي بهذا حاول أن تبين له يعني هو من أي مستوى إن كان من المستويات كما يقال: المثقفة قد يكون طيب قد يكون من الأثرياء ينظر لك شزراً هكذا فالكلام يختلف معه قد يكون رجل حمال من الشغالة الكلام يختلف قد يكون من الآباء الكبار تأتي له من باب يا والد أنت في هذا السن جزاك الله خيراً أنت تحب الرسول ﷺ قال: نعم قل: الرسول كان كذا وكذا فلنحي لكل مقام مقال فلا بد من الحكمة في باب النصيحة فإن الله ﷻ يقول: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران ١٥٩].

ذكروا أن اثنين ذهبا لطلب العلم وبعدين قال أحدهما للآخر: أنا أريد أن أتعلم الأدب فقال الآخر: أيش من أدب يكفي يا الله نروح ندعو إلى الله ونعلم الناس قال: يا أخي نحن بحاجة إلى الأدب فذهب لازم أحد الذين يتلقى عنهم التأله والتنسك والتعبد والأدب قدر شهرين وأما صاحبه فدخل يصلي في مسجد فسمع الإمام يقرأ ويلحن في الفاتحة لحناً فاحشاً فما تمالك نفسه وكان من ذاك المساجد القديمة على طول ضرب الشائب هذا حتى ألصق جبهته على الجدار فقام المسجد قومة رجل واحد ضرب فقيهما ضربوه وأخذوه السجن وحبسوه شهرين ليش ضربت الإمام قال: ما يعرف يقرأ طيب أنت تعلمه مش تكسره فجاء الآخر الذي ذهب يطلب الأدب والتربية جاء إلى ذلك المسجد وصلى على مضض وبعد الصلاة ذهب وسلم على الشائب قال: يا والد جزاك الله خيراً عندك بعض الملاحظات أنت قرأت كذا حتى أن الشيية سمع كلامه ودمعت عيناه لما سمع القرآن بالتلاوة قال: فين تسكن يا ولدي قال: والله قريب قال: إذا كنت موجود أنت تكون إمامنا تكون أنت إمام هذا المسجد يعني بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثم قال الشيخ: وقد قال بعض أهل العلم إن هذا مجمع عليه.

ومثل لهذا ابن القيم في مسائل كثيرة في كتاب إعلام الموقعين فقال: لو رأيت مثلاً إلى ناس يلعبون لعباً محرماً أو يشتغلون بكتب مجنون فإن أنكرت عليهم ذلك فإنه يكتنفه أحوال:

١- الأول: أن ينتقلوا من هذا المنكر إلى ما هو أنكر منه فهذا حرام بالإجماع يعني يخرج من لهوه بالكتب إلى الإتصال بالنساء مباشرة أو إلى رؤية النساء مباشرة أو ما أشبه ذلك فهذا منكر أشد منه فبقاؤه على الأول أقل خطراً في الشريعة

من انتقاله إلى المنكر الثاني.

٢- الثاني: أن ينتقل إلى ما هو خير ودين فهذا هو الذي يجب معه الإنكار.

٣- الثالث: أن ينتقل منه إلى منكر آخر غير مساو أو لا تدري أنه مساو أو أشد منه يقينك فهذا حرام بالإجماع.

وذكر قصة لشيخ الإسلام أنه مر مع قوم من أصحابه على التتر وهم يلعبون بالشطرنج ويشربون الخمر في شارع من شوارع دمشق علناً... والقصة قد سبق ذكرها في شرح هذا الحديث.

وهكذا فيما يتعلق بمشاهدة التلفزيون أو بسماع الغناء في سيارة تطلع في سيارة تشعر بسماع أغاني فكيف تفعل مع هؤلاء يختلف الحال أفضل طريقة في هذا على حسب علمي وتجربتي أنك تترك لهم المجال قدر نصف ساعة ثم تقول: يا إخوان أنا عندي كلمة وتلقي كلمة تسيطر على الموضوع على المجموعة لا تبدأ بالأغاني كلمة على الصلاة على الزكاة على بر الوالدين إن كان عندك صوت حسن في القرآن وشيء من الشعر والنكت والآداب اذكرها شيء من المرح تدخله عليهم اجعل الأغاني آخر شيء حاول أن تذكر الغناء بأسلوب حقير وايش الفائدة منه وهو يعارض القرآن يعارض السنة... إلخ ثم اذكر مسألة الموت وسكرات الموت وتقول: نحن الآن نمشي على هواء وعلى كَفَرٍ ربما يحصل كذا ثم اذكر قصة ذلك الذي انفجر الكُفر فانقلبت به سيارته فكان رجل المرور يقول له: قل لا إله إلا الله فيقول: هل رأى الحب سكارى مثلنا تجد بعد إلقاء كلمتك ما أحد يريد أن يسمع أغاني وربما انقسم الناس إلى قسمين أكثرهم في صفك لكن لو بدأت في بداية الأمر حرام أنتم مشاقة أنتم ضلال خافوا الله كلهم يكون صوتاً واحداً عليك وهذه معصية من المعاصي.

هنا فائدة ذكرها شيخ الإسلام محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيما يتعلق بالمرتبة الثالثة في قوله ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان».

قال: **أولاً:** إن للقلب عملاً بقوله «فمن لم يستطع فبقبله» عطفًا على قوله: «فليغيره بيده» وهو كذلك قال: فالقلب له قول وله عمل فقوله عقيدته وعمله حركته بنية أو رجاء أو خوف.

ثانيًا: أن الإيمان عمل ونية لأن النبي ﷺ جعل هذه المراتب من الإيمان والتغيير باليد عمل وباللسان عمل وبالقلب نية وهو كذلك فالإيمان يشمل جميع الأعمال وليس خاصًا بالعقيدة فقط لقول النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة...» الحديث ^(١) فقول: لا إله إلا الله قول اللسان وإمطة الأذى عن الطريق فعل الجوارح والحياء عمل القلب من الإيمان ولا حاجة أن نقول الآن ما يدور بين الشباب وطلبة العلم هل الأعمال من كمال الإيمان أو من صحة الإيمان هذا السؤال لا داعي له أي إنسان يسألك ويقول: هل الأعمال شرط كمال الإيمان أو صحة الإيمان تقول له: الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كانوا أشرف منك وأحرص منك على الخير ولم يسألوا رسول الله ﷺ هذا السؤال إذا يسعك ما وسعهم إذا دل الدليل على أن هذا العمل يخرج به الإنسان من الإسلام صار شرطًا لكمال الإيمان وانتهى الموضوع.

أما أن تحاول الأخذ والرد والنزاع ثم من خالفك قلت: هذا مرجئ ومن وافقك رضيت عنه وإذا زاد قلت هذا من الخوارج فهذا غير صحيح فلذلك نصيحتي للشباب أو لطلاب العلم أن يدعوا البحث في هذا الموضوع وأن تقول: ما جعله الله تعالى ورسوله ﷺ شرطًا لصحة الإيمان وبقائه فهو شرط وما لا فلا وتحسم

(١) في الصحيحين: وقد سبق.

الموضوع فإن قال قائل: قوله: «فليغيره بيده» هل هذا لكل إنسان؟

الجواب: ظاهر الحديث أنه لكل إنسان رأى المنكر ولكن إذا رجعنا إلى القواعد العامة رأينا أنه ليس عامًا لكل إنسان في مثل عصرنا هذا لأننا لو قلنا بذلك لكان كل إنسان يرى شيئًا يعتقده منكر يذهب يغيره وقد لا يكون منكرًا فتحصل الفوضى بين الناس نعم راعي البيت يستطيع أن يغير بيده وليعلم أن المراتب ثلاث:

١- دعوة. ٢- أمر. ٣- تغيير.

فالدعوة أن يقوم الداعي في المساجد وفي أي مكان يجمع الناس ويبين لهم الشر ويحذرهم منه ويبين لهم الخير ويرغبهم فيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي يأمر الناس ويقول: افعلوا أو ينهاهم ويقول لهم: لا تفعلوا ففيه نوع إمرة والمغير هو الذي يغير بنفسه إذا رأى الناس لم يستجيبوا لدعوته ولا لأمره ونهيه والله الموفق.

وإذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فكن أنت أول الناس استجابة كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود ٨٨].

قال الله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ٤٤].

قال الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله: قال: بمعنى هل جنتم.

قال الشاعر:

مواعظ الواعظ لن تقبلها حتى يعيها قلبه أولاً

فما أظلمه يا قوم من واعظ قد خالف ما قاله في الملا
وقال آخر:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فابدأ أولاً بنفسك ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ [التحريم ٦].

وبعد ذلك يتعدى الخير إلى غيرك أما أن تقول للناس: افعلوا كذا وأنت مسكين ومريض لا تحاول إلا أن تكون من الفجار نعم «إِنَّ اللَّهَ لِكُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينِ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»^(١) أنت فاجر ومن الذي يرضى أن يكون كمثل الشمعة وقد جاء في بعض الأحاديث الصحيحة: «مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السَّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ»^(٢) هذه زلة خطيرة.

نسأل الله أن يصلحنا وإياكم والله المستعان.



(١) البخاري (٢٨٩٧، ٣٩٦٧، ٦٢٣٢) ومسلم (١١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (١٦٨١، ١٦٨٥) وابن أبي شبة (٣٥١٦١) والخطيب البغدادي في إقتضاء

العلم العمل (٧١) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٥٨٣١، ٥٨٣٧) عن جندب وأبي برزة رضي الله عنهما.

[٣٥]

{ أخوة الإسلام وحقوق المسلم }

عن أبي هريرة ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرِضُهُ» رواه مسلم ^(٢).

(١) سبقت ترجمته عند الحديث (٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤) وأحمد (٧٧١٣)، وبعضه في الصحيحين: فقد البخاري (٤٨٤٩) ومسلم (٢٥٦٣).

فائدة: قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: في قوله ﷺ «ولا تباغضوا».

قال: ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم وكل منهم يظهر أنه يبغض الله وقد يكون في نفس الأمر معذورا وقد لا يكون معذورا بل يكون متبعا لهواه مقصرا في البحث عن معرفة ما يبغض عليه فإن كثيرا من البغض كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق وهذا الظن خطأ قطعاً وإن أريد أنه لا يقول إلا الحق فيما خولف فيه فهذا الظن قد يخطئ ويصيب وقد يكون الحامل على الميل مجرد الهوى والألفة أو العادة وكل هذا يقدح في أن يكون هذا البغض لله فالواجب على المؤمن أن ينصح لنفسه ويتحرز في هذا غاية التحرز وما أشكل منه فلا يدخل نفسه فيه خشية أن يقع فيما نهى عنه من البغض المحرم وهاهنا أمر خفي ينبغي التفطن له وهو أن كثيرا من أئمة الدين قد يقول قولاً مرجوحاً ويكون مجتهداً فيه مأجوراً على اجتهداده فيه موضوعاً عنه خطؤه فيه ولا يكون المنتصر لمقالاته تلك بمنزلته في هذه الدرجة لأنه قد لا ينتصر لهذا =

أما أبو هريرة فهو راوية الإسلام وحافظ الصحابة ومعروف بكنيته ومن الذي يجهل هذه الشخصية العملاقة لا أحد وقد اختلف في اسمه على ثلاثين قولاً من ذلك عبد الرحمن بن صخر ولا يصح يروي لنا أن النبي ﷺ قال: «لا تحاسدوا» بمعنى لا يحسد بعضكم بعضاً ولا هاهنا ناهية ينهى رسول الله ﷺ أمته عن الحسد والحسد هو تمنى زوال النعمة أن ترجو أنت أن تزول النعمة من أخيك.

هذا وشيخ الإسلام ابن تيمية يعرف الحسد تعريفاً أدق من هذا فيقول: الحسد كراهة ما اختص به الغير (١).

هذا أشد البخل وأقبح الحسد أن تحسد عبداً على نعمة أنعم الله ﷻ عليه بها ما ذنبه هذا أمر الله.

قال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يُشَاءُ إِنَّهُ وَبِعَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى ٢٧] وقال جل ذكره: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا

القول إلا لكون متبوعه قد قاله بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة الدين لما قبله ولا انتصر له ولا والي من يوافقه ولا عادي من خالفه ولا هو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه وليس كذلك فإن متبوعه إنما كان قصده الانتصار للحق وإن أخطأ في اجتهاده وأما هذا التابع فقد شابه انتصاره لما يظنه الحق إرادة علو متبوعه وظهور كلمته وأنه لا ينسب إلى الخطأ وهذه دسيمة تقدح في قصد الانتصار للحق فافهم هذا فإنه مهم عظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. جامع العلوم (ص ٤٤٦، ٤٤٧).

(١) أنظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٤)، وقال أيضاً: والتحقيق أن الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود وهو نوعان: أحدهما: كراهة للنعمة عليه مطلقاً فهذا هو الحسد المذموم... ويلتذ بزوال النعمة عنه وإن لم يحصل له نفع بزوالها.. والنوع الثاني: أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه فهذا حسد وهو الذى سموه الغبطة. أنظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١١١) بتصرف.

بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخًا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ خَيْرٌ وَمَا يَجْمَعُونَ ﴿[الزخرف ٣٢]﴾. فمن أراد الله ﷻ أن يعطيه من الخير ومن الشراء فتلك مشيئته وإرادته والملك ملكه والأمر أمره والعباد عباد له فله الحكمة البالغة له حكمة في ذلك أن جعل هذا غنياً وهذا فقيراً والحسد محرم بدلالة قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الناس ٥].

ويقول النبي ﷺ: «لا تحاسدوا» كما أن الحسد من صفة اليهود.

قال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ١٠٩].

وقال سبحانه: ﴿أَمْرٌ يُحْسِدُونَ النَّاسَ عَلَى مَاءٍ أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ أَتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٥٤].

فالحسد إنما هو من الصفات الذميمة التي ابتلي بها إبليس وابتلي بها أحد ابني آدم الذين ذكر الله قصتهم في قوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة ٢٧ - ٣٠].

والحسد يضر صاحبه ولا ينفع صاحبه شيئاً وذلك أنه يجعل صاحبه مشغولاً بالغير وقل أن يسلم منه أحد حتى أن شيخ الإسلام رحمه الله يقول: «ما خلا جسد من

حسد ولكن اللئيم يديه والكريم يخفيه»^(١).

وإن حصل لك هذا فحاول أن تكتم على ما حصل لك وأن تدعو لأخيك بالخير والثبات والرفعة وأن يزيده من فضله والحسد يكون في العلم والجاه والمال في الأمور الحسية والأمور المعنوية لكن إياك ثم إياك.

حسدوا الفتى إن لم ينالوا سعيه فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لذميم

ولا فيها شيء هي أجمل منهن ولكن هكذا والعياذ بالله.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

فلنحذر ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً أن ندرأ الحسد عن أنفسنا تجد راحة إي والله وطمأنينة مهما رأيت من نعمة في أخيك سواء كان أعلم منك أجهل منك أكبر منك قرينك أصغر منك ادع له بالثبات فإذا ما دخلت بيته ورأيت من الأثاث أو عليه من الثياب أو كان عنده أسلوب في جلب أنظار وقلوب الناس إليه فافرح بذلك وقل: أسأل الله أن يثبتك.... إلخ الملك يقول: ولك مثله ولكن بعض الناس لا يرضى بهذا بل يعتصر وهذا حال من أحوال اليهود ومن أحوال المنافقين أيضاً عبد الله بن أبي حسد النبي ﷺ لأن الأوس والخزرج كانوا يريدون أن يتوجوه قبل مقدم النبي ﷺ فلما قدم النبي ﷺ كان صاحب النبوة والفضل والخير والقضاء فظن ابن أبي السخيف الأحق أنه قد سحب البساط من تحته فحسد رسول الله وهكذا الكفار أيضاً ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾

[القلم ٥١].

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٢٤-١٢٥) ناقلا القول عن غيره وقد سبق.

فالحسد يورث العداوة والبغضاء والإصابة بالعين فاحذر أن تحسد وربما أيضًا دل صاحبه يقتل ويبغي بسبب الحسد فنعوذ بالله من الحسد إلا في مسألة أو مسألتين يقول ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» ^(١). فالمراد بالحسد هاهنا الغبطة وهو أن تتمنى أن يكون لك مثل ما لأخيك من الخير.

ثم قال نبينا ﷺ: «ولا تناجشوا» والمراد بالنجش هو أن يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها. رجل قال: من يشتري هذه السيارة بمليون فقال شخص: أنا اشتريها بمليون جاء آخر قال: أنا اشتريها بمليون ومائة ألف فيضطر هذا الذي دفع المليون أن يزيد مائة ألف ثم يشتريها وهذا الذي بذل المائة فوق المليون لا يريد شراءها وإنما تواطأ مع صاحب السيارة أنه سيقول كذا وأنت لا توافق وهذا في أمور كثيرة المهم هذا ضرب من ضروب البيوع المحرمة نجش.

ثم قال: «ولا تباغضوا» أي لا يبغض بعضكم بعضًا ولا تتعاطوا أسباب التباغض فإن النبي ﷺ قد قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» ^(٢).

ثم قال: «ولا تدابروا» المراد به الهجر أي لا يهجر أحدكم أخاه وإن رآه أعطاه

(١) متفق عليه: البخاري (٧٣، ١٣٤٣، ٢٧٢٢، ٦٨٨٦) ومسلم (٨١٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وجاء عن ابن عمر عند البخاري (٤٧٣٧، ٧٠٩١) ومسلم (٨١٥) وعن أبي هريرة في البخاري (٤٧٣٨).

(٢) رواه مسلم (٥٤) وأحمد (٩٠٧٣) ومواضع وأبو داود (٥١٩٣) والترمذي (٢٦٨٨) وابن ماجه (٦٨) والبخاري في الأدب (٩٨٠).

دبره أي ظهره وذلك أن الهجر محرم لقوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» رواه البخاري ومسلم (١).

وأيضاً جاء في بعض طرقه في الصحيحين «وَلَا تَدَابَرُوا» (٢) هو بمعنى لا تقاطعوا لا تهاجروا بل تزاوروا وتناصحوا.

ثم قال ﷺ: «وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمُ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ» هذا غير التناجش هذا عكس التناجش عكس النجش «وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمُ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ» رجل اشترى قطعة بعشرة ريالات قال له بائع آخر: ردها أنا أبيع لك بتسعة المهم أنه يرخص له شيئاً من المال من أجل أن يشتري منه وهذا لا يجوز قال: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» تطبيقاً للأخوة الإسلامية الشاملة التي قال الله ﷻ عنها في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات ١٠]. ويقول النبي ﷺ في حديث آخر: «الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُوا دِمَائُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» (٣) والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران ١٠٣].

(١) البخاري (٥٧٢٧، ٥٨٨٣) ومسلم (٢٥٦٠) وأحمد (٢٣٥٧٥) وأبو داود (٤٩١١) والترمذي (١٩٣٢) عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) يشير إلى قوله ﷺ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».

رواه البخاري (٥٧١٨، ٥٧٢٦) ومسلم (٢٥٥٨) وغيرهما عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: وقد سبق.

ثم قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ» إن المسلم أخو المسلم لا يميزه لون ولا مركز اجتماعي ولا حزب ولا ثراء ولا قطر ولا عنصرية لا قبلية. الإسلام قضى على كل هذه النعرات فقد سمع النبي ﷺ تناوش بين بعض الصحابة فقال الأول: يا للمهاجرين وقال الثاني: يا للأنصار قال النبي ﷺ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مَتَنَةٌ - وفي لفظ: خبيثة -» (١).

والله ﷻ يقول: ﴿الْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة ٥٠].

فإنما يكون الانتساب إلى الدين تعرفون ما جاء في مسند أحمد عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال رسول الله ﷺ: «انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ابْنُ الْإِسْلَامِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ قُلْ لِهَذَيْنِ الْمُتَنَسِّبِينَ: أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ» (٢). فإنما يكون الانتساب إلى دين الله.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

فما أحسن النسبة إلى دين الله ﷻ قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ» أيًا كان سواء كان عربياً أعجمياً يمني مصري... إلخ المهم أنه مسلم البطاقة حنيفاً مسلماً ولم يك من المشركين هذا قال: «لَا يَظْلِمُهُ» أي لا يتسبب في ظلمه ولا في أذيته ولا أيضاً يجعل

(١) البخاري (٣٣٣٠، ٤٦٢٢، ٤٦٢٤) ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٢١٦) والبيهقي في الشعب (٥١٣٣) وعبد بن حميد في مسنده (١٧٩) عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٤٩٢).

الظلم من قبله يتعدى إليه فإن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فهو محرم لا يظلمه «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي...» الحديث (١).

ثم قال: «وَلَا يَخْذُلُهُ» بمعنى لا يتسبب في خذلانه ولا يأتي الخذلان من قبله وإنما ينصره ويعينه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً «وَلَا يَكْذِبُهُ» أي لا ينقل إليه أخباراً كاذبة بل لا بد أن يكون صادقاً معه لأن عكس الكذب الصدق وهو إخبار الشيء على ما هو عليه. والصدق من صفات الأنبياء والصالحين ومن صفات الله تعالى فالله اتصف بالصدق وكذلك أيضاً كلامه ووعوده صدق وهكذا الأنبياء ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿[الزمر ٣٤-٣٣].

والكذب هو من شأن اليهود النصارى والكفار ومن خصائص الشيطان «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ» (٢). والله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة ١١٩].

وعلى ذلك لا يجوز أن يكذب المسلم على المسلم إلا في قضايا ضيقة جداً فيما يتعلق بأمر التورية إن كان من وراء ذلك مصلحة كأن تمنع ظالماً جباراً غشوماً من ظلم أحد المسلمين فتستعمل التورية وهنا كلام طويل للشيخ العثيمين أحببت أن أقرأه على مسامعكم في هذا الباب قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وجوب الصدق فيما يخبر به أخاه وأن لا يكذب عليه بل ولا على غيره لأن الكذب محرم ولو كان على الكافرين لكن ذكره في حق المسلم لأن السياق في ذلك

(١) في مسلم: وقد سبق برقم (٢٤) من الأربعين النووية.

(٢) رواه البخاري (٢١٨٧، ٣١٠١، ٤٧٢٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن قال قائل: ما تقولون في التورية؟

فالجواب: التورية فيها تفصيل إن أدت إلى باطل فهي حرام إن أدت إلى واجب فهي واجبة بعضهم قد يستخدم التورية في أشياء كثيرة بحيث أنه يقع في الكذب الصراح إن أدت إلى مصلحة أو حاجة فجازة ألا يكون فيها هذا ولا هذا فاختلف العلماء فيها هل تجوز أو لا تجوز قال: والأقرب أنه لا يجوز الإكثار منها وإما فعلها أحياناً فلا بأس لا سيما إذا صاحبه **بأنه مور** لنضرب لهذا أمثلاً خمسة:

١ - في التورية المحرمة التي تؤدي إلى الباطل تخاصم شخصان عند القاضي فقال أحدهما: لي في ذمة فلان ألف ريال فهذه دعوى فأنكر المدعى عليه فنقول للمدعى: هات البينة فقال: ليس عندي بينة فتوجهت اليمين على المدعى عليه فأقسم المدعى عليه فقال: والله ماله عندي شيء هذا الذي وري وأراد بما اسم موصول أي الذي له عندي شيء وهو صحيح أن ألف ريال شيء فهذه تورية حرام لأنها تؤدي إلى محرم إلى أكل المال بالباطل ثم إن هذا الرجل لا ينجو في الآخرة لقول النبي ﷺ: «يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ» (١).

وقال ﷺ «الْيَمِينُ عَلَى نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ» (٢).

وهذه طريقة في النصب والاحتيال.

٢ - التورية الواجبة مثل أن يسأل إنسان ظالم عن مكان شخص يريد أن يقتله فسأل رجلاً فقال: أتدري أين فلان؟ وهو يدري أنه في المكان الفلاني فقال: لا أدري

(١) رواه مسلم (١٦٥٣/٢٠) وأحمد (٧١١٩) وأبو داود (٣٢٥٥) والترمذي (١٣٥٤) وابن ماجه (٢١٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٦٥٣/٢١) وابن ماجه (٢١٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وينوي عن كل أحواله فقال له: هو في البيت وهو يدري أنه في البيت قال: ليس في البيت وينوي ليس في السطح مثلاً أو ليس في الدور الأسفل أو ليس في الحجرة الفلانية فهذه التورية حكمها الوجوب لأن فيها إحياء نفس.

٣- أن تكون لمصلحة سأل رجل من شخص في حلقة علم فقال الحاضرون ليس هنا يشيرون إلى شيء ليس هو فيه بل هو في مكان آخر فهذه مصلحة ويذكر أن الإمام أحمد كان في جلسة فجاء رجل يسأل عن المروزي فقال الإمام أحمد: ليس المروزي هاهنا ما يصنع المروزي هاهنا وأشار إلى يده يعني ليس في يده وهو ليس في يده لكنه حاضر.

٤- أن تكون التورية لحاجة كأن يلجئك رجل في سؤال في أمور بيتك وأنت لا تريد أن تخبره عن أمور بيتك فهنا تحتاج إلى التورية فإذا قال: أنت تفعل في بيتك كذا وكذا وأنت لا تحب أن يطلع على هذا فتقول: أنا لا أفعل وتنوي في زمن لست تفعل فيه هذا الذي سأل عنه فالزمن متسع فمثلاً أن تفعله في الضحى فتقول: أنا لا أفعل هذا يعني في الصباح والمساء فهذه حاجة.

٥- أن لا تكون التورية لحاجة ولا لمصلحة ولا واجب ولا حرام فهذا مختلف فيها قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لا تحل التورية وأنها حرام لأن ظاهرها يخالف باطنها إذ أن التورية أن ينوي بلفظه ما يخالف ظاهره ففيها نوع من الكذب وهذا لا يجوز وفيها أيضاً مفسدة وهي أنه إذا اطلع أن الأمر خلاف ما فهمه المخاطب وصف هذا المُروري بالكذب وساء ظنه فيه وصار لا يصدقه وصار هذا الرجل يلعب على الناس وما قاله الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قوي بلا شك لكن لو أن الإنسان فعل ذلك أحياناً فأرجو أن لا يكون فيه حرج لا سيما إن أخبر صاحبه فيما

بعد وقال: إني قلت كذا وأريد كذا وكذا خلاف ظاهر الكلام والناس يفعلون ذلك على سبيل المزاح مثل أن يقول لك صاحبك: متى تزورني؟ أنا أحب أن تزورني فقلت له: بعد غد فهو يفهم القريب وأنت تريد بعد غد ما لا نهاية له إلى يوم القيامة وهذا يؤخذ من قول النبي ﷺ لعمر في صلح الحديبية لما قال للرسول ﷺ: «أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال «بلى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟». قال قلت لا قال «فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَوِّفٌ بِهِ»^(١).

قال: وجرت لشيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله قصة حول هذا الموضوع جاءه رجل في آخر شهر ذي الحجة أي باقي أيام على انقضاء السنة وقال: يا شيخ نريد وعدًا فقال: هذه السنة لا يمكن أوعدك فيها فظن المتكلم أنها اثني عشر شهرًا فغضب ولما رآه الشيخ غضب قال له الشيخ: لم يبق في السنة إلا عشرة أيام فافتنع الرجل فمثل هذا لا بأس به أحيانًا إذا أخبر صاحبه.

والأولى أن يكون الشخص واضحًا في أقواله وفي أفعاله والله ﷻ يجعل له فرجًا ومخرجًا حينما يكون من الصادقين فإن الله يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق ٢].

ومخرجًا نكرة في سياق الشرط تفيد العموم وإذا صدقت في أقوالك وأفعالك فهذا دليل خير وثبات فالله ﷻ يثبتك في الحياة الدنيا قال: «ولا يكذبه ولا يحقره» أي لا يحتقر هذا المسلم.

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: قوله: «ولا يحقره» هو بالحاء المهملة والقاف: أي لا يتكبر عليه ويستصغره.

(١) رواه البخاري (٢٥٨١) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

قال القاضي عياض ورواه بعضهم بضم الياء وبالخاء المعجمة وبالفاء: أي لا يغدر بعهده ولا ينتقض أيمانه والصواب المعروف هو الأول^(١). ومهما كان جاهل أو عاصي لا يجوز له أن يستحقه إطلاقاً وكما تقدم لنا فإن أحد أبناء العلماء رأى كلباً في بيته فقال له: كلب بن كلب وهذا على مستوى الحيوانات على أنه كلب فقال له أبوه: لا تقول هذا فقال: أليس كذلك؟ قال: بلى ولكن شرط ذلك عدم قصد التعبير فلا ينبغي للشخص أن يعير أو يحتقر بكذا يعني إن كان من الأمور التي يحتقر بها فربما كان هذا أفضل منك عند الله ﷻ إياك أن تفعل هذا كما قيل - بارك الله فيكم -:

سيلي لسان كان يعرب لفظه فيا ليته من وقفة العرض يسلم
وما ينفع الإعراب إن لم يكن تقى وما ضر ذا تقوى لسان معجم^(٢)

وقال آخر:

ألا إنما التقوى هي العزم والكرم وحبك للدنيا هو الذل والعدم
وليس على عبدٍ تقىٍ نقيصةٌ إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم^(٣)

أي لا يجوز أن يحتقر وإن كان يشتغل يعني حائكاً أو حاجماً يعمل للناس في الجلود في الأحذية في غير ذلك أو يبيع شيئاً من الخضر من الكراث أو يبيع اللحم لا يقال له: هذا ابن جزار لا ينبغي أن يعير هذه حرفته قد يكون خيراً منك يرفعه الله ﷻ بتقواه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣].

(١) أنظر: شرح ابن دقيق العيد للأربعين (ص ٩٠).

(٢) أنظر: تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٤، ١٢/ ٣١) وتأريخ الإسلام (١/ ٢١٥٥-٢١٥٦) وهو لهلال بن العلاء الباهلي.

(٣) أنظر: عمدة القاري (١١/ ٢١٠) والوافي في الوفيات (١/ ١٢٣٤) وتأريخ ابن معين رواية الدوري

(٤/ ٣٩١) والشعر لأبي العتاهية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وهكذا يقول سبحانه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبا ٣٧].

فقد رفع الله سلمان وبلال وصهيب وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد رفعهم الله وهم كانوا لا شيء ولكن رفعهم الله بالإسلام وخفض الله أناسًا كانوا من الأثرياء أبا جهل أبا لهب كانوا سادة وأثرياء وأغنياء تجار ومع ذلك لم ينفعهم ذلك إطلاقًا.

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب^(١)

فلا ينبغي للشخص أن يغتر إذا أعطي نتفًا من العلم أو من حطام الدنيا فليعلم أنما هذا هو ابتلاء فإذا ترفع ربما سلبت منه هذه النعمة وتأمل في قارون لما ترفع سلبت النعمة منه وهكذا فرعون.

ثم قال: «التَّقْوَىٰ هَاهُنَا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات.

يعني الأصل في ذلك تقوى الله ﷻ فربما كان هذا أتقى لله ﷻ منك الذي أنت تحتقره .

«يَحْسِبُ امْرِئٌ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُخْفِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ»
أي مسلم غني فقير أبيض أسود عربي عجمي... إلخ أيش ما كان المهم أنه مسلم، دمه ماله عرضه حرام فلا يجوز أن يسفك دمه إلا بإحدى ثلاث: «الثِّبُّ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٢) ماله كذلك لا يحل إلا

(١) أنظر: جامع العلوم والحكم (ص ٤٧٣) وتأريخ دمشق (١٧٣/٦٧) وفيض القدير (١٠٧/٤) تحت

رقم ٤٦٩٧) والبيتان في ديوان الإمام علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (ص ١٥).

(٢) في الصحيحين: وقد سبق برقم (١٤) من الأربعين النووية.

عن طيب نفس عرضه كذلك لا يجوز أن يتحدث فيه ويشدد الأمر إن كان ملكاً والياً فلا يجوز أن ينتهك عرضه غيبة نميمة أو رجل له فضل يعمل الخير وأنت تقدح في عرضه أو عالم أنت تتكلم في عرضه إذ أن لحوم العلماء مسمومة وقد جاء من حديث ابن عمر قال: صعد النبي ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعْ اللَّهَ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهَ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» (١).

ثم اتجه ابن عمر إلى القبلة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» (٢).

فالمسلم له حرمة يجب أن يحترم.

ويقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أَرْبَى الرَّبَا شَتْمُ الْأَعْرَاضِ» (٣).

فنسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وهذا الحديث أصل في حق المسلم على أخيه المسلم وما ينبغي أن يكون بين المسلمين من أنواع التعامل والله أعلم. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: البيهقي في الكبرى (٢٠٩١٧) عن عمرو بن عثمان مرسلاً وصححه الألباني: صحيح الجامع (٨٧٢) ومثله ما رواه أحمد (١٦٥١) وأبو داود (٤٨٧٦) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعاً: «إن أربى الربا الإستطالة في عرض المسلم بغير حق» وصححه الألباني: صحيح الجامع (٢٢٠٣).

[٣٦]

{ جوامع الخير }

عن أبي هريرة ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رواه مسلم ^(٢) بهذا اللفظ.

أما قوله ﷺ: «من نفس» فالمراد بذلك التوسيع والتفريع نفس أي وسع وفرج وأزال وقوله: «عن مؤمن» يعني من أهل الإيمان ويدخل في ذلك أيضًا أن يكون

(١) سبقت ترجمته عند الحديث (٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) وأحمد (٧٤٢١) وأبو داود (٤٩٤٦) والترمذي (١٤٢٥، ١٩٣٠، ٢٩٤٥)

والنسائي في الكبرى (٧٢٨٤) وابن ماجه (٢٢٥) والحاكم (٨١٥٩) وابن حبان (٥٣٤) وغيرهم.
قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: هذا الحديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك.

أنظر: شرحه الأربعين (ص ٩٣).

مسلمًا فما بلغ هذه المرتبة إلا بعد المرتبة الأولى الإسلام ثم الإيمان والمراد بالكربة^(١) ما يكرب الإنسان ويغتم منه ويتضايق به وهذه الكربة قد تكون عملية وقد تكون كربة نفسية عملية وقد يكون متضايق عنده أشياء اضطربت في خاطره وفي قلبه وربما كانت أمور محسوسة فكلها من الكربات وقد كان النبي ﷺ يصاب بمثل ذلك فيقول: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٢).

وهو الذي كان يأتي بدعاء الكرب فيقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(٣) حديث ابن عباس في البخاري ومسلم.

وهكذا حديث ابن مسعود أيضًا كان يذهب بهذه الكربات: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدُلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَتُورَ بَصْرِي، وَتَجْلِيَ حُزْنِي، وَتَهَابَ هَمِّي»^(٤).

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: والكربة: هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب وتنفسها أن يخفف عنه منها. أنظر: جامع العلوم (ص ٤٥٨).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢) واحمد (١٧٨٨١، ١٧٨٨٢، ١٨٣١٧) وأبو داود (١٥١٥) والنسائي في الكبرى (١٠٢٧٦، ١٠٢٧٧) وابن حبان (٩٣١) والبيهقي في الشعب (٧٠٢٣) والكبرى (١٣١١٩) عن الأغر المزني.

(٣) رواه البخاري (٥٩٨٦، ٦٩٩٤، ٦٩٩٠) ومسلم (٢٧٣٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) صحيح: وقد سبق.

وهكذا في قصص بعض الأنبياء ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾

[الصفات ١١٥].

فيما يتعلق بسيدنا موسى وهارون عليهما السلام فهذه كربات قد تكون حسية وكذلك قد تكون معنوية لكنه يكون الجزاء من جنس العمل فإذا ما العبد وسع عن أخيه هذه الكربة استلم توسيعاً وتفريجاً من الله الواحد الأحد «من نفس عن مؤمن كربة... الحديث.

وكرب يوم القيامة أشد وأعظم ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ إِنَّا زَلَزَلْنَا السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج ٢٠-٢١].

ويقول سبحانه: ﴿وَأَتَقُولُوا يَوْمَ تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٨١] وقال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ٧﴾ السَّمَاءَ مَنقُطِرًا ١٧﴾ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل ١٧-١٨].

فيوم القيامة هو اليوم الذي تقوم فيه الساعة والساعة تقوم في يوم من أيامنا وهو يوم الجمعة وسمي يوم القيامة لأن الناس يقومون لرب العالمين ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين ٦].

يخرجون من قبورهم قياماً لله ﷻ وهكذا أيضاً لقيام الأشهاد كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر ٥٢]

وسمي أيضًا لأنه يوضع فيه ميزان العدل كما قال ربنا: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء ٤٧].

فسمي يوم القيامة بهذا الاسم لهذه الاعتبارات السابقة وكان الجزاء من جنس العمل وأعظم إذ أن كرب الدنيا تنقطع بزوالها بخلاف كرب يوم القيامة فإنها إن استمرت لا حول ولا قوة إلا بالله أولجت صاحبها في كرب عظيم.

قال: «ومن يسر على معسر» ومعنى يسر أي سهل والمعسر هو ذي إعسار من كان عليه حق للغير فمن الأمور المستحبة أن تيسر على أخيك المسلم كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرٍ فَنُظِرْهُ إِلَىٰ مَيْسَرٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٨٠].

ويقول ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَمَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ» (١).

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ حِلِّهِ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ، فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ» (٢).

فهو مأجور وأعظم من هذا «تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،

(١) رواه مسلم (٣٠٠٦) وأحمد (١٥٥٦٠) عن أبي اليسر رضي الله عنه.

ورواه أحمد (٨٦٩٦) والترمذي (١٣٠٦) وهذا اللفظ لهما عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني: صحيح الجامع (٦١٠٧) وصحيح الترغيب (٩٠٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٣٠٢٠، ٢٣٠٩٦) وابن ماجه (٢٤١٨) والحاكم (٢٢٢٥) والبيهقي في الشعب (١١٢٦١) والكبرى (١٠٧٥٨) عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه وصححه الألباني: صحيح الترغيب (٩٠٧) والصحيحة (٨٦) وصحيح ابن ماجه (١٩٦٢).

فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أَدَايُنُ النَّاسَ فَأَمُرُّ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ» (١).

فتجاوز الله ﷻ عنه وهذا كان تاجرًا لكن كانت فيه هذه الخصلة وذلك أن في قلبه رحمة يرحم بها الناس ويتعامل معهم المعاملة الحسنة.

وقد كان النبي ﷺ يقول: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمَحًا إِذَا اقْتَضَى» (٢).

ثم قال: «ومن ستر مسلمًا» ستر أي غطى عيبه فيما يعاب فيه أو به دين مروءة خلقًا أو عملاً رأى عليه ما يخل فستر هذا العيب لأن المؤمن دائماً يستر ولا يحب الفضح فهو دائماً يحب الستر لأن الله سبحانه كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيٌّ سِتِيرٌ» (يروى بكسر السين وتشديد التاء مكسورة ويروى بفتح السين وكسر التاء مخففة) يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ» (٣).

«ستره» إما أنه أعطاه ما يستر به عورته أو رآه على ذنب على جريمة فسره نصحه فيما بينه وبينه وسره ما أعلن بذلك أبداً فكان الجزاء «ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد» يعني في معونته وفي نصرته.

«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» إن عاونت أخاك في أمر ولو كان

(١) رواه البخاري (١٩٧١، ٢٢٦١) ومسلم (١٥٦٠). عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (١٩٧٠) وابن ماجه (٢٢٠٣) وابن حبان (٤٩٠٣) والطبراني في الأوسط (٤٧٠٨)

والبيهقي في الشعب (٨١١٢) والكبرى (١٠٧٦٠) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٧٩٩٩) وأبو داود (٤٠١٢) والنسائي (٤٠٦) والبيهقي في الشعب (٧٧٨٣)

والكبرى (٩٠٨) عن يعلى بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني: صحيح الجامع (١٧٥٦).

صغيراً لكن الله ﷻ يكون في عونك أعتته في مرضه أو حتى في أشياء حقيرة جداً كأن حملت عنه دبة ماء أو أعتته بأنوبة الغاز بشيء من حطام الدنيا الفاني فإنه يشمل هذا الحديث «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

قال: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً» سلكه ما أنه سلكه مسلكاً حسيّاً وذلك أنه اتجه من بيته إلى المسجد إلى المدرسة من بيته إلى الجامعة ماذا تريد؟ أريد العلم أو أنه سلك طريقاً أي فتح على نفسه باب العلم والفهم والذكاء وراجع وحفظ وفقه وراجع معلوماته فهذا أيضاً سلك طريقاً يلتمس فيه علماً لأن العلم لا يكون إلا بالمراجعة والصبر والتصبر قال: «سهل الله له به طريقاً إلى الجنة».

طريق الجنة الذي هو محفوف بالمكاره معبد ومذل ومسهل لطالب العلم ثم قال النبي ﷺ في قضية أخرى: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم...» والحديث خرج مخرج الغالب وإلا فلو اجتمعوا في مدرسة في معهد في مركز في بيت أحدهم يقرءون القرآن إما أن يتلو كل واحد على حدة كما هو حال المسلمين اليوم كل واحد يأخذ مصحف ويقرأ أو اجتمعوا كلهم وجعلوا أحدهم يقرأ وهم يستمعون فلا بأس بهذا فهو يشملهم.

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ» وهكذا إن كان المجلس مجلس وعظ وإرشاد وتذكير أو مجلس فقه وحديث وتفسير المهم أنه يمت صلة بكتاب الله وسنة النبي ﷺ.

قال: «وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ» والمراد بالسكينة الأمن والطمأنينة أنزلها الله ﷻ على قلوب هؤلاء. قال: «وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ» أي غطتهم رحمة الله.

«وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ» يعني إكرامًا لهؤلاء الجالسين تحفهم ملائكة رب العالمين.

قال: «وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» وهذه نعمة أخرى وذلك أن الله ﷻ يذكر هؤلاء الذين جلسوا هذه وظيفتهم «يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ سُنَّةَ بَيْنَهُمْ» فحينما جلسوا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم رب العالمين فيمن عنده أي في الملائكة الأعلى من الملائكة.

كما قال ربنا في الحديث القدسي: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً»^(١). ثم ختم النبي ﷺ حديثه ومقالته ﷺ بقوله: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» هذا فيه رد على الذين يحتجون إما بقبيلتهم أو بعصبتهم وأنه من آل فلان كما قيل:

إذا افتخرت بأقوام لهم نسب قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالنبي ﷺ يبطل هذه العادات الجاهلية القبلية الطائفية العنصرية وأنها ليست بشيء إن كان العمل لم يسرع بصاحبه فميزان التفاضل عند رب العالمين إنما هو التقوى والعمل الصالح:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه فلا تترك الدنيا اتكالا على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب

(١) رواه البخاري (٦٩٧٠، ٧٠٦٦، ٧٠٩٨، ٧٠٩٩) ومسلم (٢٦٧٥) وأحمد (٧٤١٦) والترمذي

(٣٦٠٣) وابن ماجه (٣٨٢٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأفضل من هذا قول ربنا سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعِفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامُونٌ﴾ [سبا ٣٧]. فإذا كان العمل غير صالح ما ينفع صاحبه فالنسب أيضًا لا ينفع ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون ١٠١].

لو يأتي واحد ويقول: أنا من آل فلان أنا من القبيلة الفلانية لا ينفعه هذا ﴿يَبْصُرُونَهُمْ بِوُدِّ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ ۖ وَصَحْبَتِهِ ۖ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّسُ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج ١١-١٤].

وأيضًا فيما يتعلق بقبيلة قريش فهي من أفضل القبائل ومع ذلك ما نفعت أبا طالب ولا أبا لهب ولا أبا جهل مع أنهم كانوا قرشيين وهكذا عبد الله بن أبي من عظماء الرجال في زمانه أعني قبل مقدم النبي ﷺ المدينة فلما أن كان عمله خاربًا وكان قلبه فاسدًا وعقيدته أيضًا ملوثة ما نفعه ذلك إطلاقًا فكان كافر وما نفعه هذا النسب الذي هو يحمله.

جاء في مسند أحمد «انتسب رجلان على عهد موسى ﷺ فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فممن أنت لا أم لك قال أنا فلان بن فلان بن الإسلام قال فأوحى الله إلى موسى ﷺ ان هذين المنتسبين أما أنت أيها المتممي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة»^(١).

(١) صحيح: وقد تقدم.

فالأنساب لا تنفع يوم القيامة وإنما ينفع العمل الصالح من جاء بعمل صالح نفعه في ذلك اليوم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس ٩-١٠].

فمن جاء بأعمال صالحة هذه الأعمال هي التي تنفعه أما من جاء وهو يقول: أنا من القبيلة الفلانية... إلخ فهذا لا ينفع فقد قال النبي ﷺ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» (١).

وهكذا يجب على العبد أن يشعر نفسه بهذا فهو يستطيع أن يسبق من قد تقدمه وذلك بأن يحمل نية صالحة في قلبه وإخلاصاً وأن يوطن نفسه على الخير وأن يكون دائماً متفقداً لقلبه مما يتغشاه من الفتن ومن الإيرادات التي يلقيها الشيطان الرجيم فعليه أن يقبل على نفسه فيصلحها.

يقول سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس ٧-١٠].

(١) رواه البخاري (٢٦٠٢، ٣٣٣٦، ٤٤٩٣) ومسلم (٢٠٤، ٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه مسلم (٢٠٥) عن عائشة رضي الله عنها.

فمن زكى نفسه فهو دائماً في فلاح ومن أطلق لنفسه العنان فإنه يندم في هذه الدنيا وفي الأخرى وهذا الحديث - بارك الله فيكم - ذكر عدة قضايا فيها أن المسلم لا بد أن يوطن نفسه على فعل الخير ولو لم يكن إلا الدعاء جاءك أخوك فقال الأمر على كذا وكذا فتجاوب معه وإن لم يكن عندك ما تعطيه فلا تبخل عليه بالدعاء لعل الله ﷻ أن ينفعه بدعائك.

وإياك أنت المشتكى إلى أخيك أو الذي تريد أن تفرغ ما في قلبك بعد الله إلى أخيك المسلم إن سمعت منه الدعاء تريد شيئاً آخر والدعاء تجعله كأنه لا قيمة له لا والله الدعاء له ثقله وأمر مجرب إذا دعا لك أخوك المسلم ترى مفتوحاً من الله ما هي أسبابها هذه الدعوات التي سمعتها من أخيك المسلم.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء^(١)

هذا رجل سجن في بعض سجون الظلمة ودعت له أمه ودعا له بعض الصالحين في بلده فكان مسجوناً وفقيداً فما شعروا إلا وقد انكسر القيد من رجليه فأعادوه فانكسر ثم أعادوه فانكسر فقال أمير تلك البلاد: هذه دعوة رجل صالح فدعوه ينطلق إلى أهله وهكذا كتب بعض الأمراء الغشومين من أجل قتل رجل من الصالحين كتب وأراد أن يكتب يقتل فكتب يطلق فأعادوا الورقة إليه فكتب يطلق ثم قال في نهاية الأمر: والله ما أردت إلا قتله ولكنه يطلق ورغماً عن أنفي. الله أعلم من يدعو له بظهر الغيب بالدعاء أمره عظيم وشأنه كبير.

وقد كان النبي ﷺ يقول: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ»^(٢).

(١) أنظر: فيض القدير (٣/ ٥٢٦) والمستطرف (١/ ٢٣٦).

(٢) البخاري (٢٧٣٩) وأحمد (١٤٩٣) عن سعد بن عبد الله، والحديث جاء عن أبي الدرداء «ابغوني

ويقول ﷺ: «التمسوا الدعاء من الضعفاء» (١).

فإذا رأيت عبداً ضعيفاً إياك أن تهزأ به فقد أخذ الفاروق عمر أويس بن عامر القرني (٢) وطلب منه أن يدعو له مع أن عمر الرجل العملاق الذي شهد له النبي ﷺ بالجنة ومع ذلك يطلب الدعاء من أويس القرني بحثاً من رسول الله ﷺ والله أعلم.

=

الضعفاء... الحديث رواه أحمد (٢١٧٧٩) وأبو داود (٢٥٩٤) والترمذي (١٧٠٢) والنسائي (٣١٧٩) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤١) والصحيحة (٧٧٩).

(١) لم أجده في المراجع الموجودة بين يدي والله أعلم.

(٢) أويس القرني هو: أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن مسعدة بن عمرو بن سعد بن عصفوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد المرادي ثم القرني الزاهد المشهور هكذا نسب ابن الكلبي أدرك النبي ﷺ ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار التابعين.

فعن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى أمداد اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر حتى أتى علي أويس فقال: أنت أويس بن عامر قال: نعم قال: من مراد ثم من قرن قال: نعم قال: كان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم قال: نعم قال: لك والدة قال: نعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والده هو بها بر لو أقسم على الله لأبره؛ فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفر لي فاستغفر له فقال له عمر: أين تريد قال: الكوفة قال: ألا أكتب لك إلى عاملها قال: أكون في غرباء الناس أحب إلي.

قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشrafهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال: تركته رث البيت قليل المتاع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن ثم من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والده هو بها بر؛ لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل «فأتى أويسا فقال: استغفر لي قال: أنت أحدث عهداً بسلف صالح فاستغفر لي قال: لقيت عمر قال: نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق علي وجهه قال أسير: وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة. قال هشام الكلبي: قتل أويس القرني يوم صفين مع علي.

أنظر: مسلم (٢٥٤٢) وأسد الغابة (٩٥ / ١) والطبقات الكبرى (١٦١ / ٦ - ١٦٤) وغيرها من كتب الحديث والسيرة.

[٣٧]

{ فضل الله تعالى وعدله ورحمته }

وعن ابن عباس (١) عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

رواه البخاري ومسلم (٢) في صحيحهما بهذه الحروف.

(١) سبقت ترجمته عند الحديث (١٩).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٦، ٧٠٦٢) ومسلم (١٣١) وأحمد (٢٨٢٨، ٣٤٠٢) والنسائي في الكبرى (٧٦٧٠) والدارمي (٢٧٨٦) والطبراني في الكبير (١٢٧٦٠) والبيهقي في الشعب (٣٣٤).

وزاد مسلم في رواية (أو محاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وفي هذا المعنى أحاديث متعددة. ثم ذكر بعضها. أنظر: جامع العلوم (ص ٤٧٤).

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: قال الشراح لهذا الحديث: هذا حديث شريف عظيم بين فيه النبي ﷺ مقدار تفضل الله ﷻ على خلقه: بأن جعل هم العبد بالحسنة وإن لم يعملها حسنة وجعل همه بالسيسة وإن لم يعملها حسنة وإن عملها سيئة واحدة فإن عمل الحسنة كتبها الله عشرا وهذا الفضل العظيم بأن ضاعف لهم الحسنات ولم يضاعف عليهم السيئات وإنما جعل لهم بالحسنات حسنة لأن إرادة الخير هو فعل القلب لعقد القلب على ذلك. شرحه للأربعين (ص ٩٦).

أما قوله عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه فهذا يسمى عند المحدثين حديث قدسي والقدس مشتق من الطهر وهناك خلاف بين العلماء فيما يتعلق بين الحديث القدسي أهو من كلام الله لفظاً ومعنى أم لفظه من رسول الله ومعناه من الله ﷻ خلاف والقول الصواب أنه لا ينبغي التعمق في هذه المسألة ونكتفي بما يقوله أصحاب النبي ﷺ عند روايتهم له فيقولون: عن رسول الله فيما يرويه عن ربه ﷻ وهذا أمر مستحب أن يخرج الإنسان نفسه من بوتقة الخلاف.

الله ﷻ يقول في هذا الحديث القدسي كما قال النبي ﷺ حاكياً عن ربه ﷻ: «إن الله كتب الحسنات والسيئات» والمراد بذلك الكتابة الحقيقية وهو أنه كتب وقوعها وثوابها وعقابها فهي واقعة بقضاء الله وقدره «إن الله كتب الحسنات والسيئات» بمعنى أمر قد فرغ منه كتب الله الحسنات وعاملها ومن يعملها وهكذا السيئة وعملها وزمن عمله لها مستقبلاً سبحانه الله!

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ٥١ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿طه ٥١-٥٢﴾ وهكذا: «إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش....» (١) وهكذا يقول سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد ٢٢].

ومعنى نبرأها أي نخلقها ولكن لا ينبغي للعصاة أن يحتجوا بهذا يعمل العاصي المعصية يقول: قد كتب الله عليّ أن أسرق أو أزني... إلخ أمر قدره الله بل لا بد من أخذ الحيطة والحذر وإعمال النصوص الشرعية في ذلك فالله ﷻ علم أن العاصي

(١) في الصحيحين: وقد سبق.

سوف يعصي ولكنه تعالى حذر قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣].

وهكذا قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ٣٢].

وقال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ١٨٨].

آيات الأحكام بشكل عام وفيما يتعلق بأمر الحلال والحرام فلا ينبغي للعاصي إن عمل من ذلك شيء احتج بأن هذا أمر قد كتب صحيح كتب ولكن ما هي الفائدة من الشرع وما الفائدة من السمع ومن البصر ومن الفؤاد ليش أعطاك الله ﷻ العقل وأعطاك السمع وأعطاك البصر هكذا زدك بهذه الأجهزة فقط من أجل أن تكون سميعاً بصيراً عاقلاً أو من أجل أن تستخدم هذه فيما يكون فيه الضرر والنفع فيما يكون لك فيه النفع في الدنيا والآخرة وترك ما يكون فيه ضرر عليك في الدنيا والآخرة من عقاب الله ﷻ لذا قال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث علي بن أبي طالب: قال «اعْمَلُوا فِكْلٌ مُّيسَّرٌ لِّمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ». ثم قرأ «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو مقعده من الجنة» فقال الصحابة: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ يعني أنت الآن توزع أوراق الاختبارات تقول: اسمعوا أيها الطلاب نحن نعرف عدد الناجحين وعدد الفاشلين يقول لك: إذا ليش الاختبار طالما قد عرفت النتائج وعرف العشرة الأوائل وعرف الراسبون إذا لماذا قال الصحابة: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع

العمل: قال «اعْمَلُوا فِكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ. ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل ٥-١٠]^(١). سبحانه الله! ما أعظم علمه وحلمه وكتابته فقد علم ربنا ﷺ ما كان وما سيكون لو كان سبحانه الله! ثم بعد أن كتب الله ﷻ الحسنات والسيئات بين ذلك بمعنى فصل ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل ٨٩]. أي تفصيلاً وقد جاء في آية أخرى: ﴿...وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء ١٢]. والمراد بذلك الدقة في البيان.

قال الله ﷻ: «فمن هم بحسنة» والمراد بالهم هنا العزم وذلك أن يهتم بالحسنة هم أن يصلي الضحى تَوْضُأً وبينما هو يريد أن يصلي دق عليه صاحبه الباب أو جاءت سيارة تطرق عليه وكان بينهم ميعاد هيا نطلق وصاحب السيارة ما هو راضي ينتظر خرج كتب له حسنة كاملة شخص نوى أن يصل رحمه فأعد المبلغ وجهاز نفسه ثم عرض له عارض خلاص تكتب له حسنة كاملة ورجل عدّ المبلغ من أجل الحج فما استطاع هو مأجور لكن هل يسقط عنه حجة الإسلام إن كان لم يحجها؟ لا تسقط عنه لكن تكتب له حسنة على قدر نيته فما أعظم باب النيات لذا يقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٢) والمراد بالهم هاهنا العزم وليس المراد به حديث

(١) رواه الجماعة: فقد رواه البخاري (١٢٩٦)، ٤٦٦١، ٤٦٦٢، ٤٦٦٣، ٤٦٦٤، ٤٦٦٥، ٤٦٦٦،

٥٨٦٣، ٦٢٣١، ٧١١٣) ومسلم (٢٦٤٧) وأحمد (١٠٦٧) ومواضع وأبو داود (٤٦٩٤) والترمذي

(٢١٣٦) والنسائي في الكبرى (١١٦٧٨) وابن ماجه (٧٨).

(٢) في الصحيحين: وقد سبق برقم (١) من الأربعين النووية.

النفس وخواطرها هذا لا يكتب لأنه لا يستقر لذا يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا» (١).

وذكر العلماء مراتب القصد فقال الناظم:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعوا
يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا (٢)

ثم قال: «فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة».

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦١].

ويقول النبي ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ» أي بقدر تمر «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» (٣).

وجاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ» (٤).

فلو أننا نستشعر هذا عند العمل من تَوْضُأً ثم بعد ذلك ما كتب له أن يصلي

(١) في الصحيحين: وقد سبق.

(٢) روح المعاني: (٣/ ٦٤)، ومفردات القرآن: (١/ ١٥٥٨) وقد سبق.

(٣) في الصحيحين: وقد سبق.

(٤) رواه مسلم (١٨٩٢) وأحمد (١٧١٣٥، ٢٢٤١١) والنسائي (٣١٨٧) وأبو يعلى (٦١٠) والطبراني في

الكبير (٦٣٣) والبيهقي في الشعب (٤٢٦٧) عن أبي مسعود البدرى الأنصاري (رضي الله عنه).

الضحى قال: أنا كنت عازم أني أصلي الضحى ولكن شغلت يكتبها الله عنده حسنة كاملة فإن صلاها قال: يكتبها الله لي عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لو أننا نحسب مثل هذا ودائماً نحس أنفسنا بالأجر لصلحت قلوبنا وأحوالنا أيضاً قال: «وإن هم بسيئة هم بها فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة».

هم أن يشرب الخمر فلم يشرب كتبها الله عنده حسنة لكن حينما لم يشرب هل بسبب أنه غير قادر على الشراء هنا لا يكتب عليه شيء ما هو الحامل له على عدم فعله هذه السيئة إن كان قد تركها من جراء مخافة الله فهو مأجور وتكتب له حسنة تفضلاً من الله ﷻ حدثته نفسه أن يسرق وأن يزني وأن يفعل لكنه أبى على نفسه ذلك فلم يفعل فإن كان لأمر آخر عجز ما استطاع أن يصل إلى ذلك ما سنحت له الفرصة فهو مأزور غير مأجور لأنه أراد أن يعملها ولكن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً والدليل على هذا قوله ﷺ في حديث أبي بكرة في البخاري ومسلم: «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بِالْمَقْتُولِ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»^(١).

بسبب النية وهكذا أيضاً حديث عائشة في الصحيحين: «يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بَيْنَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»^(٢).

(١) رواه البخاري (٣١، ٦٣٨١، ٦٦٧٢) ومسلم (٢٨٨٨) وغيرهما.

(٢) رواه البخاري (٢٠١٢) ومسلم (٢٨٨٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وجاء عن أم سلمة عند مسلم (٢٨٨٢) وعن حفصة عند مسلم (٢٨٨٣) وعن صفية عند أحمد (٢٦٩٠١) والترمذي (٢١٨٤) وغيرهما

وحديث أبي كبشة الأنماري في مسند أحمد: «ثلاث أقسم الله عليهن ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعقوٍ إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه ألا وإنما الدنيا لأربعة نفر رجل آتاه الله علماً وماً لا فسلط علمه على ماله فأنفقه في وجوه الخير...» الحديث وفيه: «هما في الأجر سواء»^(١).

أدرك بنيته مرتبة ذلك الذي قائم بالصدقة الفعلية والآخر لم يحل بينه وبين الفعل إلا العجز فيستطيع العبد بنيته الطيبة أن يعامل الله ﷻ معاملة حسنة فيما بينه وبين الله فيرقى بذلك على أقرانه وأصحابه ويكون عند الله ﷻ من المقبولين ومن المقربين وربما لا يفطن له ربما يكون من الاتقياء الأخفاء ما الذي أوصله إلى هذا كثرة المال الرتبة المنزلة لا ولكنه يعامل الله ﷻ معاملة حسنة إخلاص ومحك النظر إن أردنا أن نتأكد أوقات الخلوات فمن خلا بربه ورأى من نفسه خيراً فليحمد الله ويشكره ويثابر على هذا ومن رأى من نفسه إدبار وإعراض فليصحح.

قد جاء عند ابن ماجه من حديث ثوبان أن النبي ﷺ قال: «لَا عِلْمَ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بَيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثُوبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»^(٢).

=

وجاء عن غيرهن من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٤٥) والطبراني في الأوسط (٤٦٣٢) والصغير (٦٦٢) وصححه الألباني:

صحيح الجامع (٥٠٢٨، ٧١٧٤) والصحيحة (٥٠٥).

إذا هو بين الناس سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وذكر ولهج بالذكر وإذا ما خلا بربه بارزه وذلك دليل الجبن والضعف ورقة الدين

وإذا ما الجبان خلا بأرض طلب الطعان وحده والنزالا

ولكن كل واحد أدرى بنفسه من غيره ويستطيع الشخص أن يمثل على أنه تمام ومن العباد ومن الزهاد ومن الأتقياء الأخفياء ولكن هذا سرعان ما يزول وسرعان ما يفتضح صاحبه.

ومن تزيبا بغير زيه فضحته شواهد الامتحان

ويقول النبي ﷺ: «رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طُمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ»^(١) وربما تجد إنساناً يحبك وأنت لا تعطيه شيئاً وربما يدعو لك ما الذي أوصلك إلى هذه المنزلة تعاملك مع الله ﷻ فعامل ربك وليكن الهم الأول والأخير الله في كل شيء «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(٢).

(١) رواه مسلم (٢٦٢٢، ٢٨٥٤) بلفظ (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) وابن حبان (٦٤٨٣) والحاكم (٧٩٣٢) وأبو نعيم في الحلية (٧/١) وانظر: تخريج مشكلة الفقر (١٢٥).
والحديث عند الترمذي (٣٨٥٤) عن أنس رضي الله عنه وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٥٧٣): بلفظ (كم أشعث أغبر...) ورواه البزار (٢٠٣٥) عن ابن مسعود وصححه الألباني: صحيح الجامع (٣٤٨٧).

(٢) صحيح: رواه لأحمد (٢١٦٣٠) وابن ماجه (٤١٠٥) والدارمي (٢٢٩) وابن حبان (٦٨٠) عن زيد بن ثابت ورواه الترمذي (٢٤٦٥) عن أنس رضي الله عنه. وصححه الألباني: صحيح الجامع (٦٥١٠، ٦٥١٦) وأنظر: الصحيحة (٤٠٤، ٩٤٩، ٩٥٠).

وقال عليه السلام: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ» (١).

ولو طالعنا تاريخ المسلمين وبالذات تاريخ السلف لرأينا عجبًا عجبا قد كان بعضهم يكتب إلى أخيه ينصحه **قال ذا النون المصري**: «كان العلماء يتواظفون بثلاث ويكتب بعضهم إلى بعض: من أحسن سريره أحسن الله علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله له ما بينه وما بين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه» (٢).

لا سيما الشاب الذي هو عرضة للفتن والمحن فإذا تجاوز هذه المرحلة بسلام فليحمد الله ومن تقادم به العمر وكان قبل ذلك محافظًا أيضًا فليستمر وليواصل هذا الطريق الذي سلكه وإياك أن تستسلم فإن الشيطان له عدة مراحل قال بعض السلف: «إن الشيطان يفتح للعبد تسعة وتسعين بابا من الخير يريد بها بابا من الشر» (٣).

ويذكرون عند قوله سبحانه: ﴿كَمْثِلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر ١٦].

قال وهب بن منبه: «إن عابدا كان في بني إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه وكان في زمانه ثلاث إخوة لهم أخت وكانت بكرًا ليس لهم أخت غيرها فخرج

(١) صحيح: رواه ابن ماجة (٢٥٧، ٤١٠٦) والبخاري (١٦٣٨) والبيهقي في الشعب (١٨٨٨) عن ابن مسعود، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٦١٨٩) والحديث جاء عن ابن عمر عندنا لحاكم (٣٦٥٨) والبيهقي في الشعب (١٠٣٤٠) وحسنه الألباني: صحيح الترغيب (٣١٧٠).

(٢) سبق في شرح الحديث (١٨) مع ترجمة ذي النون وأنه من قول عون بن عبد الله.

(٣) أنظر: تذكرة الحفاظ (٢١٧/١) والحلية (٣٣١/٧) والقول للحسن بن صالح رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا عند من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها.

قال فاجتمع رأيهم على أن يخلفونها عند عبد بني إسرائيل وكان ثقة في أنفسهم فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره إلى أن يقفلوا من غزاتهم فأبى ذلك عليهم وتعوذ بالله منهم ومن أختهم.

قال فلم يزالوا به حتى أطمعهم.

فقال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا ينزل إليها الطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضعه لها من الطعام.

قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها.

قال: فلبث بذلك زمانا ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها.

قال: فلبث بذلك زمانا ثم جاء إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه وقال: لو كنت تكلمها وتحديثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة.

قال: فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع عليها من فوق صومعته قال ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحديثها وتقعد

على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتخرج الجارية من بيتها فلبثا زمانا يتحدثان ثم جاء إبليس فرغبه في الخير وفيما له من حسن الثواب يصنع بها.

وقال: لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريبا من باب بيتها كان آنس لها فلم يزل به حتى فعل؟

قال: فلبثا زمانا ثم جاء إبليس فرغبه في الخير وفيما له من حسن الثواب فيما يصنع بها وقال له: لو دنوت من باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقعد على باب بيتها فيحدثها فلبثا بذلك حيناً ثم جاء إبليس فقال: لو دخلت البيت معها تحدثها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهاره كله فإذا أمسى صعد في صومعته.

قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذهما وقبلها فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبها فولدت له غلاما فجاءه إبليس فقال له:

أرأيت إن جاء إخوة هذه الجارية وقد ولدت منك! كيف تصنع! لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك! فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم عليك مخافة إختوها أن يطلعوا ما صنعت بها ففعل فقال له: أتراها تكتم إختوها ما صنعت بها وقتلت ابنها! خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفيرة مع ابنها وأطبق عليها صخرة عظيمة وسوى عليها التراب وصعد في صومعته يعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى قفل إختوها من الغزو فجاءوه فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكى لهم وقال: كانت خير أمة وهذا قبرها

فانظروا إليه فأتى إخوانها القبر فبكوا على قبرها وترحموا عليها وأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم فلما جن عليهم الليل واخذوا مضاجعهم أتاهم الشيطان في صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان.

وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعا منكم وألقاها في حفيرة احتفرها خلف الباب الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونها هنالك جميعاً كما أخبرتكم قال: وأتى الأوسط في منامه وقال له مثل ذلك ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لما رأى كل واحد منهم فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى.

قال: أكبرهم: هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا قال أصغرهم: لا أمضي حتى آتي ذلك المكان فأنظر فيه قال: فانطلقوا جميعاً حتى دخلوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحو الباب وبحثوا الموضع الذي وصفه لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبحين في الحفيرة كما قيل لهم فسألوا العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما فاستدعوا عليهم ملكهم فأنزل من صومعته فقدموه ليصلب فلما أوقفوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له: قد علمت أني صاحبك الذي فتتك في المرأة حتى حبلتها وذبحتها وذبحت ابنها فإن أنت أطعنتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك خلصتك مما أنت فيه قال: فكفر العابد بالله فلما كفر خلى عنه الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه قال: ففيه نزلت هذه الآية ﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا

كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ - إلى قوله - ﴿جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (١)

وفي نهاية المطاف كانت الفضيحة وحتف أنف ذلكم العابد وهكذا زل حمار العلم في الطين نسأل الله السلامة والعافية فلنحذر من أبصارنا ومن أسماعنا ومن تغير قلوبنا فقد كان النبي ﷺ يدعو الله يمتع به هذه الجوارح: «اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا...» (٢)

الحديث فالذكر والصبر وباب الدعاء أمر لا بد منه حتى يحفظ العبد من مهاوي الردى والله أعلم.



-
- (١) أنظر: تفسير القرطبي (٣٤ / ١٨) والقصة رويت بألفاظ مختصرة ومطولة منها: أن هذه المرأة كانت ترعى أغنام فتأوي بقربه. وقيل: كانت مريضة بجنون فجاء بها للعلاج عند هذا الراهب.
- أنظر: الحاكم (٣٨٠١) والبيهقي في الشعب (٥٤٥٠) عن علي رضي الله عنه وجاءت عن عدد من الصحابة والتابعين وأنظر: تفسير ابن كثير (٣٦ / ٤) والقرطبي (٣٤ / ١٨) وفيض القدير (٢٨٩ / ٥) والبداية والنهاية (١٣٦ - ١٣٧ / ٢) وغيرها من كتب التفسير والحديث والتأريخ.
- (٢) حسن: رواه الترمذي (٣٥٠٢) والنسائي في الكبرى (١٠٢٣٤) وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٢١٤٨).

[٣٨]

{عبادة الله تعالى وسيلة للقرب والمحبة}

وعن أبي هريرة ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَكِنْ اسْتَغَاذَنِي لَأُعِيدَنَّه» رواه البخاري ^(٢).

(١) سبقت ترجمته عند الحديث (٩).

(٢) رواه البخاري (٦١٣٧) وقد تفرد به عن الجماعة ورواه ابن حبان (٣٤٧) والبيهقي في الكبرى (٦١٨٨) وأبونعيم في الحلية (٤/ ٥) وهو من الأحاديث التي انتقد على البخاري إخراجها له، فقد قال الذهبي في الميزان (١/ ٦٤٤): في ترجمة خالد بن مخلد هذا وهو القطواني بعد أن ذكر اختلاف العلماء في توثيقه وتضعيفه وساق له أحاديث تفرد بها هذا منها: قال: فهذا حديث غريب جدا، ولولا هبة «الجامع الصحيح» لعدته في منكرات خالد بن مخلد، وذلك لغرابة لفظه، ولأنه مما ينفرد به شريك وليس بالحافظ.

ولكن قد دافع عن هذا الحديث عدد من العلماء منهم: الحافظ في الفتح (١١/ ٣٤١) وما بعدها عند شرحه لهذا الحديث حيث قال: ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلا. ثم ذكر بعض طرقه والشوكاني في رسالة سماها (القطر الندي على حديث الولي).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: هذا حديث شريف قد رواه البخاري من حديث أبي هريرة وهو أشرف حديث روى في صفة الأولياء. مجموع الفتاوى (١٨/ ١٢٩).

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فإن حديثا يخرج الإمام البخاري في المسند الصحيح ليس من السهل

هذا الحديث في سننه خالد بن مخلد القطواني يقول الذهبي: **لولا هبة الصحيحين لحكمت عليه بالوضع.**

قال الإمام ابن رجب^(١) واسمه عبد الرحمن بن شهاب الدين: هذا الحديث تفرد بإخراجه البخاري من دون بقية أصحاب الكتب وخرجه عن محمد بن عثمان بن كرامة قال حدثنا خالد بن مخلد قال: حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكر الحديث بطوله وزاد في آخره: «وما ترددت من شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» قال: وهو من غرائب الصحيح تفرد به ابن كرامة عن خالد وليس هو في مسند أحمد مع خالد بن مخلد القطواني تكلم فيه أحمد وغيره وقالوا: له مناكير وعطاء الذي في إسناده قيل: أنه ابن أبي رباح، وقيل أنه ابن يسار وإنه وقع في بعض النسخ الصحيح منسوبًا كذلك. وقد روي هذا الحديث من وجوه آخر لا تخلو كلها من مقال، فرواه عبد الواحد بن ميمون أبو حمزة مولى عروة بن الزبير عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «من آذى لي وليًا فقد استحل محاربي....» هذا عند ابن أبي الدنيا وهو في مسند أحمد أيضًا^(٢). قال هاهنا وذكر ابن عدي^(٣) أنه تفرد به

=

الطعن في صحته أنظر: الصحيحة (٢/٣٨٤ رقم ١٦٤٠).

قال صاحب الإفصاح: في هذا الحديث من الفقه: أن الله ﷻ قدم الإعذار إلى كل من عادي وليا: أنه قد أذنه بأنه محاربه بنفس المعادة وولي الله تعالى هو الذي يتبع ما شرعه الله تعالى فليحذر الإنسان من إيذاء قلوب أولياء الله ﷻ. أنظر: شرح الأربعين (ص ١٠٠).

(١) أنظر: جامع العلوم والحكم (ص ٣٥٨، ٣٥٩).

(٢) صحيح يشواهد: رواه أحمد (٢٦٢٣٦) وابن أبي الدنيا في الأولياء (٤٥) وأبو نعيم في الحلية (١/٥)

ومسند الشهاب (١٤٥٧) عن عائشة رضي الله عنها. وصححه الألباني بشواهد: في الظلال (٤١٤).

(٣) أنظر: الكامل (٣٠١/٥).

عبد الواحد عن عروة وعبد الواحد هذا قال البخاري فيه منكر الحديث^(١) هذا فيما يتعلق بالإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وقال الحافظ ابن حجر^(٢): الحديث الثاني قوله محمد بن عثمان بن كرامة بفتح الكاف والراء الخفيفة هو من صغار شيوخ البخاري وقد شاركه في كثير من شيوخه منهم خالد بن مخلد شيخه في هذا الحديث فقد أخرج عنه البخاري كثيرا بغير واسطة منها في باب الاستعاذة من الجبن في كتاب الدعوات وهو أقربها إلى هذا قوله عن عطاء هو بن يسار ووقع كذلك في بعض النسخ وقيل هو بن أبي رباح والأول أصح نبه على ذلك الخطيب وساق الذهبي في ترجمة خالد من الميزان بعد أن ذكر قول أحمد فيه له مناكير وقول أبي حاتم لا يحتج به وأخرج بن عدي عشرة أحاديث من حديثه استنكرها هذا الحديث من طريق محمد بن مخلد عن محمد بن عثمان بن كرامة شيخ البخاري فيه وقال هذا حديث غريب جدا لولا هبة الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد فإن هذا المتن لم يرو إلا بهذا الإسناد ولاخرجه من عدا البخاري ولا أظنه في مسند أحمد قلت ليس هو في مسند أحمد جزما وإطلاق أنه لم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد مردود ومع ذلك فشارك شيخ شيخ خالد فيه مقال أيضا وهو راوي حديث المعراج الذي زاد فيه ونقص وقدم وأخر وتفرّد فيه بأشياء لم يتابع عليها كما يأتي القول فيه مستوعبا في مكانه ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلا منها عن عائشة أخرجه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد من طريق عبد

(١) أنظر: التأريخ الكبير ٥٨/٦ رقم (١٧٠٣).

(٢) أنظر: الفتح (٣٤١/١١).

الواحد بن ميمون عن عروة عنها وذكر بن حبان وابن عدي أنه تفرد به وقد قال البخاري انه منكر الحديث. أهـ.

لكن خالد بن مخلد هذا فتح الله عليه حينما أخرج البخاري له فالعلماء يقولون: إذا روى البخاري لرجل فقد حاز القنطرة، وعلى أية حال درج العلماء جيلاً بعد جيل مصححين هذا الحديث ومقتنعين به وينسبونه إلى رسول الله إلى جبريل إلى الله تعالى حديث قدسي في صحيح البخاري على أن الإمام الذهبي رحمته الله قد جعل لنفسه احتياطاً حينما قال: لولا هبة الصحيح.

في قوله: قال رسول الله أن الله تعالى قال، هذا يسمى حديثاً قدسياً وقد تقدم لكم هل يقال: لفظه ومعناه من الله أو يقال: لفظه من الله ومعناه من رسول الله وقلنا ترك التعمق في ذلك أولى وحسبنا أن نقول كما يقول الصحابي عن رسول الله فيما يرويه عن ربه ﷻ لأن الخلاف حاصل والخروج من الخلاف مستحب قال ربنا ﷻ «من عادى لي ولياً» يعني من اتخذته عدواً فأذن الله بمعنى أعلم بمحاربتة بالحرابة بينه وبين الله ﷻ ولا أعلم عقوبة كهذه إلا فيما يتعلق بأمر الربا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ [البقرة ٢٧٨-٢٨٠]. وكذلك حد الحرابة فيمن يقطعون الطريق ويسفكون الدماء ويتهبون أموال الناس قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٨٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿المائدة: ٣٣-٣٤﴾.

من هو الولي؟ القول الصحيح في ذلك هو ما ذكره الله ﷻ مبينا من هو الولي فقال: ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿يونس: ٦٢-٦٤﴾.

حتى أن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (١) فمن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً. وابن تيمية أخذ هذا من هذه الآية.

والمتبادر عند عامة الناس قال ابن القيم: إن سألت رجلاً أن يدلِكَ على ولي لأخذكَ إلى المقبرة هذا الذي يطاف حوله هو الولي وهذا فهم سقيم فالولي قد يكون تاجر أو عامل أو حجام فلاح مهندس بيطري طالب علم عجوز شمطاء تحفظ نفسها وحصنت فرجها وقامت بحق ربها تصلي الضحى وتقوم بأعمال الخير إن شاء الله هي من الأولياء ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٦٣] ومن السهل أن يرشح كل واحد منا نفسه لأن ينال ولاية الله.

وولاية الله نوعان ولاية عامة وولاية خاصة:

أما الولاية العامة فمعناها تدبير الله وقيامه بشؤون عباده وهذا عام لكل إنسان مؤمن وكافر وبر وفاجر والدليل على ذلك قول الحق ﷻ: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ

(١) أنظر: مجموع الفتاوى (١٥٩/١١) وقد ذكر هذا في عدد من كتبه.

أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ [الأنعام ٦٢]. فهذه مثل ولاية ولي الأمر للناس كلهم.

أما الولاية الخاصة فهي ولاية الله للمتقين قال سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [القرة ٢٥٧].

فمن كان ولياً لله فأذيته محرمة والله هو الذي يتولى الدفاع عن هذا الولي لكن هل ذلك على إطلاقه لو بدر من هذا الولي شيء من أمور الدنيا وحصل بينك وبينه مشادة كما حصل بين أصحاب النبي ﷺ وكلهم أولياء فهناك يدخل في هذا ولكن والله أعلم فيمن آذى هذا الولي بغير حق كأن يسبه يحتقره يأخذ حقوقه وهو منه براء كما سوف تسمعون فقد بوب الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى باباً في رياض الصالحين باب كرامة الأولياء وجاء بعدة أدلة ذكرها ابن رجب سوف أذكر لكم شيئاً منها قريباً:

ثم قال الله ﷻ: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه» المراد بذلك الفرائض الواجبات الصوم الصلاة الحج ثم قال: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل» بعد الفرائض نافلة الصوم الصلاة الصدقة الحج والعمرة عموماً «حتى أحبه» قال بعض السلف: ليس العجب أن تحب الله فإن الإنسان عبد الإحسان ولكن العجب أن يحبك الله ﷻ.

«فإذا أحبيته كنت سمعه الذي وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني ل أعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» والمعنى أن الله ﷻ يسد هذه الجوارح من قام بالفرائض ثم تبعها بالنوافل حصل عنده إيمان وتقوى لأن الإيمان يزداد بالطاعة والله إنه ينقص بالمعصية فإذا حصل لك هذا أحبك الله وإذا أحبك كان سمعك بمعنى أنه يسد سمعك فلا تسمع إلا الخير وبصرك بمعنى لا

تبصر إلا الخير وإذا أبصرت انتفعت بهذه الرؤية وكذلك يدك التي تبطش بها فما تقع إلا على شيء حلال وهكذا أمر القدم ثم بعد ذلك إن دعوته سبحانه أعطاك وإن استعذت به أعادك.

يا من ألوذ به فيما أوّله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

فالله ﷻ يجعل لهذا العبد الولي التقي الصافي سدادًا لجوارحه كلها هذا هو من باب التمثيل فقط وإلا فالسداد والاستقامة والزكاة حاصل للسان والفرج والمعدة وما يدخل فيها عمومًا وذلك أنه قام بالفرائض ثم بعد ذلك أتى بالنوافل فتحصل على هذه الجوائز الكبرى.

وإليك كلام ابن رجب في جامع العلوم والحكم^(١) حيث قال: في قوله: «ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» وفي رواية أخرى «إن دعاني أجبتة وإن سألتني أعطيتة» يعني أن هذا المحبوب المقرب له عند الله منزلة خاصة تقتضي أنه إذا سأل الله أعطاه شيئًا وإذا استعاذ به من شيء أعاده منه وإن دعاه أجابه فيصير مجاب الدعوة لكرامته على الله تعالى وقد كان كثير من السلف الصالح معروفًا بإجابته الدعوة.

وفي الصحيح أن الربيع بنت النضر كسرت ثنية جارية فعرضوا عليهم الأرش فأبوا فطلبوا منهم العفو فأبوا فقضي بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقصاص فقال أنس ابن النضر أتكسر ثنية الربيع والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما فرضي القوم وأخذوا الأرش فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن من عباد

(١) أنظر: جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٦-٣٦٩).

الله من لو أقسم على الله لأبره» (١).

وفي صحيح الحاكم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّ قَسَمَهُ مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بِنِ مَالِكٍ، فَإِنَّ الْبَرَاءَ لَقِيَ رَحْضًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَوْجَعَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْمُسْلِمِينَ»، فَقَالُوا: يَا بَرَاءُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّكَ لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّكَ، فَأَقْسِمَ عَلَى رَبِّكَ»، فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لِمَا مَنَحْتَنَا أَكْثَفَهُمْ، ثُمَّ التَّقُوا عَلَى قَنْطَرَةِ السُّوسِ، فَأَوْجَعُوا فِي الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا بَرَاءُ، أَقْسِمَ عَلَى رَبِّكَ، فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لِمَا مَنَحْتَنَا أَكْثَفَهُمْ، وَالْحَقَّتَنِي بَنِيكَ ﷺ، فَمِنْ حُوا أَكْثَفَهُمْ، وَقُتِلَ الْبَرَاءُ شَهِيدًا» (٢) وروى ابن أبي الدنيا بإسناد له أن النعمان بن نوفل قال يوم أحد اللهم إني أقسم عليك أن أقتل فأدخل الجنة فقتل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ النُّعْمَانَ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ فَأَبْرَهُ» (٣).

وروى أبو نعيم بإسناده عن سعيد أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد: «يارب إذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعيد لقد لقيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه

(١) رواه البخاري (٢٥٥٦) وموضع ومسلم (١٦٧٥) وأحمد (١٢٣٢٤) وأبو داود (٤٥٩٥) والنسائي (٤٧٥٥) وابن ماجه (٢٦٤٩).

(٢) رواه الحاكم (٥٢٧٤) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب (١٠٤٨٣) وأبو نعيم: الحلية (٧/١، ٣٥٠) وهو عند الترمذي (٣٨٥٤) دون ذكر قصة الزحف وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٥٧٣) عن أنس.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (٢٢) عن أبي ثابت بن شداد بن أوس رضي الله عنه.

لمعلقتان في خيط»^(١). وكان سعد ابن أبي وقاص مجاب الدعوة فكذب عليه رجل فقال: «اللهم إن كان كاذبا فاعم بصره وأطل عمره وعرضه للفتن فأصاب الرجل ذلك كله فكان يتعرض للجواري في السكك ويقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد»^(٢) ودعا علي رجل سمعه يشتم عليا فما برح من مكانه حتى جاء بعير ناد فخبطه بيديه ورجليه حتى قتله^(٣).

و نازعت امرأة سعيد بن زيد في أرض له فادعت أنه أخذ منها أرضها فقال: «اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في أرضها فعميت فينما هي ذات ليلة تمشي في أرضها إذ وقعت في بئر فيها فماتت»^(٤).

وكان العلاء بن الحضرمي في سرية فعطشوا فصلي ثم قال اللهم يا عليم يا حكيم يا علي يا عظيم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ ولا تجعل لأحد فيه نصيبا غيرنا فساروا قليلا فوجدوا نهرا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملأوا أوعيتهم ثم ساروا فرجع بعض أصحابه إلى موضع النهر فلم ير شيئا وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط^(٥).

(١) صحيح بشواهده: رواه الحاكم (٢٤٠٩) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الكبرى (١٢٥٤٩) وأبو نعيم في الحلية (١٠٩/١) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وانظر: فقه السيرة تحقيق الألباني.

(٢) رواه البخاري (٧٢٢) وابن حبان (١٨٥٩) وأبو يعلى (٦٩٣) والبخاري (١٠٦٢) والبيهقي في الكبرى (٢٣١٣) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣٠٧) وابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (٣٦) والهيثمي في المجمع (١٤٨٥٥) وقال رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه مسلم (١٦١٠) عن عروة بن الزبير رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (٤٠) وأحمد في الزهد (١٦٩/١-١٧٠) عن سهم بن منجاب.

وشكى إلى أنس بن مالك عطش أرض له بالبصرة فتوضأ وخرج إلى البرية وصلي ركعتين ودعا فجاء المطر فسقى أرضه ولم يجاوز المطر أرضه إلا يسيراً^(١).

واحترقت خصاص بالبصرة في زمن أبي موسى الأشعري وبقي في وسطها خص لم يحترق فقال أبو موسى لصاحب الخص ما بال خصك لم يحترق فقال إني أقسمت على ربي أن لا يحرقه فقال أبو موسى إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي رِجَالٌ طُلُسُ رُءُوسِهِمْ، دُنُسُ ثِيَابِهِمْ، لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ لَا يَبْرَهُمْ»^(٢).

وكان أبو مسلم الخولاني مشهوراً بإجابة الدعوة فكان يمر به الضب فيقول له الصبيان ادع الله لنا أن يحبس علينا هذا الضب فيدعو الله فيحبسه حتى يأخذه بأيديهم^(٣).

ودعا على امرأة أفسدت عليه عشرة امرأة له بذهاب بصرها فذهب بصرها في الحال فجاءته فجعلت تناشده بالله وتطلب من الله فرحمها ودعا الله تعالى فرد عليها بصرها ورجعت امرأته إلى حالها معه^(٤).

وكذب رجل على مطرف ابن عبد الله بن الشخير فقال له إن كنت كاذباً فعجل

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (٤٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء (٤٢) وإسناده ضعيف.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١٢٩/٢) وابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (٨٤) بلفظ «الظبي وليس الضب».

(٤) رواه ابن حبان (٥٧٧) ورواه أبو نعيم في الحلية (١٢٩/٢، ١٣٠) وابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (٨٥).

وقال شعيب الأرناؤوط: في تحقيقه لصحيح ابن حبان: حديث (٥٧٧) إسناده جيد.

الله حتفك فمات الرجل مكانه^(١). وكان رجل من الخوارج يغشي مجلس الحسن البصري فيؤذيهم فلما ازداد أذاه قال الحسن اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت فخر الرجل من قامته فما حمل إلى أهله إلا ميتا على سرير^(٢).

وكان صلة بن أشيم في سرية فذهبت بغلته بثقلها وارتحل الناس فقام يصلي فقال اللهم إني أقسم عليك أن ترد على بغلتي وثقلها فجاءت حتى قامت بين يديه^(٣).

وكان مرة في برية فقراً فاجاع فاستطعم الله وجبة خلفه فإذا هو بثوب أو منديل فيه دوخلة رطب طري فأكل منه وبقي الثوب عند امرأته معاذة العدوية وكانت من الصالحات^(٤).

وكان محمد بن المنكدر في غزاة فقال له رجل من رفقاءه اشتهي رطباً جنياً فقال ابن المنكدر استطعموا الله يطعمكم فإنه القادر فدعا القوم فلم يسيروا إلا قليلاً حتى رأوا مكتلاً مخيلاً فإذا هو خير رطب فقال بعض القوم لو كان عسلاً فقال ابن المنكدر إن الذي أطعمكم رطباً جنياً ها هنا قادر على أن يطعمكم عسلاً فاستطعموه فدعوا فساروا قليلاً فوجدوا ظرف عسل على الطريق فنزلوا فأكلوا^(٥).

وكان حبيب العجمي أبو محمد معروفًا بإجابة الدعوة دعا لغلام أقرع الرأس وجعل يبكي ويمسح بدموعه رأس الغلام فما قام حتى اسود رأسه وعاد كأحسن

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (٨٩).

(٢) المرجع السابق رقم (٩٣).

(٣) المرجع السابق رقم (٥٥).

(٤) المرجع السابق رقم (٥٦).

(٥) المرجع السابق رقم (٦٧).

الناس شعرا^(١)، وأوتي برجل زمن في محمل فدعا له فقام الرجل على رجليه فحمل محمله على عنقه ورجع إلى عياله^(٢). واشتري في زمن مجاعة طعاما كثيرا فتصدق به على المساكين ثم خاط أكيسة فوضعها تحت فراشه ثم دعا الله تعالى فجاء أصحاب الطعام يطلبون ثمنه فأخرج تلك الأكيسة فإذا هي مملوءة دراهم فوزنها فإذا هي قدر حقوقهم فدفعها إليهم^(٣).

وكان رجل يعث به كثيرا فدعا عليه حبيب فبرص^(٤). وكان مرة عند مالك بن دينار فجاء رجل فأغلظ لمالك من أجل دراهم قسمها مالك فلما طال ذلك من أمره رفع حبيب يده إلى السماء فقال اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت فسقط الرجل على وجهه ميتا^(٥).

وخرج قوم في غزاة في سبيل الله وكان لبعضهم حمار فمات وارتحل أصحابه فقام فتوضأ وصلي وقال اللهم إني خرجت مجاهدا في سبيلك وابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور فأحي لي حماري فقام إلى الحمار فضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فركبه ولحق أصحابه ثم باع الحمار بعد ذلك بالكوفة^(٦).

وخرجت سرية في سبيل الله فأصابهم برد شديد حتى كادوا أن يهلكوا فدعوا الله

(١) المرجع السابق رقم (٩٦).

(٢) المرجع السابق رقم (٩٧).

(٣) المرجع السابق رقم (٩٩).

(٤) المرجع السابق رقم (١٢٤).

(٥) المرجع السابق رقم (٩٥)، ولكن الدعاء ليس لحبيب وإنما هم لمالك نفسه.

(٦) المرجع السابق رقم (٤٩).

تعالى وإلي جانبهم شجرة عظيمة فإذا هي تلتهب نارا فجففوا ثيابهم ودفنوا بها حتى طلعت عليهم الشمس فانصرفوا وردت الشجرة إلى هيئتها^(١).

وخرج أبو قلابة صائما حاجا فتقدم أصحابه في يوم صائف فأصابه عطش شديد فقال اللهم إنك قادر على أن تذهب عطشي من غير فطر فأظلمت سحابة فأمطرت عليه حتى بليت ثوبه وذهب العطش عنه فنزل فحوض حياضا فملاها فأنهيه إليه أصحابه فشربوا وما أصاب أصحابه من ذلك المطر شيء^(٢).

ومثل هذا كثير جدا ويطول استقصاؤه وأكثر من كان مجاب الدعوة من السلف كان يصبر على البلاء ويختار ثوابه ولا يدعو لنفسه بالفرج منه.

وقد روى أن سعد بن أبي وقاص كان يدعو للناس لمعرفة لهم بإجابة الدعوة فقليل له لو دعوت الله لبصرك وكان قد أضر فقال قضاء الله أحب إلى من بصري.

وابتلي بعضهم بالجذام فقليل له بلغنا أنك تعرف اسم الله الأعظم فلو سألته أن يكشف ما بك فقال يا ابن أخي إنه هو الذي ابتلاني وأنا أكره أن أردّه.

وقيل لإبراهيم التيمي وهو في سجن الحجاج لو دعوت الله تعالى فقال أكره أن أدعوه أن يفرج عني مالي فيه أجر،

وكذلك سعيد بن جبير صبر على أذي الحجاج حتى قتله وكان مجاب الدعوة كان له ديك يقوم بالليل بصياحه إلى الصلاة فلم يصح ليلة في وقته فلم يقم سعيد إلى الصلاة فشق عليه فقال ماله قطع الله صوته فما صاح الديك بعد ذلك فقالت له أمه

(١) المرجع السابق رقم (١١٠).

(٢) المرجع السابق رقم (١٣١).

يابني لا تدع بعد هذا على شيء.

وذكر لرابعة رجل له منزلة عند الله وهو يقتات بما يلتقطه من المنبذات على المزابل فقال رجل ما ضر هذا أن يدعو الله أن يغنيه عن هذا فقالت رابعة إن أولياء الله إذا قضى الله لهم قضاء لم يستسخطوه.

وكان حيوة بن شريح ضيق العيش جدا فقبل له لو دعوت الله أن يوسع عليك فأخذ حصاة من الأرض فقال اللهم اجعلها ذهبا فصارت تبرة في كفه وقال ما خير في الدنيا إلا الآخرة ثم قال هو أعلم بما يصلح عباده.

وربما دعا المؤمن المجاب الدعوة بما يعلم الله الخيرة له في غيره قال فلا يجيبه إلى سؤاله ويعوضه مما هو خير له إما في الدنيا أو في الآخرة.

وقد تقدم في حديث أنس المرفوع: إن الله يقول «وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ يُرِيدُ الْبَابَ مِنَ الْعِبَادَةِ فَأَكْفَهُ عَنْهُ لَيْلًا يَدْخُلُهُ الْعُجْبُ فَيُفْسِدُهُ ذَلِكَ» (١). أهـ.

قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، والله أعلم.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ضعيف جداً: البغوي في شرح السنة (١/١٤٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (١٢١) وأبونعيم في الحلية (٨/٣١٨) وابن أبي الدنيا في الأولياء (١) وأنظر: الضعيفة (١٧٧٥).

[٣٩]

{ رفع الحرج في الإسلام }

عن ابن عباس (١) رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» حديث حسن (٢) رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

والحديث صححه ابن حبان وكذلك الألباني في الإرواء برقم (٨٢).

معنى قوله: «تجاوز لي» بمعنى عفا أو تسامح أو عذر إكراماً من الله ﷻ لمقام نبينا ﷺ.

وقوله ﷺ: «عن أمتي» المراد بذلك أمة الإجابة لأن أمة تنقسم إلى أمة دعوة وأمة إجابة.

(١) سبقت ترجمته عند الحديث (١٩).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٠٤٥) وابن حبان (٧٢١٩) والدارقطني (٣٣) والبيهقي في الكبرى (١٤٨٧١) والطبراني في الكبير (١١٢٧٤) والأوسط (٨٢٧٣) والصغير (٧٦٥) وصححه الألباني: في الإرواء (٨٢) والحديث جاء عن عدد من الصحابة منهم: أبو ذر وابن عمر وعقبة بن عامر وثوبان وأم الدرداء وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، وكلها لا تخلو من مقال. أنظر: جامع العلوم (ص ٥٠٦-٥٠٨).

فائدة: قال الطوفي في التعيين (ص ٣٢٢): هذا الحديث عام النفع عظيم الوقع وهو يصلح أن يسمى نصف الشريعة.

وقوله ﷺ: «الخطأ» المراد به ما يرتكب به الإنسان عملاً بغير عمد أتى عملاً من الأعمال من غير تعمد فهذا خطأ.

والمراد بقوله: «النسيان» يفسره العلماء بأنه ذهول القلب عن شيء معلوم من قبل.

«وما استكروها عليه» الإكراه هو أن يكره الإنسان على عمل محرم ولا يستطيع دفعه بمعنى أن يكون ملزماً مجبوراً لذلك أمثلة كثيرة.

هذه الثلاثة الأعداء الخطأ والنسيان والإكراه لها شواهد من كلام الله ﷻ قال جل وعلا: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٢٨٦].

وذلك أن هذه الآية حينما نزلت ما قبلها من الآيات ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْتُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ٢٨٤] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: كلفنا من الأعمال من صلاة وجهاد إلا هذه الآية ما استطعناها لأن فيها أن الشخص وإن هم شيئاً بقلبه يحاسب عليه فجاء الصحابة وجثوا على الركب أمام النبي ﷺ وفيهم من الأسى والحزن ما الله به عليم وهذا صدق منهم فتأمل كيف يجعل الله ﷻ تفريج للصادقين فخطب النبي ﷺ أمامهم وقال: «تريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا: سمعنا وأطعنا فقالوا: سمعنا وأطعنا».

وكانت نفوسهم مهياة لتلقي ما جاء عن الله أو عن رسول الله ﷺ لأنهم يريدون الخير رضا الله والجنة فنزلت الآية بعدها: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾ الآيات إلى أن قال: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾ قال الله: «قد فعلت» ﴿وَأَعْفِرْ لَنَا﴾ قال الله: «قد فعلت» ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾ قال الله: «قد فعلت» (١).

فليس التفريط في النوم وإنما التفريط في اليقظة وليس التفريط في النسيان لكن التفريط في الذكر ليس التفريط في الخطأ وإنما التفريط في العمد.

وهكذا يقول ﷺ: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْمُواْءَ آبَاءَهُمْ فَاحْنُواْكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب ٥] هذا ما يتعلق بأمر الخطأ وكذلك النسيان فالحرج والإثم مرفوع عن الناسي وعن المخطئ هذا فيما بين العبد وربّه ﷻ لأن حقوق الله مبنية على المسامحة أما الأخطاء والنسيان في حقوق البشر فمبنية على المشاحة فلا يقبل هذا لو أن شخصاً أراد أن يقتل علياً الذي هو عروة فقتل زيداً خطأً أيؤاخذ؟ نعم يؤاخذ من حيث الترتيبات الشرعية من حيث الأحكام الوضعية لا من حيث الأحكام التكليفية الحكم التكليفي متفني بالخطأ والنسيان رجل صلى الظهر ولم يقرأ سورة الفاتحة من حيث التكليف هو معذور ومرفوع عنه الإثم لكن هل صحت صلاته؟ لا لماذا؟ لأن هذا حكم تكليفي حكم وضعي جعله الله ﷻ أمانة وعلامة لصحة العبادة أو بطلانها وهكذا كما مثلنا فيمن قتل أو فيمن أتلف مال الغير مخطئاً ناسياً فإنه يؤاخذ بذلك فيكون معنى الحديث إن «الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان».

(١) رواه مسلم (١٢٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبقلم (١٢٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أي فيما كان من حقوق الله أو فيما كان من الأحكام التكليفية فإن الله ﷻ يعفو عن هذا لكن شخص فعل من ذلك شيئاً يوجب كفارة أو دية وما شابهها فإنه يؤخذ أما ما يتعلق بأمر الإكراه فالمكره هو المغلوب على أمره رجل صائم فجاءه من هو أقوى منه أو نفران فكتفاه وجعله يفطر غضباً هنا مكره قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل ١٠٦].

فلو أكره الشخص على سب الله وهو يحاول ما استطاع من الدفع ولكن إذا لم يستطع وضعف هنا يكون مكرهاً فلا يؤخذ بما قاله كما في قصة عمار^(١) وهكذا وغيره من الذين استكروها وأما حديث: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُطِّعَتْ وَحُرِّقَتْ»^(٢) فالمراد بذلك لا تشرك بالله الشرك القلبي.

هنا إخواني عدة فوائد أحببت أن أنقلها كلها حتى لا يفوتني منها شيء حول هذا الحديث المبارك وهو من كلام الشيخ العثيمين رحمة الله عليه قال:

من فوائد هذا الحديث:

- ١ - سعة رحمة الله ﷻ ولطفه بعباده حيث رفع عليهم الإثم إذا صدرت عنهم المعصية على هذه الوجوه الثلاثة ولو شاء الله لعاقب من خالف أمره على كل حال.
- ٢ - أن جميع المحرمات في العبادات وغير العبادات إذا فعلها الإنسان جاهلاً

(١) قصة عمار بن ياسر رضي الله عنه رواها الحاكم (٣٣٦٢) وصححها والبيهقي في الكبرى (١٦٦٧٣) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٠)، وانظر: كتب التفسير عند الآية (١٠٦) من سورة النحل.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤٠٣٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٨) والبيهقي في الشعب (٥٥٨٩) وحسنه الألباني: المشكاة (٥٨٠) وصحيح الترغيب (٥٦٧) عن أبي الدرداء رضي الله عنه وعن غيره.

أو ناسياً أو مكرهاً فلا شيء عليه فيما يتعلق بحق الله أما حق آدمي فلا يعفى عنه من حيث الضمان وإن كان يعفى عنه من حيث الإثم فجميع المحرمات يرفع حكمها بهذه الأعدار وكأنه لم يفعلها ولا يستثنى من هذا شيء ولنضرب أمثلة:

رجل تكلم في الصلاة يظن أن هذا الكلام جائز فلا تبطل صلاته لأنه جاهل مخطئ ارتكب الإثم من غير قصد وهذا فيه نص خاص وهو أن معاوية بن الحكم رضي الله عنه دخل مع النبي ﷺ في الصلاة فسمع عاطساً عطس فحمد الله فقال له: يرحمك الله فرماه الناس بأبصارهم أي جعلوا ينظرون إليه نظر إنكار فقال الرجل: واثكل أمياه، وهذه كلمة توجع فجعلوا يضربون على أفخاذهم يسكتونه فسكت فلما انتهت الصلاة دعاه النبي ﷺ قال معاوية: فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً أحسن تعليماً منه ما كهرني وما شتمني ولا ضربني وإنما قال: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أخرجه مسلم ^(١).

وجه الدلالة من هذا الحديث أنه لم يأمره بالإعادة ولو كانت كذلك أي واجبة لأمره بها كما أمر الذي لم يطمئن في صلاته أن يعيد صلاته.

مثال آخر: رجل صلى فاستأذن عليه رجل الباب أي قرع الباب فقال: تفضل نسي أنه في الصلاة فلا تبطل صلاته لأنه لم يتعمد الإثم.

مثال آخر: رجل أكره على أن يأكل في نهار رمضان فأكل فلا يفسد صومه لأنه مكره لكن يشترط في الإكراه أن يكون المكره قادراً على تنفيذ ما أكره به أما أن يكون غير قادر كأن يقول لشخص: يا فلان كل هذا التمر وإن لم تأكل ضربتك وهو أضعف

(١) رواه مسلم (٥٣٧) وأحمد (٢٣٨١٣) وموضع وأبو داود (٩٣٠) والنسائي (١٢١٨) عن معاوية بن الحكم.

من الصائم والصائم يستطيع أن يأخذه بيد واحدة ويقذفه فهذا ليس بقادر على التخلص لأن في بعض الأحيان يحلق لحيته ما لك ؟ قال: والله المرأة بمعنى أنه مجبور من قبل المرأة هذا ما يسمى إجبار واحد مرة حلق لحيته وهو يشتغل في الفرزة في ذي السفال ما لك ؟

قال: المندوب قال لي: لو ما تحلق اللحية ولا نعطيك راكب فهذا لا يسمى إكراهاً الإكراه هو أن يكون الشخص مهدد ممن هو أقوى منه إما بقتل أو سجن أو ضرب.

مثال رابع: صائم أكل يظن الشمس غربت هذا خطأ ثم تبين أنها لم تغرب كمن سمع أذاناً وظنه أذان بلده فأكل ثم تبين أنه لم يؤذن فيه ولم تغرب الشمس فليس عليه قضاء لأنه جاهل إذ لو علم أن الشمس باقية لم يأكل ولو ضرب على هذا لم يأكل، وقد جاء النص في هذه المسألة بعينها

فقد روت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنهم أفطروا في يوم غيم على عهد النبي ﷺ ثم طلعت الشمس ولم يأمرهم النبي ﷺ بالقضاء ^(١)، ولو كان القضاء واجباً عليهم لأمرهم به لوجوب الإبلاغ عليه ولو أمرهم به لكان في الشريعة وإذا كان من الشريعة فالشريعة محفوظة لا بد أن تنقل إلينا ولم تنقل فدل هذا على أنه لا يجب عليهم القضاء ومن العلماء من قال: إنه يجب القضاء استناداً إلى قول بعض الفقهاء وموقفنا من هذا القول أن نقول: إن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) رواه البخاري (١٨٥٨) وأحمد (٢٦٩٧٢) وأبو داود (٢٣٥٩) وابن ماجه (١٦٧٤) وغيرهم عن

أسماء بنت الصديق رضي الله عنها.

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿[النساء ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى ١٠] وحينئذ لا يبقى لأحد كلام.

مثال خامس: رجل جامع زوجته في نهار رمضان وهو يعلم أن الجماع حرام لكن لا يعلم أن فيه كفارة فهذا تلزمه الكفارة لأنه غير معذور حيث انتهك حرمة رمضان وهو يعلم أن ذلك حرام ولهذا ألزم النبي ﷺ المجامع في نهار رمضان بالكفارة مع أنه لا يعلم وقصة هذا الرجل أنه أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت قال: «ما الذي أهلكك؟» قال: أتيت أهلي في نهار رمضان وأنا صائم... الحديث معروف في البخاري ومسلم (١).

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ أوجب عليه الكفارة مع أنه كان لا يدري أن فيه كفارة.

مثال سادس: رجل زنا يحسب أن الزنا حلال لأنه عاش في بلاد غير المسلمين وهو حديث عهد بإسلام فلا حد عليه لأنه أسلم حديثاً ولم يدر أن الزنا حرام فقوله مقبول بخلاف ما لو عاش بين المسلمين فيقام عليه الحد.

مثال سابع: رجل زنا وهو يعلم أن الزنا حرام ولكن لا يدري أن الزاني المحصن عليه الرجم وقال: أنه لو علم أن عليه الرجم ما زنا فإنه يرجم، إذاً الجهل بما يترتب على الفعل ليس بعذر وإنما العذر إذاً جهل الحكم، ذكرنا أولاً أن هذا في

(١) رواه البخاري (١٨٣٤، ١٨٣٥، ٢٤٦٠، ٥٠٥٣، ٥٧٣٧، ٥٨١٢، ٦٣٣١، ٦٣٣٢، ٦٣٣٣، ٦٤٣٥)

ومسلم (١١١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وجاء عن عائشة رضي الله عنها في البخاري برقم (١٨٣٣، ٦٤٣٦) ومسلم برقم (١١١٢).

حق الله أما في حق المخلوق فلا يسقط الضمان وإن سقط الإثم.

مثال ذلك: رجل اجتر شاة ظنها شاته فذكاها وأكلها فتبين أنها لغيره فإنه يضمنها لأن هذا حق آدمي وحقوق الآدمي مبنية على المشاحة ويسقط عنه الإثم لأنه غير متعمد لأخذ مال غيره، وهكذا فيمن صلى بغير ظهور ثم تذكر بعد ذلك يسقط عنه الإثم ولا تصح صلاته فيعيد الصلاة لأن هذا حكم وضعي.

مثال آخر: رجل أكره على قتل إنسان وقال له المكروه: إما أن تقتل فلان أو أقتلك وهو يقدر أن يقتله فقتله فإن القاتل المكروه يقتل لأن حق الآدمي لا يعذر فيه بالإكراه فإذا قال: أنا أعلم أنني إذا لم أقتل الرجل قتلتني فنقول: هل لك الحق أن تبقي على نفسك بإهلاك غيرك ليس لك حق ولذلك إذا ارتفع قتل هذا المكروه عنك فإننا لا نرفع عنك القتل بمقتضى الشريعة الإسلامية.

مثال ثامن: جاء رجل قوي شديد وأخذ شخصاً بالغاً عاقلاً وأمسك به وضرب به إنسان حتى مات المضروب فإن المضروب به لا يضمن لأنه ليس له تصرف فهذا كالألة فالضمان على الذي أمسكه وضرب به المقتول. الظاهر أن الواجبات تسقط بالجهل ما لم يمكن تداركها في الوقت ويؤيد هذا أن الحديث الذي ذكرناه لم يأمر فيه النبي ﷺ هذا الرجل بقضاء ما مضى من صلاته وأمره بقضاء الصلاة الحاضرة لأنه يمكن تداركها ولأنه الآن هو مطالب بها ولأن وقتها باقٍ.

ويتفرع على هذا مسألة مهمة: كثير من البادية لا يعرفون أن المرأة إذا حاضت مبكرة لزمها الصيام ويظنون أن المرأة لا يلزمها الصيام إلا إذا تم لها خمسة عشر سنة وهي قد حاضت في سن إحدى عشرة سنة مثلاً أربع سنين لم

ويقول أبو الدرداء: تصم فهل نلزمها بالقضاء الجواب: لا نلزمها بالقضاء لأن هذه جاهلة ولم تقصر ولأنه ليس عندها من تسأله ثم إن أهلها يقولون لها أنت صغيرة ليس عليك شيء وكذلك لو كانت لا تصلي فمثل هؤلاء نعذرهم لأن الواجبات عمومًا لا تلزم إلا بالعلم؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٥].

نعم إن كان مقصرًا فنلزمه مثل أن يقول رجل عامي لآخر مثله: يا فلان يجب عليك كذا وكذا فقال الآخر: لا يجب قال له: أسأل العلماء فقال: لا أسأل العلماء قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِّلَ لَكُمُ تَسْوُكُومٌ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ بُدِّلَ لَكُمُ عَفَاٌ وَاللَّهُ عَفُوٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة ١٠١].

فهذا نقول: إنه مقصر ونلزمه أيضًا إذا كان الواجب الذي تركه جهلاً يتعلق بحق الغير كالزكاة مثلاً كرجل مضى عليه سنوات وهو لا يزكي والمال الذي عنده زكوي لكن لا يدري أن فيه الزكاة فيلزمه أداء ما مضى لأن الزكاة ليس لها وقت محدد تفوت بفواته فلو أخرها عمدًا إلى خمس سنوات لزمه أن يزكي فهذا نلزمه بالزكاة وإن كان جاهلاً لتعلق حق الزكاة بها وهو حق آدمي لكن لا نؤثمه لأنه كان جاهلاً، فالمهم أن هذا الحديث مؤيد بالقرآن الكريم كما سبق وينبغي للإنسان أن ينظر إلى الحوادث التي تقع عن نسيان أو جهل أو إكراه نظرة حازم ونظرة راحم وذلك بأن يلزم الإنسان إذا علم أن فيه تقصيرًا ونظرة راحم إذا علم أنه مقصر لكنه جاهل لا يدري عن شيء وكان شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمته الله يقول: في المسائل الخلافية إذا كان الإنسان قد فعل وانتهى فلا تعامله بالأشد بل انظر الأخف وعامله به لأنه انتهى ولكن انه أن يفعل ذلك مرة أخرى،

والله الموفق، وصلى وسلم على محمد وآله.

[٤٠]

{ الدنيا وسيلة ومزرعة للآخرة }

عن ابن عمر ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صَحْتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٢) فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ.

ابن عمر هو عبد الله أبو عبد الرحمن الصحابي الجليل المعروف رضي الله تعالى عنهما يحكي واقعة ومشهداً وموعظة ونصيحة وجهت له من فم المعصوم ﷺ قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَمْسَكَ بِكَتْفِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مِنَ الْأَمَامِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ مَقَالََةَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ الشَّخْصَ إِذَا أَمْسَكَ فِي بَعْضِ أَطْرَافِهِ يَكُونُ شَدِيدَ الْإِتْبَاهِ فَقَالَ لَهُ:

(١) سبقت ترجمته عند الحديث (٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٥٣) وَرَوَاهُ وَأَحْمَدُ (٤٧٦٤، ٥٠٠٢، ٦١٥٦) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٣٣٣) وَابْنُ مَاجَةَ (٤١١٤) بِزِيَادَةٍ وَهِيَ: «وَعَدَ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ».

فَائِدَةٌ: قَالَ الطُّوْفِيُّ فِي التَّعْيِينِ (ص ٣٢٩): هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي الْفَرَاغِ عَنِ الدُّنْيَا، وَالزَّهْدِ فِيهَا، وَالرَّغْبَةِ عَنْهَا، وَالْإِحْتِقَارِ لَهَا وَالْقَنَاعَةِ فِيهَا بِالْبُلُغَةِ.

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَامِعِ الْعُلُومِ (ص ٣٧٩): وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي قَصْرِ الْأَمَلِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ الدُّنْيَا وَطَنًا وَمَسْكَنًا فَيَطْمَئِنُّ فِيهَا وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَى جَنَاحٍ سَفَرٍ يَعْنِي جَهَازَهُ لِلرَّحِيلِ وَقَدْ اتَّفَقَتْ عَلَى ذَلِكَ وَصَايَا الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ.

«كن في الدنيا كأنك غريب» والغريب هو الذي لم يتخذ المكان الذي نزل فيه سكناً وقراراً، وعابر سبيل كأنه - والله أعلم - أكمل زهداً من الغريب.

فالغريب ربما يجلس المجلس وكذا بخلاف العابر فإنه على طول والمراد بذلك أن النبي ﷺ يوجه ابن عمر وغير ابن عمر من أمته إلى عدم الغرور بهذه الدنيا.

فإن الله ﷻ يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥ / الأنبياء: ٣٥ /

العنكبوت: ٥٧].

ويقول سبحانه: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦].

بمعنى هل جنتكم عندما اغترتكم هذه الدنيا.

قال ابن القيم كما في الفوائد^(١): كل من اغتر بالدنيا دلّ ذلك على خبل أو ضعف في عقله.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(٢): فيكون المال عنده (أي عند العبد) يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته.

الآن من الناس من يجعل غايته المال ولا يرتاح إلا بالمال يظن أنه سوف يسعد بهذا المال.

(١) أنظر: الفوائد (٩٤/١) بمعناه، وقال في الجواب الكافي (٢٢/١): وأعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا وعاجلها فأثرها على الآخرة ورضي بها من الآخرة.. وهذا من أعظم تلبيس الشيطان وتسويله والبهايم العجم أعقل من هؤلاء.

(٢) أنظر: الفتاوى الكبرى (١٨٢/٥).

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد

فالنبي ﷺ يبين حقارة هذه الدنيا والله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقْلَسْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَنْضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة ٣٨].

وفي آية أخرى: ﴿مَتَّعْ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران ١٩٧].

وقال الله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَتَجَبَ الْكُفَّارُ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرِيَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد ٢٠]. وقال ﷺ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران ١٨٥]. والنبي ﷺ يقول: «وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِزُنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا» (١).

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أَرَادَا

يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله خير ما استفادَا

وحديث رواه مسلم يقول فيه النبي ﷺ: «مَا مَثُلَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ؟» (٢).

وهكذا رأى النبي ﷺ رجلاً يرمم حائطه فقال: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا وَالِدُ الدُّنْيَا

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٠) وابن ماجه (٤١١٠) واللفظ له والحاكم (٧٨٤٧) وصححه وأنظر:

صحيح الجامع (٥٢٩٢، ٦) وصحيح الترغيب (٣٢٤٠) والصحيحة (٦٨٦). عن سهل بن سعد.

(٢) صحيح: وقد سبق.

إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ فِي فِيءِ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(١).

ولله در من قال:

أحلام نوم أو كظل زائل إن اليب بمثلها لا يخدع

فالدنيا ليست بدار صفاء وسرور دائم بل صفوها محفوف بكدرين كما يقال
وسرورها محفوف بحزنين فدائمًا الشخص في كدر وفي أحزان فرحة ويعقبها
ترحة وهكذا.

لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بأكدار الموت والهزم

وقال آخر:

حكم المنية للبرية ساري ما هذه الدنيا بدار قرار
طبت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقدار والأكدار
ومكلف الأيام غير طباعها متطلب في الماء جذوة نار

وكم من آيات وأحاديث في ذم الدنيا ولا تدم الدنيا عمومًا إلا فيما يشغل
عن الله وذكره وإلا فهي مزرعة الآخرة باستطاعة الشخص أن يوطن نفسه على فعل ما
فيها من الخير لطاعة الله ﷻ إذا أعطي المال أنفق في وجوه الخير إذا أعطي الجاه
يشفع لعباد الله يفك كربهم «المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي
حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ

(١) صحيح: رواه أحمد (٤٢٠٨) والترمذي (٢٣٧٧) وابن ماجه (٤١٠٩) والحاكم (٧٨٥٩)

عن ابن مسعود ورواه أحمد (٢٧٤٤) وابن حبان (٦٣٥٢) والحاكم (٧٨٥٨) وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وانظر: صحيح الجامع (٥٦٦٨، ٥٦٦٩) والصحيحة (٤٣٨، ٤٣٩).

كُتِبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وقال ﷺ «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (٢).

فأثر ابن عمر معناه أنك لا تؤخر عمل اليوم إلى غد ولا تغتر بهذه الدنيا واعلم أنك سوف ترحل منها وقال بعضهم: اعمل لديناك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، والنبى ﷺ إنما ضرب بهذا مثال قال: «كأنك غريب أو عابر سبيل» وفي حديث آخر يقول النبى ﷺ:

«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ» (٣) فتأثر ابن عمر رضي الله عنهما بهذا الحديث أيما تأثر فكان يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك».

كن على أتم الاستعداد خروجا وارتحالا من هذه الدنيا فإياك أن يفاجئك الموت ولو كان عندك ما عندك مال وثناء والدهاء والعسكر فقد قيل:

لا سابغات ولا جأواء بأسلة تقي المنون لدى استيفاء آجال

فهذا عظيم فيما يصلح الأحوال والقلوب وما يسعد المرء وهو عدم تعلقه بهذه الدنيا وإن أعطيت منها فإياك أن تفرح إذا أقبلت، وتحزن إذا أدبرت، إياك أن تجعلها

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣١٠، ٦٥٥١) ومسلم (٢٥٨٠) ورواه أحمد (٥٦٤٦) وأبو داود (٤٨٩٣) والترمذي (١٤٢٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم: وقد سبق برقم (٣٦) من الأربعين النووية.

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٧٨٤٦) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب (١٠٢٤٨).

وانظر: صحيح الجامع (١٠٧٧) وصحيح الترغيب (٣٣٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

في قلبك أو على رأسك ولكن إن أتت علمت أن هذا ابتلاء وإن ذهبت فهو ابتلاء كما قال سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿وَحَشِرْ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٧ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل ١٧ - ١٩].

وهكذا عبد الرحمن بن عوف [أتى بطعام وكان صائما «وقد كان تاجرا عنده من أصناف الثرى والمال أعطاه الله فلما قدموا له الطعام الشهي تذكر أصحابه وأحبابه وخلائقه» فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه وأراه قال وقتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام^(١). فينبغي للشخص بل يجب عليه أن يعلم أن هذه الدنيا إنما هي دار عبور يعبر فيها فقط إلى دار أخرى والدار الأخرى هي الجنة التي أخرج منها هو كان في الجنة أصلاً فجاء إلى هذه الدنيا فكأنه غريب بل هو غريب أنت لو ذهبت من هنا إلى صنعاء أنت غريب في صنعاء فنحن الأصل أننا أتينا من الجنة ولكن الله المستعان على أنه كان الواجب على الشخص أن يتذكر:

(١) رواه البخاري (١٢١٥، ١٢١٦، ٣٨١٩) عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن رضي الله عنه «أتى بطعام... فذكر الحديث، وكان مصعب رضي الله عنه قد قتل يوم أحد يقول خباب بن الارت رضي الله عنه هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله ومنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئا كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمره كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه فقال لنا النبي ﷺ (غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإذخر). أو قال (ألقوا على رجله الإذخر). ومنا من قد أيعنت له ثمرته فهو يهدبها (يجتنيها ويقطفه)

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحينئذ أبداً لأول منزل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
فكان الواجب أن نعلم هذا يقيناً.

وابن القيم صور رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى هذا الموقف - وقد ذكره ابن رجب^(١) - في قصيدته النونية فقال:

فحيّ على جنات عدنٍ فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي لها أضحت الأعداء فينا تحكم^(٢)

وقد كان عطاء السليمي رَحْمَةُ اللَّهِ يَقُول: «اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم في القبر وحشتي وارحم موقفي غداً بين يديك»^(٣).

دخل رجل على أبي ذر أين متاعكم فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر أين متاعكم قال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا قال: انه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه^(٤).

ودخلوا على بعض الصالحين فقلبوا بصرهم في بيته فقالوا له: إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحل فقال: مرتحل لا ولكن أطرد طرداً^(٥).

(١) أنظر: جامع العلو والحكم (ص/ ٣٨٠).

(٢) أنظر: حادي الأرواح (٧/ ١) وطريق الهجرتين (٩٢/ ١).

(٣) أنظر: جامع العلو والحكم (ص/ ٣٨١).

(٤) أنظر: شعب البيهقي (١٠٦٥١) وتأريخ دمشق (٢١١/ ٦٦) وجامع العلو والحكم (ص/ ٣٨٠).

(٥) أنظر: جامع العلو والحكم (ص/ ٣٨٠).

وفي البخاري كان علي بن أبي طالب يبكي ويقول: «إن الدنيا ترحلت مدبرة منذ أن خلق الله هذه الدنيا وهي في إدبار وإن الآخرة ترحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل»^(١).

وذكر صاحب الحلية أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد رحمته الله كان يقول: «إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها منها الظعن فكم عامر موثق عما قليل مخرب وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى»^(٢).

قال ابن رجب: وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولا وطنًا فينبغي للمؤمن أن لا يكون حاله فيها على أحد حالين: إما أن يكون كأنه غريب مقيم في بلد غربة همه التزود للرجوع إلى وطنه، أو يكون كأنه مسافر غير مقيم البتة بل هو ليله ونهاره يسير إلى بلد الإقامة فلهذا وصى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر أن يكون في الدنيا على أحد هذين الحالين:

فأحدهما: أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا كأنه غريب يتخيل الإقامة لكن في بلد غربة فهو غير متعلق القلب ببلد الغربة بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه وإنما هو مقيم في الدنيا ليقضي مرمة جهازه للرجوع إلى وطنه قال الفضيل بن عياض: المؤمن في الدنيا مهموم حزين همه مرمة جهازه ومن كان في الدنيا كذلك فلا هم له إلا في التزود فيما ينفعه عند عودته إلى وطنه فلا ينافس أهل الدنيا الذي هو غريب بينهم في

(١) أنظر: البخاري: كتب الرقاق: باب الأمل وطوله (٥/ص ٢٣٥٨).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/٢٩٢) وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا برقم (٢٤٢).

عزهم ولا يجزع من الذل عندهم قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها له شأن وللناس شأن لما خلق آدم سكن هو وزوجته الجنة ثم أهبط منها ووعد الرجوع إليها وصالح ذريتهما فالمؤمن أبداً يحن إلى وطنه الأول وحب الوطن من الإيمان وكما قيل:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

إلى أن قال رحمه الله تعالى: وما أحسن قول يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموتى نادماً مع الخاسرين.

الحال الثاني: أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا كأنه مسافر غير مقيم وإنما هو سائر في قطع منازل السفر ينتهي به السفر إلى آخره وهو الموت ومن كانت هذه حاله في الدنيا فمهمته تحصيل الزاد للسفر وليس له همة في الاستكثار من متاع الدنيا ولهذا أوصى النبي ﷺ جماعة من أصحابه أن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد راكب.

قيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة^(١).

قال الحسن: إنما أنت مجموعة أيام كلما مضى يوم مضى بعضك.

وقال: ابن آدم إنما أنت بين مطبين يرضعانك يرضعك النهار إلى الليل ويرضعك الليل إلى النهار حتى يسلمانك إلى الآخرة فمن أعظم منك يا ابن آدم خطراً.

وقال: الموت معقود في نواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم.

(١) أنظر: تاريخ الإسلام (١٦٩/٥٦) وفيه: «كيف أمسيت» بدل «كيف أصبحت».

قال داود الطائي: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بكم ذلك إلى آخر مشعرهم فإن استيقظت أن تقدم في كل يوم مرحلة زادًا لما بين يديها فافعل فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو والأمر أعجل من ذلك فتزود لسفرك واقض ما أنت قاض من أمرك وكأنك بالأمر قد بغتك،

وكتب بعض السلف إلى أخ له يقول: يا أخي يخيل إليك أنك مقيم بل أنت دائب السير تساق مع ذلك سوقًا حثيثًا الموت موجه إليك والدنيا تطوى من ورائك وما مضى من عمر فليس يكار عليك حتى يكر عليك يوم التغابن

سبيلك في الدنيا سبيل مسافر ولا بد من زاد لكل مسافر
ولا بد للإنسان من حمل عدة ولا سيما إن خاف صولة قاهر

وقال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وستته تهدم عمره وكيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله ويقوده حياته إلى موته.

قال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون فقال للرجل: أتعرف تفسيره؟ تقول: إنا لله عبد وإليه راجع فمن علم أنه لله عبد وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول ومن علم أنه مسؤول فليعدّ للسؤال جوابًا فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وبما بقي وفي هذا يقول بعضهم:

وإن امرأ قد سار ستين حجة إلى منهل من ورده لقريب

قال بعض العلماء: من كانت الليالي والأيام مطاياها سارت به وإن لم يسر وفي

هذا قال بعضهم:

وما هذه الأيام إلا مراحل يحث بها داع إلى الموت قاصد
وأعجب شيء لو تأملت أنها منازل تطوى والمسافر قاعد

وكتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد: فقد أحيط بك من كل جانب واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه وأن يكون آخر عهدك به والسلام.

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقاً كأنه إذا ما تخطته الأمانى باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب للرأس شامل
ترحل من الدنيا بزداد من التقى فعمرك أيام وهن قلائل^(١)

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) أنظر: جامع العلو والحكم (ص/ ٣٨٠-٣٨٣)

[٤١]

{ علامات الإيمان وعماده }

وعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص^(١) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جُئْتُ بِهِ» قال: حديث حسن صحيح^(٢) رويناه في

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم القرشي السهمي كنيته أبو محمد عند الأكثر ويقال أبو عبد الرحمن وقيل أبو نصير لم يكن بينه وبين أبيه في السن سوى إحدى عشرة سنة وأسلم قبل أبيه وقال فيهم النبي ﷺ نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله وكان غزير العلم مجتهدا في العبادة قال أبو هريرة ما كان أحد أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب. روى له الجماعة.

قال أحمد بن حنبل مات ليالي الحرة وكانت في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وقال في موضع آخر مات سنة خمس وستين وقال يحيى بن بكير مات سنة خمس وستين زاد غيره في ذي الحجة وقال في رواية أخرى مات سنة ثمان وستين وقيل مات سنة سبع وستين وهو بن اثنتين وسبعين وقال الليث بن سعد مات سنة ثمان وستين وقيل مات سنة ثلاث وسبعين وقيل سنة سبع وسبعين وقيل غير ذلك وكان موته بمكة وقيل بالطائف وقيل بمصر وقيل بفلسطين والله أعلم. الإصابة (١٩٢/٤) رقم (٤٨٥٠) وتهذيب الكمال (٣٥٧/١٥) رقم (٣٤٥٠).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٥) والبخاري في شرح السنة (١٠٤) وابن بطه في الإبانة (٣٨٧/١) والخطيب في تاريخ بغداد (٣٦٨/٤) وفي سنده نعيم بن حماد وهو ضعيف. وانظر: ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة للألباني (١٥) والمشكاة (١٦٧).

قال ابن رجب في جامع العلوم (ص/٣٨٧): صحيح هذا الحديث بعيد جدا من وجوه:

١- أنه حديث تفرد به نعيم بن حماد وهو ضعيف

٢- أنه قد اختلف على نعيم في إسناده

كتاب الحجة^(١) بإسناد صحيح. وليس كما قال فالحديث ضعيف كما سيأتي.

عبد الله بن عمرو بن العاص من الصحابة المكثرين حتى أن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: «لا أعلم أحداً يحفظ أكثر مني سوى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: فإنه كان يكتب وأنا لا أكتب»^(٢).

لكن المتعارف عليه أن أحاديث أبي هريرة أكثر من أحاديث عبد الله بن عمرو لسببين اثنين:

السبب الأول: أن عبد الله بن عمرو بن العاص انشغل بالعبادة فإنه كان يسرد الصوم يصوم يوماً ويفطر يوماً وكان يقوم الليل.

يقول عبد الله أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته (أي زوجة ابنه) فيسألها عن بعْلِها فتقول نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا (أي لم يضطجع معها في فراش) ولم يفتش لنا كنفنا (الكنف الستر والجانب وأرادت بهذا الكلام والذي قبله الكناية عن عدم جماعه لها) مذ أتيناها فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال «القني به». فلقيته بعد فقال «كيف تصوم». قلت كل يوم قال «وكيف تختم». قلت كل ليلة قال «صم في كل شهر ثلاثة وقرأ القرآن في كل شهر». قال قلت أطيق أكثر من

٣- أن في إسناده عقبه بن أوس السدوسي البصري قيل: مجهول، وقيل: أنه لم يسمع من عبد الله بن عمرو.

(١) قال ابن رجب في جامع العلوم (ص/ ٣٨٧): يريد بصاحب كتاب الحجة الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق وكتابه هذا هو (كتاب الحجة على تاركي سلوك طريق المحجة) يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة.

(٢) رواه البخاري (١١٣) وأحمد (٧٣٨٣) والترمذي (٢٦٦٨، ٣٨٤١) والنسائي في الكبرى (٥٨٥٣).

ذلك قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة». قلت أطيق أكثر من ذلك قال «أفطر يومين وصم يوما». قال قلت أطيق أكثر من ذلك قال «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعٍ لَيْالٍ مَرَّةً»^(١).

السبب الثاني: أن عبد الله بن عمرو وجد زاملتين يوم اليرموك من التوراة فانشغل بها انشغل بالإسرائيليات والعلماء لهم كلام ثلاثة أقوال في الإسرائيليات:

ما وافق شرعنا أو خالفه أو لم يخالف ولم يوافق فما لم يخالف أو يوافق فلا بأس أن نتحدث عن بني إسرائيل بلا حرج كما في الحديث: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»^(٢).

أما ما خالف فلا يجوز روايته وذكره إلا من باب التحذير والتنبيه والحق أن نبينا محمد ﷺ جاء بشريعة لو كان موسى وقومه وعيسى وقومه على قيد الحياة لما وسعهم إلا متابعة هذه الشريعة المباركة فإن هذا الدين هو الدين المرتضى ولقد رأى النبي ﷺ صحيفة من التوراة مع عمر بن الخطاب أصابها من بعض أهل الكتاب فغضب وقال: «أَمَتَهُوْكَوْنَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(٣).

(١) رواه البخاري (٤٧٦٥) والنسائي (٢٣٨٩).

(٢) في البخاري: وقد سبق.

(٣) حسن: رواه أحمد (١٥١٩٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٦٤٢١) والبيهقي في الشعب (١٧٦) عن جابر وحسنه الألباني: في الإرواء (١٥٨٩) والمشكاة (١٧٧).

والله ﷻ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[المائدة ٣].

أما حديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

هنا بين يدي بحث قوي للإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَحَبَّيتُ أَنْ أَذْكَرَهُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيْقٍ لِفَوَائِدِهِ وَغَزَارَتِهِ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

يريد بصاحب كتاب الحجة الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الزاهد نزيل دمشق وكتابه هذا هو كتاب (الحجة على تاركي سلوك طريق المحجة) يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة قال: وقد خرج هذا الحديث الحافظ أبو نعيم في كتاب الأربعين وشرط في أولها أن تكون من صحاح الأخبار وخيار الآثار مما أجمع الناقلون على عدالة ناقله وخرجته الأئمة في مسانيدهم هذا هو الحديث ثم خرجه الطبراني قال: حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن حاتم المراتي حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي «ونعيم بن حماد هذا شيخ البخاري كان صاحب سنة وله أقوال، لكن ضعيف الحفظ وإن كان من مشايخ البخاري وإن كان صلباً في السنة ويرد على المخالفين».

قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ لَا يَزِيغُ عَنْهُ»، ورواه الحافظ أبو بكر بن عاصم الأصبهاني عن ابن واره عن نعيم بن حماد قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال حدثنا بعض مشايخنا هشام وغيره عن ابن سيرين فذكره وليس عنده «لَا يَزِيغُ عَنْهُ» قال الحافظ أبو موسى المدني: هذا الحديث مختلف فيه على نعيم وقيل فيه حدثنا بعض

مشيختنا حدثنا هشام أو غيره.

قال ابن رجب قلت: تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه منها:

أنه حديث يتفرد به نعيم بن حماد المروزي ونعيم هذا وإن كان وثقه جماعة من الأئمة وخرج له البخاري فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظن لصلابته في السنة وتشدده في الرد على أهل الأهواء وكانوا ينسبونه إلى أنه يهيم ويشبه عليه في بعض الأحاديث فلما كثر عثورهم على مناكيره حكموا عليه بالضعف فروى صالح بن محمد الحافظ عن ابن معين أنه سئل عنه فقال: ليس بشيء ولكنه صاحب سنة،

قال صالح: كان يحدث من حفظه وعنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها.

وقال أبو داود عند نعيم نحو عشرين حديثاً عن النبي ﷺ ليس لها أصل.

وقال النسائي ضعيف وقال مرة: ليس بثقة، وقال مرة: قد كثر تفرد عنه الأئمة المعروفين في أحاديث كثيرة فصار في حد من لا يحتج به.

قال أبو زرعة الدمشقي: يصل أحاديث يوقفها الناس، يعني أنه يرفع الموقوفات.

قال أبو عروبة الحراني: هو مظلم الأمر.

قال أبو سعيد يونس بن يونس: روى أحاديث مناكير عن الثقات ونسبها آخرون إلى أنه كان يضع الحديث وأين كان أصحاب عبد الوهاب الثقفي وأصحاب هشام بن حسان وأصحاب ابن سيرين عن هذا الحديث حتى يتفرد به نعيم، «هذه الآفة الأولى علة نعيم بن حماد فإنه مختلف فيه ما بين مضعف ومجرح ومن ينسبه إلى الوضع والنعارة».

ومنها: أنه قد اختلف على نعيم في إسناده فروى عنه عن الثقفي عن هشام وروى عنه عن الثقفي قال حدثنا بعض مشيختنا هشام أو غيره فعلى هذه الرواية فيكون شيخ الثقفي غير معروف عينه، وروى عنه عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره فعلى هذه الرواية فالثقفي رواه عن شيخ مجهول وشيخه رواه عن غير معين فتزداد الجهالة في إسناده.

أي أن فيه جهالة شيخ غير معروف وكل واحدة من هذه توجب الضعف في الحديث.

ومنها (هذه علة ثالثة) أن في إسناده عقبة بن أوس السدوسي البصري ويقال فيه: يعقوب بن أوس أيضًا وقد خرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه حديثًا عن عبد الله بن عمرو ويقال: عبد الله بن عمرو وقد اضطرب في إسناده.

وقد وثقه العجلي وابن سعد وابن حبان وقال ابن خزيمة روى عنه ابن سيرين مع جلالته وقال ابن عبد البر: هو مجهول «أي عقبة بن أوس السدوسي».

وقال الغلابي في تاريخه: يزعمون أنه لم يسمع من عبد الله بن عمرو وإنما يقول: قال عبد الله بن عمرو فعلى هذا تكون روايته عن عبد الله بن عمرو منقطعة والله أعلم^(١).

إذًا الحديث ضعيف لكن على طريقة العلماء المتقدمين فإنهم يحكمون على الحديث بما يستحق إسناده من الحكم من حيث الصحة أو الضعف ثم يشرحونه.

(١) أنظر: جامع العلوم (ص ٣٨٧-٣٨٨).

الحديث من حيث المتن معناه صحيح «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

من هو محمد ﷺ وما الذي جاء به جاء بالحق وبالصدق قال سبحانه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الزمر ٨١] فالنبي ﷺ جاء بالحق.

يقول نبينا ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).
وفي رواية: «صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٢).

فيقول ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ» بمعنى لا يكون كامل الإيمان «حتى يكون هواه».

أي اتجاهه منهجه معتقده قلبه «تبعاً لما جئت به» أي من الشريعة الإسلامية في باب العقيدة والمنهج وفي باب السلوك والأخلاق في باب العبادة في باب المعاملات في أمور الشريعة لا بد أن يكون على حسب ما جاء به النبي ﷺ.

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

وعلى ذلك يكون الهوى على قسمين:

هوى محمود وهو ما كان فيه متابعة النبي ﷺ «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُسِرَ مَعَهُمْ».

(١) صحيح: رواه الحاكم (٤٢٢١) والبيهقي في الكبرى (٢٠٥٧١) والشهاب القضاعي في المسند

(١١٦٥)، وصححه الألباني أنظر: الصحيحة (٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٨٩٣٩) والبخاري في الأدب (٢٧٣) والبيهقي في الشعب (٧٩٧٨)، وصححه

الألباني أنظر: صحيح الجامع (٢٣٤٩) والصحيحة (٤٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كما جاء في حديث زر بن حبیش قال أتيت صفوان بن عسال المرادي فقلت: «هل سمعته يذكر في الهوى شيئاً؟ قال نعم كنا مع النبي ﷺ في سفر فبينما نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله ﷺ نحواً من صوته هاؤم وقلنا له ويحك اغضض من صوتك فإنك عند النبي ﷺ وقد نهيت عن هذا فقال: والله لا اغضض قال الأعرابي المرء يحب القوم ولما يلحق بهم قال النبي ﷺ «المرء مع من أحب» (١).

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا». قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قال أنس فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم (٢). لكنه يحبهم.

وأما الهوى المذموم فهو أن يكون الشخص تابعاً لشهوته وملاذه.

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَرَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الباقية ٢٣].

فهذا الهوى قتال وما سمي هوى إلا لأنه يهوي بصاحبه إلى جهنم كما قال ربنا ﷻ:

(١) حسن: رواه أحمد (١٨١١٦، ١٨١٢٠) والترمذي (٢٣٨٧، ٣٥٣٥، ٣٥٣٦)، وحسنه الألباني:

صحيح الترمذي (٢٨٠١) عن زر بن حبیش عن صفوان بن عسال رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٤٨٥، ٥٨١٥، ٥٨١٩، ٦٧٣٤) ومسلم (٢٦٣٩) عن أنس رضي الله عنه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ۚ نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [الفارقة ٨-١١].

فمن جعل هواه متابعاً لما جاء به النبي ﷺ هو السعيد وهو الفائز في الدنيا والآخرة ومن زاغت به الأهواء والعياذ بالله فإنه على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله ﷻ.
وصلّى الله وسلّم على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



[٤٢]

{ سعة مغفرة الله ﷻ }

هذا آخر حديث من أحاديث الأربعين النووية وهو حديث أنس أبي حمزة.

فعن أنس بن مالك ^(١) أبي حمزة خادم النبي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» رواه الترمذي ^(٢)

(١) سبقت ترجمته حديث رقم (١٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٤٠) وتفرد به عن أصحاب الأمهات الستة، ورواه الطبراني في الأوسط (٤٣٠٥) وأبو نعيم في الحلية (٢٣١/٢) وصححه الألباني: صحيح الترمذي (٢٨٠٥) ورواه أحمد (٢١٥١٠، ٢١٥٤٤) عن أبي ذر رضي الله عنه وحسنه شعيب في تحقيق المسند

فائدة: قال ابن دقيق العيد في شرحه (ص ١٠٨): في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم عظيم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرافة والرحمة والإمتنان.

وقال ابن رجب: وقد تضمن حديث أنس المبدوء بذكره أن هذه الأسباب الثلاثة يحصل بها المغفرة: أحدها: الدعاء مع الرجاء، فإن الدعاء مأمور به وموعد عليه بالإجابة كما قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر ٦٠] وفي السنن الأربعة عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الدعاء هو العباد» ثم تلا هذه الآية... لكن الدعاء سبب مقتض للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه.

السبب الثاني للمغفرة: الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت الكثرة عنان السماء.

السبب الثالث من أسباب المغفرة: التوحيد وهو السبب الأعظم فمن فقداه فقد المغفرة ومن جاء به

وقال حديث صحيح (١).

هذا حديث قدسي وقد تقدم لنا كلام العلماء فيما يتعلق بتعريفه فبعضهم يقول: معناه من عند الله ولفظه من رسول الله، وبعضهم يقول: لفظه ومعناه من عند الله والصواب في ذلك أن يترك التعمق والخوض في هذا والأولى أن نقول كما يقول الصحابة عن رسول الله فيما يرويه عن ربه ﷺ فالله ﷻ يقول: «يا ابن آدم» وهذا الخطاب فيه من الرقة والتشريف إذ أن الله ﷻ ينادي ابن آدم والمراد بذلك جميع الناس لأن النبي ﷺ يقول: «أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ» (٢).

فنحن أضافنا الله ﷻ إلى أبينا آدم ﷺ قال: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني» ما هاهنا شرطية وجملة دعوتني دعا فعل الشرط وسيأتي الجواب في قوله: «غفرت» ما شرطية فمن جاء بالشرط تحصل على الجواب مثل: ما جاءني من أحد أكرمته فالإكرام مرتبط بالمجيء فمن جاء تسبب لإكرام نفسه ومن لم يأتي فلا.

والله ﷻ يقول: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني» والمراد بالرجاء ترجو الإجابة دون تردد وذلك أنك تدعو وأنت موقن بالإجابة لا أن يكون قلبك لاهياً عندما تدعو الله ﷻ وقد تقدم لكم أن العبادة لا بد لها من الإخلاص والإتباع والحب

فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء ٤٨] فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة لكن هذا مع مشيئة الله ﷻ فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة.

أنظر: جامع العلوم (ص/ ٣٩٢-٣٩٨) بتصرف.

(١) بل قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) صحيح: وقد سبق.

والخوف والرجاء والمحبة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء ٩٠].

فإذا اجتمع مع الدعاء رجاء وتمت الشرائط وانتفت الموانع بمعنى أنه دعا الله في ساعة إجابة وتملق الله سبحانه ولم يكن هناك ما يمنع لا يأكل حرام ما ينكح حرام ما يلبس حرام ما يتغذى بالحرام ليس قاطع للأرحام هذه كلها موانع يقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشُّؤْمِ مِثْلَهَا» قَالُوا: إِذَنْ نُكْثِرُ قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ» (١).

فإذا دعا العبد ربه وعنده من الرجاء حصل المطلوب بإذن الله.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «اللهم إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء» (٢)

وفي قوله ﷺ: «إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي» يتبين لنا أن الدعاء على قسمين: دعاء مسألة ودعاء عبادة: أما دعاء المسألة فهو أن يسأل العبد من ربه الحاجة اللهم اغفر لي اللهم ارحمني... إلخ هذا دعاء مسألة.

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢٨٣٧) والترمذي (٣٥٧٣) والطبراني في الأوسط (١٤٧) والبيهقي في الشعب (١١٣١) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ورواه أحمد (١١١٤٩) والحاكم (١٨١٦) والبخاري في الأدب (٧١٠) والطبراني في الأوسط (٤٣٦٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩١٧٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الألباني: أنظر: صحيح الترغيب (١٦٣١، ١٦٣٣) وشرح الطحاوية (٥٢٢) وصحيح الترمذي (٢٨٢٧).

(٢) أنظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص/٤٥٨)، وتيسير العزيز الحميد شرح التوحيد (ص/١٨٤).

ودعاء العبادة: وهو أشمل من دعاء المسألة فهو أن تقدم اسمًا من أسماء الله بين يدي دعائك إن أردت الرحمة يا رحيم المغفرة يا غفور وإذا أردت العفو يا عفو... إلخ على حسب المقام الذي أنت بصده ويدخل في دعاء العبادة كل ما سمي عبادة لأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (١).

فالصلاة من دعاء العبادة لأن الإنسان يصلي ويريد مغفرة الصيام من دعاء العبادة وهكذا الصبر والحج وهكذا.

الدليل على أن دعاء العبادة أوسع قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر ٦٠].

ويقول النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة» (٢) أي حقيقة العبادة كامنة في الدعاء فالله يقول: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني» قال: «غفرت لك» المغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه مأخوذة من المغفر وهو الذي يوضع على الرأس من أجل الحماية من ضربات المقاتلين فسمي مغفر وكذلك جاء حديث أن النبي ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر، فإذا قلت اللهم اغفر لي كأنك تقول: اللهم استر ذنبي اللهم تجاوز عنه امحه قال: «غفرت لك على ما كان منك» أي ما مضى «ولا أبالي» أي لا أهتم بذلك فالله ﷻ لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية العاصين ولا يريد الله تعالى بعذاب خلقه

(١) أنظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٣٧٨) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩) والنسائي في الكبرى (١١٤٦٤) وابن ماجه (٣٨٢٨) وصححه الألباني: صحيح الجامع (٥٧١٩) وصحيح الترغيب

(١٤٢٧) عن النعمان بن بشير

شيئاً قال سبحانه: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

فهو لا يريد عذابنا وهلكتنا فهو سبحانه الرؤوف الرحيم.

«يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء» بمعنى أعالي السماء «ثم استغفرتني»
بمعنى قلت: أستغفر الله أو قلت: اللهم اغفر غفرت لك.

«يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا» أي بما يقارب الأرض أي تراها
«ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» لو جاء العبد بذنوب كم ما بلغت
ذنوبه ثم لقي الله ولم يشرك به شيئاً. (وشيئاً) هنا نكرة في سياق النفي تفيد العموم لم
يشرك بالله شيئاً لا في الربوبية ولا في الألوهية ولا في الأسماء والصفات قال: «لأتيتك
بقرابها مغفرة» دليل على سعة عفو الله ورحمة الله وتكرم الله ﷻ كما قال ربنا ﷻ:
﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر ٥٣].

وهكذا يقول سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ لَعْفَارٍ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه ٨٢].

ويقول ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾
[الشورى ٢٥].

فالله ﷻ غفور من شأنه أنه يغفر ولكن على العبد أن يطلب المغفرة من الله.

كان رجل في الجاهلية كان يطعم الفقراء والمساكين ويفك الأسير ويعمل
الأعمال الكثيرة هذا عبد الله بن جدعان قالت عائشة قلت يا رسول الله: ابن جدعان
كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ

لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»^(١) فالإنسان يجب أن يكون عبدًا دعاءً رجاءً أو ابًا منيبًا فإن الله ﷻ غفور رحيم لمن طلب منه المغفرة ولمن طلب منه الرحمة.

أما أن يكون العبد شامخًا بأنفه فهذا يضر العبد نفسه يوم أن يعرض عن ربه ﷻ فإذا ما تعرف العبد على ربه في هذه الدنيا كان الخير والرحمة في ذلك اليوم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[الشعراء ٨٩].

وهذا آخر كتاب الأربعين.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.



(١) رواه مسلم (٣٦٥) وأحمد (٢٤٦٦٥).

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة بين يدي الأربعين
٧	ترجمة للنووي
٩	[١] { الأعمال بالنيّات }
٢٣	[٢] { مراتب الدين }
٤٤	[٣] { أركان الإسلام }
٤٦	[٤] { أطوار خلق الإنسان وخاتمته }
٥٤	[٥] { إبطال المنكرات والبدع }
٦٧	[٦] { الحلال بيّن والحرام بيّن }
٧٧	[٧] { الدين النصيحة }
٩٣	[٨] { حرمة المسلم }
٩٩	[٩] { الأخذ باليسير وترك التعسير }
١٠٩	[١٠] { الطيب الحلال شرط القبول }
١١٦	[١١] { الأخذ باليقين والبعد عن الشبهات }
١٢٤	[١٢] { الاشتغال بما يفيد }
١٣٠	[١٣] { أخوة الإيمان والإسلام }
١٣٧	[١٤] { حرمة دم المسلم وأسباب إهداره }
١٤٦	[١٥] { آداب إسلامية }
١٥٦	[١٦] { النهي عن الغضب }
١٦٤	[١٧] { عموم الإحسان }
١٧٣	[١٨] { تقوى الله وحسن الخلق }
١٨٧	[١٩] { إحفظ الله يحفظك }

- [٢٠] { الحياء من الإيمان } ٢٠١
- [٢١] { الإيمان والاستقامة } ٢١٠
- [٢٢] { طريق الجنة } ٢١٦
- [٢٣] { كل خير صدقة } ٢٢٢
- [٢٤] { تحريم الظلم } ٢٣٨
- [٢٥] { فضل الله تعالى وسعة رحمته } ٢٥٣
- [٢٦] { فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم وإعانتهم } ٢٦٣
- [٢٧] { البر حسن الخلق } ٢٧٢
- [٢٨] { وجوب لزوم السنة واجتناب البدع } ٢٨٥
- [٢٩] { أبواب الخير ومسالك الهدى } ٢٩٧
- [٣٠] { حدود الله تعالى وحرماته } ٣١٨
- [٣١] { الزهد الحقيقي وثمراته } ٣٢٦
- [٣٢] { لا ضرر ولا ضرار } ٣٤٣
- [٣٣] { البينة على الدعي واليمين على من أنكر } ٣٥٢
- [٣٤] { النهي عن المنكر من الإيمان } ٣٥٨
- [٣٥] { أخوة الإسلام وحقوق المسلم } ٣٧٦
- [٣٦] { جوامع الخير } ٣٩٠
- [٣٧] { فضل الله تعالى وعدله ورحمته } ٤٠١
- [٣٨] { عبادة الله تعالى وسيلة للقرب والمحبة } ٤١٤
- [٣٩] { رفع الحرج في الإسلام } ٤٢٨
- [٤٠] { الدنيا وسيلة ومزرعة للآخرة } ٤٣٧
- [٤١] { علامات الإيمان وعماده } ٤٤٨
- [٤٢] { سعة مغفرة الله ﷻ } ٤٥٧
- فهرس الموضوعات ٤٦٣

